الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية–أدرار–

كلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ

تخصص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

الحَيَاةُ العِلمِيّة فِي السُّودانِ الغَربِي مِن خِلَالِ رِحلَةِ مُحَمَّد يَحيَى ابنُ أبوه اليعقُوبِي خِلَالَ (القَرن13هـ / نِهَايَة ق 19م وَبِدَايَة ق 20م)

مذكّرة مكمّلة لمتطلبات شهادة الماستر في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

إعدَادُ الطَّالِب:

مجيجا أحمد سالم

إشْرَاف:

أ.د. بعثمان عبد الرحمان

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة	اللصفة
أد.حوتية محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
أد. بعثمان عبد الرحمن	أستاذ التعليم العالي	مشرفا
أد. خيي عبد الله	أستاذ التعليم العالي	ممتحنا

الموسم الجامعي: 1441هـ-1442هـ/ 2020م – 2021م

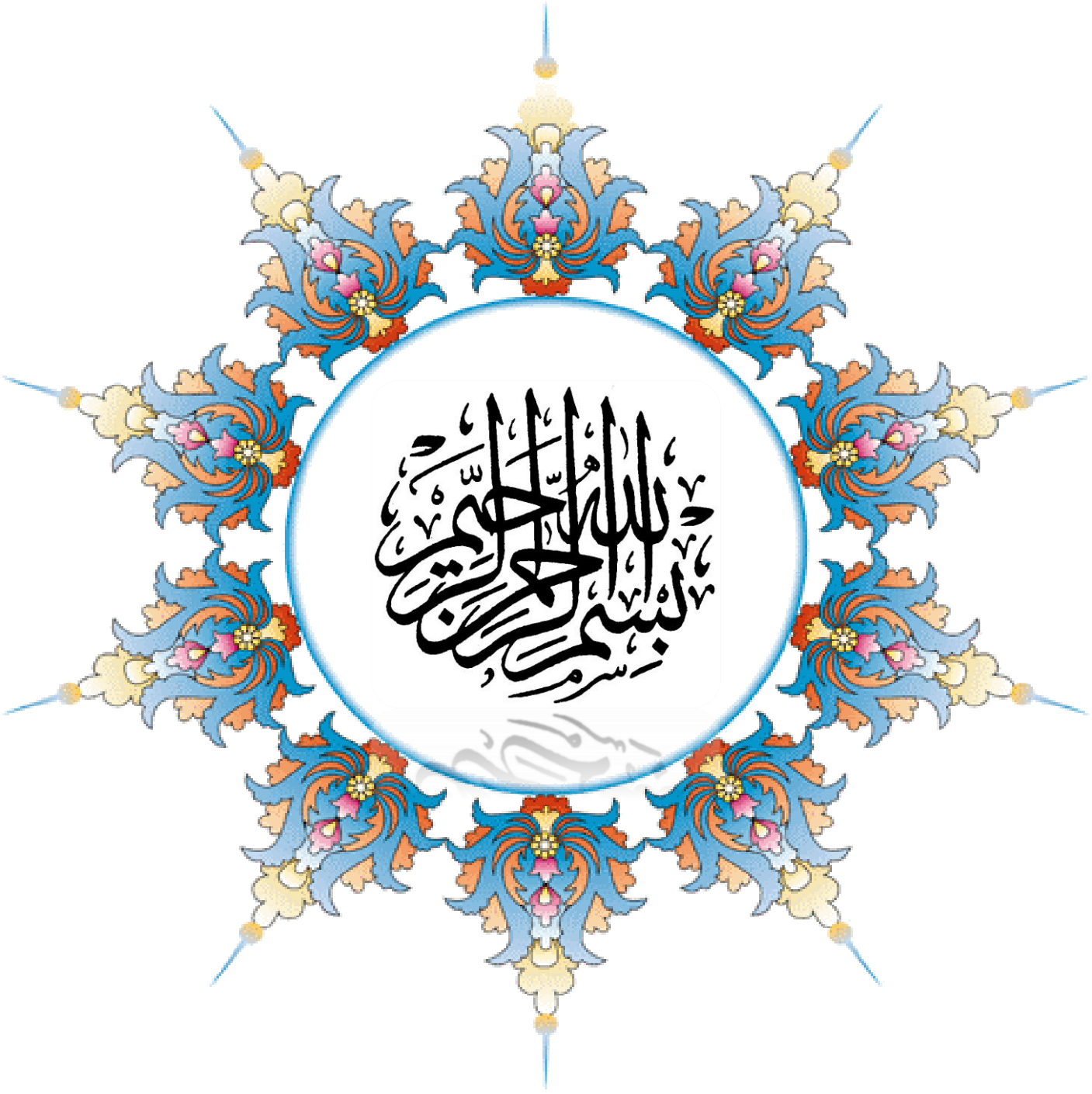
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

‹‹ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3)
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)››

الآية من 01 إلى 05 من سورة العلق .

وقال أيضاً :«... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ
كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (76) ››

الآية76 من سورة يوسف.

وقال: ‹‹...وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً (85)››

الآية 85 من سورة الإسراء.

صدق الله العظيم

شكر وتقدير

أُزجِي خَالِصَ شُكرِي وَتَقْدِيرِي لأُستَاذِيَ العَزِيزُ: الأُستَاذُ الدُّكتُورُ "بَعُثْمَان عَبْدُ الرَّحْمَانِ" الذِي تَفَضَّلَ عَليَّ بِالإِشْرَافِ عَلَى هَذِهِ المُذَكِّرَةِ، وَكَانَ إِلَى جَانِبِي خِلَالَ مَرَاحِلِ إِعدَادِهَا، فَكَانَ نِعمَ المُرشِدِ والمُوَجِّهِ؛ اسْتَفَدْتُ مِن مُلَاحَظَاتِهِ وَتَوجِيهَاتِهِ كَمَا استَفَدْتُ مِن إِنسَانِيتِهِ وَأَخلَاقِهِ وَجديتِهِ طِيلَةَ المُدَّةِ التِي عَرفتُهُ فِيهَا كَأُستَاذٍ وَكَمُشرِفٍ.

كَمَا أُحِبُّ أَن أُقَدِّمَ خَالِصَ تَقْدِيرِي وَامتِنَانِي لأُسَاتِذَتِي الذِينَ دَرسْتُ عَلَى أَيدِيهِم فِي سَنَوَاتِي هَذِه، وأَخُص مِنهُمُ الأُسْتَاذَ الدُّكتُورُ خَالد الكَبِير عَلاّل والأُستَاذُ الدُّكتُورَ جَعفرِي مُبَارَك اللَّذَانِ كَانَا نِعْمَ الأُستَاذَينِ؛ وَقَدِ استَفدتُ مِن عِلمِهِمَا كَمَا استَفَدتُ مِن تَوَاضُعِهِمَا وَصَبرِهِمَا وَحِلمِهِمَا وَمُثَابَرَتِهِمَا التِي أَلهَمتْنِي كَثِيراً وَحَفَّزَتنِي لِتَقدِيمِ المَزِيدِ دُوماً.

الإهداء

إلى أبي وأمّي الغالِيين نَصِيبُكم مِن القلبِ أكبر من الورَقِ والحِبرِ.

إلى إخوتي جميعاً .

إلى جدّتي أُمّي الثّانية، وخالاتي .

إلى كُلّ مَن قاسمتُهم لحظاتِ حياتي بالمدرسةِ والجامعةِ.

إلى : الأساتذةِ والمفكّرين الذين أشعلوا شمعةَ الفِكرِ في رُوحِي .

إلى أصدقاءِ الرُّوحِ: محمّد، ياسين، سُفيان، أيمن، عمّار، عبد القادر، العربي .

إليكُم جميعاً أُهدِي هذا العَمَلْ.

قَائِمَةُ الرُّمُوزِ وَالإِختِصَارَاتِ

بِاللُّغَةِ العَرَبِيةِ

ق: قرن

ج: جزء

د ب: دون بلد

د س: دون سنة

د م ن: دون مكان نشر

هـ: هجري

م: ميلادي

مج: مجلد

مر: مراجعة

ع: عدد

تح: تحقيق

تر: ترجمة

تد: تدقيق

إش: إشراف

بِاللُّغَةِ الأَجنَبِيَةِ

N^0 : Numéro

V : Volume

مقدمة

مُقَدِّمَة:

يُمَثِّلُ السُّودَانُ الغَربِي تِلكَ المنطِقَةَ المحصُورَةَ بَينَ جَنُوبِ الصَّحرَاءِ الكُبرَى شَمَالاً وَخَلِيجِ غَانَا جَنُوباً، وَالمحِيطِ الأَطلَسِيّ غَرباً وبُحيرَةُ تشَاد شَرقاً، وَيشمَلُ دُولَ غَربِ إفرِيقيَا الحَالِيةِ؛ والمنطِقَةُ شِبهُ صَحرَاوِيةٍ تَتَخَلَّلُهَا مَجمُوعَةُ أَنهَارٍ كَشِريَانِ حَيَاةٍ لِسُكَّانِهِ الذِينَ تَنَوَّعَت أَعرَاقُهم وأُصُولُهُم فَمِنهُم الأَمَازِيغُ، والماندِينْغُ، والعَرَبُ، والفُولَانُ.

ظَلَّ السُّودَانُ الغَربِيُّ بِمَثَابَةِ المجهُولِ للعَالَمِ الخَارِجِيّ – اللَّهُمَّ إِلَّا عَن شَمَالِ إفرِيقيَا- قُروناً عَدِيدَةً حَتَّى وُصُولِ الإِسلَامِ إِلى مَشَارِفِهِ العُليَا مُنذُ أَوَاخِرِ (ق1هـ) وَمطلَعِ (ق8م) عَلَى يَدِ التُّجَّارِ المسلِمِينَ ،وَبَلَغَ ذُروَتَهُ مَعَ المرَابِطِينَ فِي (ق5هـ/11م)، وَانتَشَرَت مَعَهُ اللُّغَةُ والثَّقَافَةُ الإِسلَامِيةُ ، وَتَلاَهُ قِيامُ مَمَالِكَ بَلَغَ صِيتُهَا الآفاقَ كَمَملَكَةِ غَانَا ، وَمَالِي ، والسُّنغَايْ، إِشتَرَكَت كُلُّهَا فِي طَابَعِهَا الإِسلَامِي ، لِتَتَشَكَّلَ عَلَى إِثرِ ذَلِكَ مَجمُوعَةٌ مِنَ الحَوَاضِرِ بَلَغَ صَيتُ بَعضِهَا مَوضِعَ ضَربِ الأَمثَالِ فِي الغِنى والرَّفَاهِيَةِ كتُمبُكتُو، وجِنِّي، وقَاوْ، ووَلَاتَة وغَيرِهَا استَقطَبَت وصَدَّرَت عُلَمَاءَ ومُصلِحِينَ كِباراً كَانَ لهُم دَورٌ فِي تَنشِيطِ الحَيَاةِ السِّيَاسِيةِ والإِجتِمَاعِيةِ والعِلمِيةِ .

وَتَبَعاً لِلسُّنَنِ عُرِفَتِ المنطِقَةُ بِدَايةً مِن (ق10هـ/16م) تَحَوُّلاتٍ مِن كُلِّ النَّوَاحِي، وَينتَهِي الأَمرُ مَطلَعَ (ق13هـ) وأَوَاخِر(ق18م) بِطَلَائِعِ الإِستِعمَارِ الأُورُوبِي الذِي فَرَضَ الحِمَايَةَ عَلَى أَرضِ السُّودَانِ وشُعُوبِهَا مُحاوِلاً إِيقَافَ النَّهضَةِ التِي استَمَرَّت قُروناً طِوَالاً، سَاهَمَت خِلالَهَا هَاتِهِ المنَاطِقُ بنَصِيبٍ وَافِرٍ فِي إِثرَاءِ الحَرَكَةِ العِلمِيّةِ والحَضَارِيةِ الإِنسَانِيةِ التِي بَدأَت تَتَوجَّهُ دِفَّتُهَا نَحوَ أُورُوبَا.

وَمكَّنَتنَا الرِّحَلَاتُ بِمُختَلَفِ أَنوَاعِهَا مِن مَعرِفَةِ الكَثِيرِ عَنِ المنطِقَةِ مُنذُ العَصرِ الوَسِيطِ حَتَّى الآن، سَوَاءً فِي وَصفِ طَبِيعَتِهَا أَو سُكَّانِهَا أَو الحَدِيثِ عَن أَحوَالِهَا السِّيَاسِيَّةِ والإِقتِصَادِيةِ ، وَهُوَ مَا يَنطَبِقَ عَلَى الرحَّالَة محمّد يَحيَى ابنُ ابُوه اليَعقُوبِي (ت 1349هـ/1930م) والذِي زَارَ المنطِقَةَ بَينَ الثَّانِي مِن صَفَر سَنَةَ 1347هـ و 23 من ذِي القَعدَة سَنَةَ 1348هـ والمعرُوفُ بِرحلَتِهِ الموسُومَةِ "رِحْلَتِي إِلَى الحَجِّ أَوِ الرِّحْلَةُ الحِجَازِيّة".

وَقَد حَفَّزَتنِي عِلَلٌ كَثِيرةٌ لِدِرَاسَةِ الموضُوعِ كَانَ أَسَاسُهَا وَلَهِي بِالعُلمَاءِ وَسِيَرِهِم، وَكُتبِهِم ونَفَائِسِهَا ، وقَد كَانَ لِي إِطِّلَاعٌ يَسِيرٌ عَلَى قِلَّةٍ مِنَ الشَّرقِيينَ مِنهُم والغَربِيينَ ، وَسَاقَنِي الفُضُولُ إِلى تَارِيخِ إفرِيقيَا الذِي وَجدتُنِي جَاهِلاً بِكُلِّهِ رَغمَ إِتِّصَالِي العُضوِيّ والفِكرِيّ والتَّارِيخِيّ بِهِ ، كَمَا تَعَرَّفتُ عَلَى ثُلَّةٍ مِنَ العُلمَاءِ الذِينَ كُنتُ أَسمَعُ أَسمَاءَ بَعضِهِم عَرَضاً ولَم أُدرِك حَجمَهُمُ الحَقِيقِيّ، وَتأثِيرهُم العَمِيقَ فِي التَّارِيخِ الإِفرِيقِي، وَزَادَ التَّعلُّقُ بِهِم بِاطِّلَاعِي عَلَى بَعضٍ مِن كُتُبِهِم وَمُصَنَّفَاتِهِم مَا زَادَنِي شَغفًا لِمعرِفَةِ المزِيدِ عنهُم؛ وكَانَ إِقتِرَاحُ الموضُوعِ من قِبَلِ المشرِفِ القَطرَةَ التِي أَخرَجَت فَسِيلَ هَذَا الفُضُولِ والشَّغَفِ لِيكُونَ وَاقِعاً مَعِيناً.

فَكَانَ مِن أَثَرِ ذَلِكَ رَغبَتِي فِي:

- التَّعرُّفِ عَلَى شَخصِيّةِ مُحَمَّد يَحيَى بن ابُوهُ الشَّنقِيطِي اليَعقُوبِي الذِي يُعتَبَرُ مِن أَشهَرِ الرحَّالَةِ العَرَبِ الذِينَ ارتَحَلُوا إِلَى السُّودَانِ الغَربِي خِلالَ القَرنِ الثَّالِثَ عَشَرَ الهِجرِي.

- الإطِّلَاعُ عَلَى رِحلَتِهِ ومَا تَحتَوِيهِ مِن صُورٍ لِلحَياةِ العِلمِيةِ والثَّقَافِيةِ فِي السُّودَانِ الغَربِيّ وإزالَةُ بَعضِ الغُمُوضِ الذِي لَفَّ تِلكَ الفَترَةِ الصَّعبةِ مِن تَارِيخِ السُّودَانِ الغَربِي، خُصُوصاً وأنَّهَا عَرفَت رِحلاتٍ غَزِيرَةٍ مِن قِبَلِ الأُورُوبِيينَ الذِينَ هَدَفُوا إلَى طَمسِ الحقَائِقِ وتَحوِيرِهَا لإبرَازِهَا عَلَى أَنَّهَا مَنطِقَةُ تَخلُّفٍ وَبِدَائِيةٍ تَحتَاجُ وِصَايَةَ أُورُوبَا وَرَجُلَهَا الأَبيَضَ لِتَتَحَضَّرَ.
- مَعرِفَةُ الكُتُبِ والعُلُومِ والفُنُونِ المنتَشِرةِ والإطِّلَاعِ عَلَى جَوانِبِ الحَيَاةِ الفِكرِيَةِ فِي المنطِقَةِ، وإبرَازِ تَأثِيرِهَا وَتأثُّرِهَا بِالعَالَمِ الخَارِجِيّ.

ويُعتَبَرُ الموضُوعُ **مُهِماً** مِن نَاحِيةِ إظهَارِ الحَقِيقَةِ وإبرَازِ الصُّورَةِ الحَضارِيةِ الحَقِيقِيةِ للمَنطِقَةِ وإبطَالِ مَزَاعِمِ الغَربِيينَ وأَبَاطِيلِهِم حَولَهَا، لِنحصُلَ عَلَى صُورةٍ أَوضَحَ عَنهَا، ويُمكِنَنَا مِن خِلالِ ذَلِكَ مَعرِفَةُ أَسبَابِ التَّرَاجُعِ الثَّقافِي والعِلمِي لأَغلَبِ أَقطَارِ المنطِقَةِ وَعَلَاقَتِهِ بِالأَوضَاعِ السياسِيةِ السَّائِدَةِ فِي تِلكَ الفَترَةِ.

وَمِن خِلالِ بَحثِنَا هَذَا أَردنَا الإجَابَةَ عَن الإشكَالِيةِ التَّالِيةِ: مَاهِيَ أَبرَزُ سِمَاتِ وَمُمَيِّزَاتِ الحَيَاةِ العِلمِيةِ لمنطِقَةِ السُّودَانِ الغَربِيّ خِلالَ القَرنِ الثَّالِثَ عَشَرَ الهِجرِيّ أيّ نهايَةُ القَرنِ التَّاسِعَ عَشَرَ المِيلَادِي وبِدَايَةَ العِشرِين؟ وَمَا أَهَمُّ رَوَافِدِهَا وأَعمِدَتِهَا، وَمَا انعِكَاسَاتُها عَلَى مُختَلَفِ نوَاحِي الحَيَاةِ الأُخرَى؟

كَمَا تَندَرِجُ تَحتَ هَذَا الإشكَالِ عِدَّةُ إشكَالِياتٍ فَرعِيةٍ وَتَسَاؤُلَاتٍ أَبرَزُهَا:

- مَن هُوَ محمّد يَحيَى ابنُ أبُوه؟
- مَاذَا نَقصِدُ بِالسُّودَانِ الغَربِي ومَا خَصَائِصُه؟
- مَاهِي مَظاهِر الحَيَاةِ العِلمِيةِ فِي السُّودَانِ الغَربِي؟
- مَاهِي أَكثَرُ العُلُومِ والكُتُبِ تَدَاوُلاً فِيهِ؟
- مَن هُم العُلَمَاءُ البَارِزِينَ فِيهِ؟
- مَاهِي العَوامِلُ المؤَثِّرَةُ فِي الحَيَاةِ العِلمِيةِ فِيهِ؟

المَنهَجُ المتَّبَعُ: إعتمَدنَا فِي دِرَاسَةِ الموضُوعِ المنهَجَ **التَّارِيخِيَّ**، تَتَبَّعنَا مِن خِلَالِهِ رِحلَةَ ابنُ ابِيهِ **وَاصِفِينَ** السُّودَانَ الغَربِيّ طَبِيعَةً وَسُكَّاناً وَحَالاً خِلَالَ القَرنِ الثَّالِثَ عَشَرَ الهِجرِي، **مُحَاوِلِينَ مُقَارَنَتَهُ** بِما سَبقَهُ مِنَ العُصُورِ لمعرِفَةِ حَجمِ التَّحَوُّلِ الحاصِلِ فِيهِ.

وَلمعَالجَةِ هَذَا الموضُوعِ سِرنَا وِفقَ الخُطَّةِ التَّالِيةِ:

1. **مَدخَلٌ:** عَرَّفنَا فِيهِ بِالمنطِقَةِ مِن حَيثُ التَّسمِيةِ والموقِعِ مُوضِّحِينَ وِجهَاتِ النَّظرِ واختِلَافَاتِ العُلَمَاءِ فِي تَحدِيدِ ذَلِكَ، لِنَنتَقِلَ بَعدَ ذَلِكَ للحَدِيثِ بِإيجَازٍ شَدِيدٍ عَنِ الخَصَائِصِ الطَّبِيعيَّةِ وَالبَشَرِيةِ لمنطَقَةِ السُّودَانِ الغَربِي لِنُعطِيَ فِي نِهَايَتِهِ لمحَةً تَارِيخِيةً عَنهُ.

2. **الفَصلُ الأَوَّلُ**: خَصَّصنَاهُ للتَّعرِيفِ بالرَّحَّالَةِ مُحَمَّد يَحيَى ابنُ ابُوهُ وَرِحلَتِهِ وَقَسَّمنَاهُ الَى ثَلاثَةِ مَبَاحِثَ يَتَعَلَّقُ الأَولُ بِمفهُومِ الرّحلَةِ عُمُوماً وَأَهمِيتِهَا وَيتَعمَّقُ الثَّانِي فِي حَيَاةِ ابنُ أَبِيهِ الشَّخصِية والعِلمِيةِ كَماَ يُعَرِّفُ بِأَحْوالِ عَصْرِهِ، وَنَتعَرّفُ فِي الثَّالِثِ عَلَى رِحلَتِهِ شَكْلاً وَمضْمُوناً.

3. **الفَصْلُ الثَّانِي**: خَصَّصنَا هَذَا الفَصل لِوَصفِ الحَياةِ العِلمِيةِ فِي السُّودَانِ الغَربِي وَتَحلِيلِهَا خِلَالَ القَرنِ الثَّالِثَ عَشَرَ الهِجرِي انطِلَاقاً مِن رِحلةِ ابنِ أبُوه اليَعقُوبِي، وَتضَمَّنَ ثَلاثَةَ مَباحِثَ تَناوَلنَا فِي الأَوَّلِ مَظاهِرَ الحَياةِ العِلمية فِي المنطِقةِ لنَتَعَّرفَ فِي الثَّانِي عَلَى أَبْرزِ أَعلَامِ المنطِقةِ وأَعمِدتِهَا وَنتدَارسَ فِي الثَّالثِ العَوامِلَ المؤثِّرَةَ فِي الحَياةِ العِلمية خِلالَ تِلكَ الفَترةِ.

وفِي الخَاتِمةِ: حَاولنَا الإِجَابَةَ عَنِ الأَسئِلةِ المطرُوحةِ فِي المقَدِّمَةِ مِن حَوصَلةِ الموضُوعِ وَنمذَجَتِهِ فِي مَجمُوعَةٍ مِنَ الإِستِنتَاجَاتِ قَرَّبَتنَا مِن صُورَةِ الحَياةِ العِلمِيةِ فِي السُّودَانِ الغَربِي خِلَالَ تِلكَ الفَترَةِ، مُرفِقِينَ إِيَّاهَا بَتوصِياتٍ نُقدِّمُ بِها لدِراسَاتٍ أُخرَى تُواصِلُ البَحثَ فِي الموضُوعِ.

وَأَرفَقنَا البَحثَ بِمجمُوعَةٍ مِنَ **الملحَقَاتِ** لمزِيدٍ مِنَ الإِيضَاحِ مِنهَا مَا هُوَ فِي شَكلِ صُورٍ وَمِنهَا مَا هُوَ فِي شَكلِ خَرَائِطَ وَبعضُ صَفَحَاتِ المخطُوطَاتِ، والنُّصُوصِ، بِالإِضَافَةِ لمجمُوعَةٍ مِنَ **الفَهَارِسِ** تَخُصُّ الأَعلاَمَ والأَمَاكِنَ، وفَهرساً للمَصَادِرِ والمرَاجِعِ لِتَعُمَّ الفَائِدَةُ وَيَسْهُلَ الطَّلبُ.

والتِزَاماً بِالأَمَانَةِ والإِعتِرافِ بِالجَمِيلِ نَذكُرُ أَبرَزَ المصَادِرِ والمرَاجِعِ التِي كَانَ لَها فَضلُ إِرشادِنَا وإِمدَادِنا بِموادِّ البَحثِ وأَفكَارِهِ مِنهَا:

أ) **المصَادِرُ**:

مَثَّلَ كِتَابُ رحلَةِ ابنِ ابُوه "الرِّحلَةُ الحِجَازِيّة" العَمُودَ الفِقرِيَّ للدِّرَاسَةِ ومَوضُوعَهَا، وَالذِي بَيَّنَ لِي مَعالِمَ البَحثِ ، بِالإِضَافةِ إِلَى كُتُبِ السِيّرِ والتّراجِمِ التِي أَفَادَتنِي فِي التَّعَرُّفِ عَلَى شَخصِيّةِ ابنِ ابُوه وَبَاقِي الشَّخصِيات المتَعلِّقةِ بِهِ كِكِتَابِ حَياةِ مُورِيتَانيَا حَوادِثُ السِّنِينِ أَربعَةُ قُرونٍ من تَارِيخِ مُوريتَانيا ومَا جَاوَرهَا للمختَارِ ابنِ حَامدٍ الذِي أَرَّخَ للأَحدَاث والشَّخصيات بدِقةٍ وَلَو بِإِيجَازٍ فَقَد أَعانَنَا عَلَى ضَبطِ الأَحدَاثِ وَتَرتِيبِهَا، إِضَافَة إِلَى المصَادِرِ المعتَادَةِ فِي التَّخَصُّصِ بِدَايةً بِكِتَابِ العِبَرِ لِابنِ خَلدُونَ مُرُورا بِتَارِيخِ السُّودَانِ لعَبدِ الرَّحمَانِ السَّعدِي، وكِتَابِ الفتَّاشِ لمحَمَّد مَحمُود كَعت، وَرِحلَةُ ابنِ بَطُّوطَة تُحفَةُ النُّظّارِ ، وَنهَايةً بِوصِفِ إِفرِيقيَا للحَسنِ الوزَّانِ وَغيرِهَا من المصَادِرِ التِي لَا غِنَى عَنهَا لدارِس تَارِيخِ السُّودانِ.

وَلا يُمكِنُنَا تَجاوُزُ كِتَاباتِ الرَّحالِة الغَربيينَ فِي الفترةِ المدرُوسةِ ، فَبالرَّغمِ مِن نَظرتِهِم المتَحيّزةِ إِلَّا أَنَّ كُتُبَهُم تَبقَى مَصدَراً مُهِماً يَحمِلُ العَدِيدَ مِنَ الملَاحَظَاتِ الدَّقِيقَةِ والمعَارِفِ المطرُوحَةِ بِوجهَةِ نَظرٍ أُخرَى قَد تُساهِم فِي الإِحَاطةِ بِالموضُوعِ أكثَر، ومِن أَبرَزِهَا نجد: تُمبُكْتُو العَجِيبَة لفِيلِيكسْ دِيبْوَا (Felix Dubois) ، وكُتبُ بُول مَارِتِي (Paul Marty) التِي لم يَتوَفَّر لَدَينَا مِنهَا سِوَى كِتابُ القَبائِلِ البَيضَانِية فِي الحَوضِ والسَّاحِلِ وَعَربُ مَالِي بَنُو حَسَّانَ وجُزءٌ مِن كُنتَة، بِالإِضَافةِ لرَحَلَاتِ هنرِي بَارثْ (Henry Parth) ورِينِيه كَايِيهْ (René Caillié) .

أمَّا المرَاجعُ فمتعدِّدَةٌ وَمختَلِفَةٌ كَانَ أبرزُهَا تَاريخُ إفرِيقيَا الغَربيةِ الإسلَاميّة مِن مَطلَعِ القَرنِ السَّادِسِ عَشَر إلَى مَطلعِ القَرنِ العِشرِين لِيَحيَى بُوعزِيز، وتَاريخُ إفريقيَا الحَدِيثُ والمعَاصرُ لشُوقِي الجَمَل و عَبدُ الله عبدُ الرَّزاقِ إبرَاهِيم، و الأَزوَاد خِلَالَ القَرنِ (13هـ/19م) دِراسَةٌ تَاريخيّة إجتِماعِيةٌ واقتِصَادِيةٌ لأُستَاذِنَا مُبَارَك جَعفرِي وَقَد أَفَادَتنِي فِي تَعرِيفِ بِلادِ السُّودَانِ وَوصفِهَا طَبيعياً وبَشرِياً ، أَمَّا فيمَا يُخصُّ الشَّخصِياتِ والأَعلَامِ فاستَعنتُ بكِتابِ الأَعلَامِ للزَّركلِي ، وَتَرَاجِمِ أُدَبَاءِ شَنقِيطَ لأَحمَدَ بنِ الأَمينِ الشَّنقِيطِي، وأَعلاَمُ الشَّناقِطةِ فِي الحِجَازِ والمشرِقِ وجُهُودُهُم العِلميَةُ وقَضَايَاهُم العَامَّةُ لأَبي علِي بَجِيدَّ، والسَّلفِيةُ وأَعلَامُهَا فِي مُورِيتَانيَا للشَّيخِ عمر الطَّيب بَنُ الحُسَينِ ، فَكانَت خَيرَ مُساعدِ فِي تَرجَمتِهَا. إضَافَةً إِلَى مَجمُوعَةٍ مِنَ المَوَاقِعِ الإِلكترُونِيةِ والموسُوعَاتِ والبَرَامِجِ المتَلفَزَة والوَثائِقياتِ التِي كَان لهَا نَظرَةٌ مُخصَّصَةٌ وأَفكَارٌ مِن جَوانِبَ أُخرَى أَكثَرُ حَدَاثَةً.

وَقد وَاجَهْنَا فِي إعدَادِ هَذَا البَحثِ عِدّة عَوائِقَ يقِفُ عَلى رَأسِهَا:

- ضِيقُ الوَقتِ وشحُّ المصَادِرِ لِبُعدِ أَغلَبِهَا عَن مُتَنَاوَلِ اليَد، ومَا تَوَفَّرَ مِنهَا أَلقَى الضَّوءَ عَلَى الجَوانِبِ السيّاسِيةِ والإجتِماعِيةِ ولَم يُذكِرِ الجَانِبُ الفِكريُّ فِيهَا إلَّا نُطَفاً وإضاءَاتٍ خَافِتةٍ هُنَا وهُنَاك، وإن ذُكرَ باستِفاضَةٍ فَيخُصُّ حَاضِرةً بعَينِهَا دُونَ سِوَاهَا مِن حَواضِرَ كَثِيرةٍ ومُختَلفَةٍ فِي السُّودَانِ الغَربِي.

- وَفيمَا تَعلَّقَ بِالرّحلةِ فَقَد كَانَ مِنَ الصَّعبِ استِنتاجُ الجَوانِبِ العِلميةِ منهَا لجَمعِهَا بينَ مختَلفِ الأَحدَاثِ، فِي تَسَلسُلٍ زَمنِي لَا مُوضُوعِيّ مَا صَعَّبَ المهِمَّةَ لِاستِخرَاجِ جَوانِبِ الفِكرِ مِنهَا وربطِهَا بِبعضِهَا البَعض.

- بِالإضَافةِ إلى المشَاكِلِ الشَّخصِيةِ المتَضمَّنةُ صُعُوبَةَ التَّحكُّمِ بالموضُوعِ، واسْتِغلَالُ الوَقتِ، والمنهَجيةِ، وَهوَ ما حَاولْتُ التّغلبَ علَيهِ قدرَ الإستِطَاعَةِ بِفضلِ اللهِ، وبِفَضلِ مُسَاعَدَةِ أَسَاتِذَتِي وَزُمَلَائِي البَاحِثِينَ.

مَدْخَلٌ
التعريفُ بالسودانِ الغربيّ

مَدْخَلٌ

التَّعرِيفُ بِالسُّودَانِ الغَرْبِيّ

المبْحَثُ الأَوّلُ:

الموقِـــــــــعُ والتَّسمِيةُ

المَبحَثُ الثَّانِي:

السُّــودَان الغَرِبِيّ طَبِيعيـــــاً وَبَشرِيـــــاً

المبْحَثُ الثَّالِثُ:

لمحَةٌ تَارِيخِيةٌ عَنِ السُّودَانِ الغَرِبِيّ وأهمُّ حَواضِرِهِ

المبْحَثُ الأَولُ: الموقِعُ والتَّسمِيةُ

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: التَّسمِيَةُ

السُّودَانُ لَفظٌ أطلَقَهُ العَربُ فِي العُصُورِ الوُسطَى عَلَى الأقالِيمِ شِبهِ الصَّحراوِيةِ الوَاقِعةِ جَنُوبَ الصَّحراءِ الكُبرَى (1) حَيْثُ أُطلقَ فِي البِدايةِ عَلَى كامِلِ إفريقيَا ثُمَّ إقتَصَر فِي القَرنِ الثَّالثَ عشرَ الهِجرِي عَلَى مِنطَقَةِ بُحيرةِ تشَاد، ليَتوسَّعَ بَعدَهَا مَدلُولُ المصطَلَحِ حَسبَمَا يُشيرُ المسعُودِيّ (2) (ت346هـ/957م) " أَنَّ بِلادَ السُّودَان هيَ المنطِقةُ الوَاقِعةُ جَنُوبَ الصَّحراءِ الكُبرَى منَ المحيطِ الهِندِي إلَى بحرِ الظُّلمَاتِ "

المَطْلَبُ الثَّانِي: الموقِعُ

يَذكرُ القَلقَشَندِيّ (3) (ت821هـ/1418م) "أنَّ بِلادَ السُّودَان يحدُّهَا منَ الغربِ البحرُ المحيطُ ومنَ الجنوبِ الخرابُ ممَّا يلِي خَطَّ الإستواءِ وَمِنَ الشَّرقِ بَحرُ القَلزَمِ (4) ممَّا يقابلُ بِلادَ اليَمنِ ومنَ الشمالِ برَارِي تمتدُّ لما بينَ مصرَ وبَرقةَ وبلادِ العَربِ المغاربةِ من جَنُوبِ المغربِ إلَى البَحرِ المحِيطِ".

أَمَّا ابنُ خَلدُونَ (ت808هـ/1406م) فيَقولُ: "والسُّودَان أَصنَافٌ شُعُوبٍ وقبائلٍ أَشهرهُم بالمشرِقِ الزّنجُ والنَّوبةُ يَلِيهِم الزَّغَاوةُ ويلِيهِم الكَانَمْ ويلِيهِم من غربِهِم كُوكُو وبعدهُم التَّكرُور ويتّصلُون بالبَحرِ المحِيطِ إلَى غَانيةَ"(5)

(1) نبيلة حسن محمد: **في تاريخ أفريقيا الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، مصر 2008، ص68.

(2) المسعودي علي بن الحسين: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج2، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1988م، ص240.

(3) القلقشندي أبو العباس: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج5، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1983، ص274.

(4) بحر القلزم معناها البحر الأحمر

(5) ابن خلدون ولي الدين عَبْدُ الرَّحمَانِ: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر**، تح: خليل شحادة، ط2، ج6، دار الفكر بيروت، 1988، ص410.

ومِن خِلاَلِ هذِه التّعاريفِ لمصطَلحِ السُّودَان، ورغمَ تبَايُنِها إلَّا أنها اتَّفقتْ علَى أنَّ بلادَ السُّودَان تُطلَقُ علَى الأَقوامِ الذِينَ يقطُنونَ الحِزامَ السُّودَانِيّ جَنُوبَ الصّحراءِ الكُبرى وعطفاً علَى مَا سبَقَ يمكِنُ تقسِيمُ بلادِ السُّودَان إلَى ثلاثةِ مَنَاطِقَ وهِيَ (1):

السُّودَانُ الشَّرقِي: يَتَكَوّنُ مِن مَنَاطِقِ النّيلِ وروَافِدِهِ وجنُوبِ بِلادِ النَّوبةِ.

السُّودَانُ الأوسَطِ: وَيشمَلُ المناطِقَ المحِيطَةَ ببُحيرَة تشَاد.

السُّودَانُ الغَربِيّ: ويَشملُ حَوضَ السّنغالِ، غَامبيَا، بُوركِينَا فاسُو والنّيجَر الأَوسَطِ (نَيجِيريَا).

وتَختَصُّ دِراستُنا بمنطقَةِ السُّودَان **الغَربِيّ** – أَو مَا اصطُلِحَ عليهِ لاَحقاً **إفرِيقيَا الغَربِيّةِ الإسلامية** (2)– الذِي يشمَلُ بِمفهُومِهِ الوَاسِعِ المنطِقةَ الوَاقعةَ جنوبَ الصَّحراءِ الكُبرى والممتدَّةِ بينَ المحِيطِ الأَطلسِي غرباً، وبُحيرةِ كُورِي (بُحيرَةُ تشَاد) وجنُوبِ الصَّحراءِ الكُبرى شمالَ خطِّ الإستِواءِ بينَ خطَّي عَرض 11 و17 درجةً شمالاً وتمثِّلُ هَذهِ المنطقةُ المجالَ الموازيَ لبلاَدِ المغرِبِ وتَفصِلُ بَينَهُمَا الصَّحرَاءُ الكُبرى (3). كَمَا تَقَعُ بَينَ خَطَّي عَرض 9 و17 درجةً شمالاً وهِيَ المنطِقةُ المصطَلحُ علَى تسمِيَّتِهاَ حَالياً إفرِيقيَا جَنُوبُ الصَّحرَاءِ

المبحَثُ الثَّانِي: السُّودَانُ الغَربِيّ طَبِيعياً وَبَشرِياً

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: المَمَيّزاتُ الطَّبِيعية:

1- التّضارِيسُ: يَتشكَّلُ السُّودَان الغَربِيّ جُيُولُوجِياً من هَضبَةٍ غَيَّرتِ العَوامِلُ الطَّبِيعيةُ مِن قِشرتِهَا الخَارجِيةِ مَا نَتَجَ عَنهُ تَنَوعٌ تَضَارِيسيٌّ كَبِيرٌ، يَظهرُ فِي سِلسلةِ الجبالِ المشرفةِ علَى طَرِيقِ (سِيقُو، جْمَاوْ) ، حِجَاز وأَهِير (إيرَاسِين) وجِبالِ أُورَارْ الشّرقِيةِ والغَربِيّةِ ، ويظهرُ أيضًا فِي الصَّحارِي الوَاسعةِ والتِي ترتفِعُ بعْضُ أَماكِنِهَا إلَى سِتَّة آلافِ قدمٍ فوقَ سطحِ البحرِ ، وتَنخَفِضُ أُخرَى إلَى مئةِ قَدَمٍ تحتَ سطحِ البحرِ، كَمَا تنتشِر فيهَا الكُثبانُ الرَّمليةُ والوَاحاتُ الكَبِيرةُ ،

(1) مولاي محمد: **القضاء والقضاة ببلاد السُّودَان الغَربِيّ من أواخر القرن التاسع هجري حتّى الثاني عشر هجري**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، إش: أحمد الحمدي، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2019، ص18.

(2) يحي بوعزيز: **تاريخ إفريقيا الغَربِيّة الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلَى مطلع القرن العشرين**، دار هومه، بوزريعة، الجزائر ،2001.

(3) مقاديم عبد الحميد: **المدارس العلمية ودورها الثقافي في السُّودَان الغَربِيّ** (مالي وسنغاي) ق10-7هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إش: بن نعيمة عبد المجيد، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية قسم الحضارة الاسلامية، جامعة بن بلة، 2018، ص7.

وتتفرَّعُ فيهَا أَودِيةٌ خصْبةٌ ، وسُهولٌ مُنبتةٌ .(1) وتقدَّرُ مساحةُ جُزءِ الصّحراءِ الذِي تُسيطِرُ عَلَيهِ الرِّمالُ حَوالَي التُّسُع(2) ، قليلةُ المياهِ وشَمسُها حَارِقَةٌ.

وتَمتَدُّ تضَارِيسُ السُّودَان الغَربِيّ مِن تشَاد إلَى الأَطلسِي وتَنقسِمُ مِنَ الشَّمالِ إلَى الجنُوبِ إلَى أَقسامٍ:

- المنطَقَةُ الشّماليةُ: تمتدُّ من بُحيرةِ تشاد شَرقاً حتّى منطقةُ فوتاتُور السّنِغاليّةِ غرباً وترتفِعُ فِي وسطِها هضَابُ النّيجَر وفِي هَذِهِ المنطقةِ سُهولٌ وَاسعَةٌ ذاتُ مَراعٍ خَصبةٍ.
- المنطَقَةُ الوُسطَى: تَمتَدُّ مِن بُحيرةِ تشَاد شَرقاً حَتّى مَنطِقَةِ فُوتَاتُور السّنغاليةُ غرباً وترتفِعُ فِي وَسَطِهَا هِضَابُ النَّيجر وفِي هَذِهِ المنطقةِ سهولٌ واسعةٌ ذاتُ مَراعٍ خصبةٍ.
- المنطَقَةُ الجَنُوبيةُ: وهِي المنطِقةُ المشرِفةُ علَى خليجِ غِينيا وتضُمُّ عدَّةَ كُتلٍ جبَليةٍ أَهمُّها فُوتَا جالُون. (3)

وتَشْملُ أَفرِيقيَا الغَربِيّةُ الجزءَ الأكبرَ من مَنطِقةِ **السَّاحلِ** (4) شبهِ الجافَّةِ –جَنُوبَ الصّحراءُ الكُبرَى– والذِي تبلغُ مساحتُهُ حوالِي 4 مليون (كلم) (5) ويشكِّلُ الإقلِيمُ نِطاقاً عَازِلاً بينَ الصَّحراءِ الكُبرَى ذاتَ المناخِ الجافِّ والمناطِقِ الإستِوَائِيةِ الرَّطبةُ والمعرُوفَةُ حالياً بِاسمِ "السَّافَانَا". (أنظُرِ الملْحَقَ رَقْمِ :01)

(1) محمد فاضل وسعيد إبراهيم كريريه: **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص21.

(2) الهادي مبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا وراء الصحراء من نهاية ق15 إلَى بداية ق18**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م، ص20.

(3) محمد فاضل، وسعيد ابراهيم كريريه، نفس المرجع، ص 21

(4) **الساحل**: يبتدأ من المحيط الأطلسي غربا مرورا بالسنغال وموريتانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر وأقصى الشمال الشريقي لنيجيريا للمزيد حول الموضوع طالع:

Callot, y.''sail'', **Encyclopadia of Islam**, new edition, Leiden: E.J. Brill,1995, vii, p.837.

(5) محمد فاضل، وسعيد ابراهيم كريريه، نفس المرجع، ص 21

2- الأَنْهَارُ

شَكَلَّتِ الأَنهارُ منذُ القديم شِريَانَ الحياةِ الزّراعيَّةِ والتّجارِيةِ بالنّسبَةِ لبِلادِ السُّودَان عُمُوماً والسُّودَانِ الغَرِبِيّ خُصُوصاً حَيْثُ سَاهَمَتْ فِي إذكَاءِ حَرَكَةِ الملَاحَةِ وريّ الأَراضِي الزّراعية المحيطَةِ ، وبِهذَا نَمتِ التّجارَةُ وازدَهرَت فِي المنطِقة.

ومِن أهِمّ الأَنهارِ فِي السُّودَان الغَرِبِيّ:

أ- نَهرُ النَّيجَر: (سَمَّتهُ العَربُ قَدِيماً بِنيلِ السُّودَان) يبلغُ طُولُه 4180(كلم) ويمرُّ عبرَ غِينيَا ومَالِي والنَّيجَر وبِنين ونَيجِيريَا (1)ليَصُبَّ بعدَ ذلكَ فِي خَلِيجِ غِينيَا.

أمَّا منبَعهُ الأَساسيُّ فهوَ هَضَبةُ "فُوتَا جَالُون" قُربَ سِيرَالِيُون بحَيْثُ لا يُتجاوَزُ بُعْدُهُ عَن المحيطِ الأَطلسِيّ 280 (كلم) أختُلِفَ فِي الماضِي حولَ اتجاهِ سَيرِهِ بينَ الرَّحالةِ العربِ(2) والغَربِيّينَ ، حَيْثُ يُعتبرُ الرّحالةُ الأُسكُتلَنديّ "**مَنْغُو بَارْكْ Mungo Park**(3) " أولَ مَن وَصَلَ إليهِ وأَبحرَ فيهِ ليتَمكَّن الأَخوَينِ "رِيتشَارِدْ وجَاينْ لَانْدَرْ" (Richard et Jean länder) من مَعرِفةِ مجراهِ بَعدَ ذَلكَ حَيْثُ يبدأُ سَيرَهُ فِي المرحَلةِ الأُولَى نَحوَ الشَّمالِ الشَّرقي قاطِعاً غِينيَا ومَالِي حتّى تُخُومِ الصَّحراءِ الإفريقيّةِ ثُمَّ يتَّجهُ صُعوداً حتّى تُمْبَكْتُو فِي مَالِي ، حَيْثُ يسمَّى هُنَاكَ بِنهْرِ "**دَاجُولْيَا**" أيْ النَّهرُ الكَبِيرِ ، ويَرْوِي نَهُر النَّيجر مساحةَ مليونٍ ونصفَ المليُونِ (كلم^2) ، ما جَعَلَ الصَّيدَ من أهَمّ النَّشاطاتِ فِي اقتِصادِ المنَاطِقِ المشرفَةِ عليهِ ، وتُعتَبرُ مَالِي فِي الماضِي إحدَى البُلدَانِ الإفرِيقيةِ القليلةِ التِي جعلت منَ الصَّيدِ لِيكونَ عَامِلاً مهماً فِي إقتِصَادِهَا.(4)

ويُعدُّ أطوَلَ أَنهَارِ إفريقيَا بعدَ نهري النَّيلِ والكُونغُو أَصلَحُ أنهَارُ أَفريقيَا للمِلاحةِ خصُوصاً وأنَّهُ يمرُّ بجمِيعِ أنحَاءِ البِلادِ الواقِعةِ بينَ جنّي وتُمْبَكْتُو وقَاوْ ،كَما يعدُّ نقطة اتّصالٍ بينَ العَربِ والبَربَرِ والزُّنُوجِ وشِريانَ الحَياةِ بينَ الشّرقِ والغربِ ونقطةَ

(1) موسوعة المعرفة: نهر النيجر، 2021/04/07 الساعة 00:13، https://www.marefa.org/%D9%86%D9%8A%D8%AC%D8%B1_(%D9%86%D9%87%D8%B1)

(2) أبرزهم **ابن بطوطة** (ق14م) الذِي ذكر أنه شاهد النهر يتجه نحو الشرق بينما ذكر **الحسن الوزان** (ق16م) شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ **إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار الزهراء ط2، الرياض، 2002م، ص30.

(3) منغو بارك :(1771 م– 1806م) جراح أسكتلندي ورائد مكتشف لبعض المناطق غربي إفريقيا. وهو أنه يسير نحو الغرب. للإضافة حول الموضوع طالع: شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ **إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار الزهراء ط2، الرياض، 2002م، ص30.

(4) مسعود الخوند: **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ج2، آسيا، ألبانيا، د س، ص165.

تبادُلٍ للملْحِ والذَّهبِ والعَاجِ والعبيدِ (1) وللأهَميةِ البَالِغةِ للنّهرِ خُصِّصَت لهُ إحدَى بُنودُ مؤْتمَر بِرلينَ (المادةُ 33 الثالثةُ والثَّلاثُون) تنصُّ علَى حريَّةِ الملاَحةِ فِي النَّيجَر حتّى فِي حالةِ الحربِ .(2)

ب– نَهرُ السِّنغالِ (3):

يُعدُّ نَهرُ السِّنغالِ جُزءاً من مِنطقةٍ جُغرافيةٍ طبيعيةٍ تسمّى نسبةً إليهِ منطقةَ حوضِ نهرِ السِّنغال بأَكمَلهَا وتمتدُّ من منبَعِ النّهرِ فِي مرتفعَاتِ فُوتَا غالُون (Follta Djalon) فِي غِينيَا، وَلِغايةِ مصبِّه فِي السِّنغال، بِالقُربِ من مدينةِ سانتْ لُوَيسْ (Saint Louis)، ويمتدُّ النّهرُ علَى طُولِ 1790 (كم)، بمساحةٍ تقدرُ ب 240 ألف (كم^2) (4)، وهوَ قليلُ العمقِ إذ لا يتجاوز عمقُهُ (03) أَمتارٍ لمسافةٍ تبلُغُ 250 (كلم) منَ المصبِّ. القِسمُ الأوسَطِ من هذا النّهرِ صالحٌ للملاحةِ وهوَ مصدرٌ الخَصبِ للأرَاضِي التِي يمرُّ بهَا. (5) ونهْرُ السِّنغالِ صالحٌ للملاحةِ بصعوبةٍ إلَّا فِي فصلِ المطرِ (أغسطس أكتوبر)، أمَّا بقيةُ العامِ فَغالباً ما تتوقف الملَاحةُ فيهِ، أَو لا يصلح إلَّا للقَوارِبِ الصَّغيرَةِ. (6)

ج- **نَهرُ الكُونغُو** (7): يُعتَبرُ ثانيَ أكبرِ أَنهارِ إفريقيَا مِن حَيْثُ الطُّولِ (4700كلم) وأَولُها من حَيْثُ مساحةِ الحَوض (3.800.000) ، ولَا يفُوقهُ فِي كَميةِ المياهِ التِي تسقطُ علَى حَوضِهِ إلّا نهُر الأَمازون بِأَمريكَا الجَنُوبيَةِ وآخِرهَا إكتِشَافاً

(1) مبارك جعفري: **الأزواد خلال القرن (13هـ/19م) دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية، ط1**، دار الكتاب العربي، خرايسية، الجزائر ،2021، ص275.

(2) المرجع نفسه، نفس ص.

(3) الإسم تحريف لاتيني للكلمة العربية صنهاجة، فقد عرف هذا النهر بنهر صنهاجة حتّى مجيء الإستعمار الأوروبي، كما عرف بتسميات أخرى منها نهر (بني الزناقية)، وأطلق الأوروبيون عليه تسمية (البحيرة العربية أو البحر دون أن ينسبوه).

(4) الحيالي عبد الأمير عباس: **أبعاد الصراع الموريتاني–السنغالي في نهر السنغال**، مجلة الفتح، كلية التربية /جامعة جديالي، ع: الرابع والثلاثون، 2008، ص2.

(5) محمد فاضل، وسعيد ابراهيم كريريه: نفس المرجع، ص 22.

(6) **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي** (المجلد الثاني عشر إقليم غرب أفريقيا): جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، المملكة العربية السعودية، 1999م، ص45.

(7) عرف النهر عند السكَانَ المحليين باسم نهر زائير، وهي كلمة محرفة عن كلمة «نزارى» باللغة المحلية التي تعني نهر. أنظر: موسوعة المعرفة، نهر الكونغو، 2021/04/08، 23:05، في:
https://www.marefa.org/%D9%86%D9%87%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%88%D9%86%D8%BA%D9%88#cite_ref-Beadle1981_6-0

لمنبعهِ ومجراهُ ، حَيْثُ ينبعُ من حافةِ الهضباتِ المحيطةِ بهِ بالتّحدِيدِ بحيراتِ "بنجُويلُّو" و"مُويرُو" و"تنجَانِيقَا"(1) ، ويَجرِي باتّجاهِ جنوبيٌّ غربيٍّ، ثمّ الغربُ المنحَرفُ قلَيلاً إلَى الجَنُوبِ إلَى أَن يصبّ فِي المحِيطِ الأَطلسيّ (2). ومن أَهمّ روافِدهِ نَهُر "أُوبَنجِيّ" فِي الضّفةِ اليُمنىَ ونهرُ كَاسَاي فِي الضّفةِ اليُسرَى هذَا الأَخيرُ يمكنُ الاتّصالُ بالنّيلِ والسُّودَان ما يجعَلهُ صالَحاً للمِلاحَةِ. (3)

3- الثَّرواتُ الطَّبيعيةُ (المعدَنيَّةُ):

أ- **الذّهبُ**: تفرَّدتْ بِلَادُ السُّودَان بثَروَتِهَا المعدَنِيةِ خاصةً معدنُ الذَّهبِ الذِي كَانَ سبباً فِي شَهرَتِها منذُ القِدمِ بلْ أُنشِأت حولهَا العديدُ منَ الخُرافَاتِ حتّى سميّت بأَرضِ الذّهبِ (4). وكَانَ الذَّهبُ يستخرجُ من مَناجِمِ "ونقَاوه" فِي الجنوبِ وقد كَانَت هذِه المنطِقةُ كمَا ذُكرت فِي المصَادِرِ التَّاريخيّةِ هيَ المصدرُ الرئيسُ لتَموينِ العالَمِ بالذّهبِ لفترةٍ طويلةٍ، وقد كَانَ لهذَا الذّهبِ دورٌ فِي بناءِ إمبراطُورياتٍ عظِيمةٍ فِي المنطِقَةِ كإمبرَاطُورِيَّة غانَا ومَالي (5). وتعدُّ الأَشانتِي، ولوبِي، والضفَّةَ اليُسرى للقِسمِ العُلويّ من نهرِ الفُولتَا، ومِنطَقةُ كَانَو شَمالَ نيَجِيريَا أشهَرُ مناطقِ إستخرَاجِهِ. (6)

ب- **النُّحاسُ**: تعدُّ مَناجِمُ "أكجُوجْت" فِي الجَنوبِ الغَربِيّ لموريتَانيَا، ومَناجِمِ بلَاد الأيِيْر، وتَكْدَا من أَشهرِ أماكِنِ إستخراجِهِ حَيْثُ يُصَبُّ عَلَى شَكلِ قُضبانٍ صَغيرةٍ بطو شِبرٍ ونصفٍ، ثمّ يباعُ، والنّحاسُ أصفرٌ وأحمرٌ، وأهمُّ ما يُصنَعُ منهُ الأواني المنزِليّة، وبعضُ الأَسلِحةِ. (7)

---

(1) محمّد محيي الدين رزق: **أفريقيا وحوض النيل**، ط2، مصر، مطبعة عطايا بباب الخلق، 1934، ص8.

(2) شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق، ص33 و34.

(3) سمية تونسي، نور الهدى أقرابو: **الحواضر العلمية في السُّودَان الغَربِيّ ما بين القرنين (07-10هـ/13-16م) (غاو) نموذجا**، مذكرة ماستر، إش: د. مبارك جعفري، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية ،2020 جامعة أدرار، ص15.

(4) الهادي مبروك الدالي: التاريخ **السياسي والإقتصادي لأفريقيا جنوب الصحراء**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، د س، ص267

(5) نفس المرجع، ص281.

(6) مبارك جعفري: المرجع السابق، ص287.

(7) نفس المرجع، ص286،287.

ج– المِلْحُ: كَانَ للملحِ فِي السُّودَان الغَرِبِيّ مكَانَةً مهمّةً جداً إلَى درجةِ اتِّخاذِهِ قديماً كعُملةٍ (1) فضلاً عن إستخداماتِه الأُخرَى، ما يَجعلُهُ المنتوجَ الرّئيسي للمنطقةِ وأهمُّ مناجِمِهِ تاودَنِيّ –تبعدُ حَوالي سِتُّمَائةِ (كلم) شمَال تُمْبَكْتُو – حَيْثُ يستخرجُ منها أجوَدُ أنواعِهِ، بالإضافةِ إلَى مناطقَ تَغازَى، وتَكْدَا (2). وكَانَ الملحُ يستخدَمُ فِي الدِّباغةِ، وتجفِيفِ اللَّحمِ والسّمكِ، وصِنَاعةِ العَقاقِيرِ الطبيَّةِ.

المَطْلَبُ الثَّانِي: المَمَيِّزَاتُ البَشرِيةُ:

تَنتَمِي شُعوبُ المنطِقَةِ إلَى المجمُوعةِ الزّنجِيةِ الأَصليّةِ (الزُّنوجُ والأَقمَاحِ) (3) تضمُّ المجموعَةُ الزّنجيةُ الأَصليّةُ الشُّعوبَ الحاميّةُ الشَّماليةُ، وتضمُّ شعوبُ المنطِقةِ السَّاحليةِ الوُلُوفِ والسَّيرُو والتَّكرُور ثمَّ مجموعةُ "المانْد" الكَبيرةِ أما الشُّعوبُ الحاميةُ فتتألفُ من مجموعةِ شعوبِ الفُولاَنِي وهناكَ إختلاَفٌ كبيٌر حولَ نسبِ الهَوسَا. (4)

أمَّا بقيةُ شعُوبِ السُّودَان الغَرِبِيّ فقد ذكرَ ابنُ خَلدُونَ أنَّ " أولَهم ممَّا يلِي المحِيطَ أمَّةُ 'صُوصُو' وكَانَو مستَولينَ علَى غانَة ودخلُوا الإِسلامُ أيامُ الفتحِ، .... ثمَّ يليهِم أمَّةُ مَالِي من شَرقِهم، ثمَّ يليهِم أمةُ مَالِي من شرقِهم، ثمَّ من بعدِهم شرقاً عنهُم أمّةُ 'كُوكُو' ثمَّ التَّكرُورِ بعدهُم، وفِيمَا بَينَهُم وبينَ النَّوبةِ أمَّةُ كَانَم وغَيرهَا (5).

كمَا يتركَّبُ سكَانَ السُّودَان الغَرِبِيّ من عدَّةِ أَجناسٍ وقبائِلَ تتفرَّعُ من أُصولٍ زنجيّةٍ أَو حامِيّةٍ أو سَاميَّةٍ (6)، وَصلت المنطِقَةَ عن طَرِيقِ الهِجراتِ نتيجةَ الظُّروفِ الطّبيعيةِ واندَمجت بِالمصاهَرةِ والحمَايةِ القبليَّة أحياناً، وبمُرُورِ الزّمنِ تغيرت الملَامحُ الرَّئيسيةُ لهذهِ الأَجناسِ حتّى لمْ نعد نستطِيعُ تمييزهَا أو إرجاعَها إلَى أصلِهَا، أوِ الحُصولُ علَى مجموعاتٍ نقيةٍ محتَفظةً بنَقاءِ جنسِهَا. (7)

---

(1) حيث يقطع إلَى قطع صغيرة مختلفة الأحجام والأشكال، كما يستغل دقيقه بنفسه، أنظر: يحي بوعزيز: **تاريخ إفريقيا الغَربِيّة** ...، المرجع السابق، ص53.

(2) مبارك جعفري، المرجع السابق، ص286.

(3) تضم هذه المجموعة السلالات السُّودَانية والغينية وتنتشر في غرب أفريقيا شمال خط الاستواء.

(4) عدنان مراد: **المجتمعات الأفريقية**، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995، ص111

(5) ابن خلدون، ديوان العبر، المرجع السابق، ج5، ص236.

(6) محمد عوض محمد، **الشعوب والسلالات الإفريقية**، الدار المصرية، القاهرة، 1966، ص232.

(7) نفس المرجع، ص233.

ومن أَهمِّ القبَائلِ القَاطِنةِ بالسُّودَان الغَرِبِيّ نَجِدُ:

أ- **القَبَائِلُ العَربيّةِ**: قَدِمُوا من شَمالِ القارّةِ وساهَمُوا في نقلِ الإسلامِ إِلَيهَا يتوزَّعونَ اليومَ بينَ السِّنغالِ ومالِي والنَّيجرِ، كَمَا وبَعضُهُم إنصَهرَ فِي بقيةِ المجتمعاتِ الإفرِيقيةِ، وتُعتبَرُ قبائلُ الكُنْتَه (1) والبَرَابيِشِ (2) من أشهَرِ هذه القَبائلِ.

ب- **القَبائِلِ التَّارقِية (الطَّوارِقُ)** (3): أُختُلفَ فِي أَصولِهِم، أمّا موطِنهمْ فيقُولُ ابنُ بابِير الأَرَوانِي:" أنَّ الطّوارِقَ ظواعِنٌ فِي الصَّحراءِ، لَايستقِرونَ فِي مكَانٍ ولَيسَت لهُم مدِينَة يأوونَ إِلَيهَا...». (4)

ت- **قَبائلُ السُّونَنْك**: أَو السَّرَكُولِي أَو المارَكا مَوطنُهم الأصليّ في ديَاغَا "مَاسِينا" لكنّهم توجهوا إِلَى الشّمال الغَرِبِيّ أين أسّسوا مستوطناتٍ زراعيّةٍ فيمَا بقَي بعضُهم فِي "ديَاغَا". (5)

ث- **قَبائِلُ الفُولَانِ** (6): أختُلفَ فِي أُصُولِهم (7) تركّزو في غاوْ وتُمْبَكْتُو وجنّي اشتَهَرُوا بالرَّعي، وكَانَ لهُمْ دَورٌ كبيرٌ فِي نشرِ الإسلامِ.

(1) ينتسبون إِلَى الفاتح عقبة بن نافع الفهري، للمزيد حول نسب كنتة انظر: مبارك جعفري: **الأزواد**، مرجع سابق، ص125 فما بعدها.

(2) يرجع نسبهم إِلَى جعفر بن أبي طالب، ينظر: مبارك جعفري: **الأزواد**، مرجع سابق، ص119 فما بعدها. وبول مارتي: **من عرب مالي البرابيش بنو حسان**، تعريب محمد محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، د ت.

(3) تسمى كذلك: التوارق أو تاركا او تارغة او توارغ

(4) مبارك جعفري، الأزواد، المرجع السابق، ص116.

(5) Delafoss (Maurice), **Haut Sénégal Niger**. Les noirs de l'Afrique. Edition Payot, Paris, 1941, p256.

(6) يعتبرون من أكبر العناصر المكونة للقارة الإفريقية وينتشرون الان ب 20 دولة. ينظر: مبارك جعفري: الأزواد، مرجع سابق، ص134، الهامش.

(7) مبارك جعفري، نفس المرجع، ص136.

ج- **قَبَائِلُ التَّكرُورِ**: يُعرَفونَ كذلكَ بالتَّكلُور أو السَّاراكَولِي، ويعدُّ هذا الشّعبُ من أقدَم الشُّعوبِ السُّودَانيةِ وأشهرها، وربّما تعود شُهرَتُهم لأَسبقِيَتِهِم فِي اعتِنَاقِ الإِسلَامِ مُنذُ القَرنِ 5هـ /11م مَا زَالُوا يَقطُنُونَ بِمنطِقَةِ "فُوتَا السِّنغَال"، لَكن مَوطِنِهِم الأَصلِيّ هُوَ ضِفتيّ نَهرِ السِّنغَالِ. (1)

ح- **قَبَائِلُ السُّنغَايْ** (2): ينتشِرُونَ علَى طُولِ ثنيةِ النّيجر فِي منطَقَةِ البُحيرَاتِ ومنطِقةُ تُمْبَكْتُو إِلَى غاية غَاوْ ويمتدّون إِلَى غاية النّيجر الأسفل فِي منطقةِ سَاي. (3)

يُمكِنُ القَولُ أنَّ السُّودَانَ الغَربِيّ ظلَّ يشَكّلُ وِحدةً طبيعيّةً وبشريّةً منسجمةً منْ خِلالِ التَّبايُنِ الإِثنيّ والتَّضاريسيّ، كَمَا أنَّ هِجرةَ الإِنسانِ وحرَكتُهُ فِي هذَا النّطاقِ فَتَحَ البَابَ لنقلِ التّجارُبِ وتبادلِ الخبرَاتِ ماسَاهمَ فِي كتابةِ صفحاتٍ ناصعةٍ فِي تاريخِ المنطِقةِ.

المبْحَثُ الثَّالِثُ: لمحَةٌ تَارِيخِيةٌ عَنِ السُّودَانِ الغَربِيّ وأهمُّ حَواضِرِهِ

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: لَمحةٌ تَاريخيّةٌ:

يُعتبَرُ دُخُولُ الإِسلَامِ إِلَى منطِقَةِ السُّودَانِ الغَربِيّ نقطةَ التحوّلِ الكُبرَى فِي تَارِيخِهِ ، وقد وَصَلَ الإِسلامُ إِلَى مَشَارِفِهِ الشَّماليةِ العُليَا منذُ أَواخِرِ القَرنِ الأَولِ الهِجرِي، ومَطلَعِ القَرنِ الثَّامِنِ الميلَادِي، واستَمرَّ فِي التوسُّعِ والإِنتشَارِ حتَّى عَمَّهُ تماماً أواخرَ القَرنَينِ: الخَامِسِ الهِجريّ والحادِي عَشَرَ الميلادِي. وَرَافَقَ توغّلَ الإِسلامِ فِي السُّودَانِ الغَربِيّ اللّغةُ والثّقافةُ العَربيّةِ الإِسلامِيةِ وأَصبحَ إقليماً إِسلَامياً صِرفاً.

وكَانَ لشُعُوبِ المغرِبَ العَربِي (4) الدَّورُ البَارِزُ فِي تَحَوّلِهِ ونَقلِ الحضارةِ الإِسلاميّةِ إليهِ، من خِلَالِ قوافِلِ التّجارةِ، والدُّعاةِ، وَالمرشِدِينَ، والوعّاظِ، والعُلمَاءِ المصْلحينَ، بدونِ أن نُغفِلَ رجالَ الطُّرقِ الدِّينيةِ الصُّوفِيةِ كالقَادِريَةِ والتِّيجَانيةِ والسَّنُوسِيةِ.

---

(1) نور الدين شعباني: **محاضرات في تاريخ ممالك السُّودَان الغَربِيّ**، دار الجزائر، الجزائر، 2015، ص17

(2) ويطلق عليهم كذلك Sonay borey، أو سونوي تي Sonoy tey وقد استعمل هذا الإسم للدلالة على الشعب والبلد معا.

(3) نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص19.

(4) خاصة المرابطين وهم القبائل البربرية الصنهاجية التي استوطنت الشمال الإفريقي. للإستفاضة في الموضوع: علي محمد الصلابي: **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2003، ص11.

وقد مرَّ علَى السُّودَانِ الغَربِيّ خلالَ هذِه الفترةِ من تَاريخِها الوَسِيطِ والحدِيثِ مَجمُوعةٌ منَ الإِمَاراتِ والَممَالِكِ والإِمبرَاطُورياتِ الإِسلَامِيّةِ إختَلَفَت فِي فَترةِ بَقائِها ونُظمُهَا وَمَكَانَتها وتأثيرِهَا حَسبَ الظُّروفِ نذكرُ منهَا:

1- إِمبْرَاطُورِيَّة غَانَا : تأسَّسَت مَملكَةُ غانَا حَوالَي عام (300م)، واستمدَّت إسمَهَا من عَاصِمتِهَا القديمةِ (غَانَة)(1) والتِي تُدعَى كُومبِي صَالح، وَقَد مرَّ عَلَى حُكْمهَا كلٌّ منَ الطّوارقِ ثمَّ المرابطِين ثمَّ رزحَتْ تَحتَ حكمِ الصُّوصُو "السُّونَنكِيينَ" (2)، وقَد بَلغَت أَوجَّ قوَّتَهَا خلَالَ القَرنَينِ الرَّابع والخَامِسِ الهِجرِيينِ (10 و 11 الميلاديين) ، حَيْثُ فرضت سيطرتَهَا علَى الأَقَالِيم المجَاورَة ، كمَا كَانَت لها صِلاَتٌ تِجارِيَّةٌ وحَضاريةٌ مَعَ بُلدَانِ المغربِ نتيجةَ الجِوارِ الجُغرافِي ، فَقدْ كَانَت تقَعَ عندَ الطَّرفِ الجَنُوبِي لِطَرِيقِ القَوافِلِ التِّجارِيةِ عبرَ الصَّحرَاءِ الكُبرى بينَ سجَلْمَاسَّة(3)، فِي بلادِ المغرِبِ مارةً بتَغَازّة التِي اشتُهِرَت بِمنَاجِمِ المِلحِ(4).

وعمَّرت إِمبْرَاطُورِيَّة غَانَة حَوالِي ألفَ عامٍ ، كَانَ دُخُولُ الإِسلَامِ إِلَيهَا مبكراً حَيْثُ ذكرَ البَكرِي فِي المسَالِكِ أَنّ عَاصمَتَهَا كُومبِي صَالِح كَانَ بهَا إثنَا عشرَ مسجِداً .(5) وهُوَ ما يثْبِتُهُ القَلقَشَندِي حِينَ يَقُولُ عَن إسلَامِ أهلِ غَانةَ : " وكَانَ أَهْلُهَا أَسلَمُوا أَوَّلَ الفَتحِ"(6)، وَحدِيثِ البَكرِي عَن الهُنَيهِيين(7) ، وَيذْكُر إِبْرهِيمْ طَرخَان نَقلاً عن مُكتَشِفِ مَوقِعِ آثَارِ كُومْبِي صَالِح (مُونِي Mauny) أَنَّ الآثارَ تَدُلُّ عَلى حَضَارةٍ مُتَقَدِّمةٍ ، وأَنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ذَوِي بأسٍ شدِيدٍ لأَنَّهُم استَخدَمُوا الأَسلِحَةَ الحَديديَةِ فِي الإِنتصَارِ عَلَى جِيرانِهِم(8).

---

(1) بوعزيز يحي: المرجع السابق، ص21.

(2) للمزيد حول تطور مملكة مالي طالع: بوعزيز يحي، نفس المرجع ص21 فما بعدها.

(3) تسمى أيضا تافيلت وقد كَانَت حاضرة من حوار الثقافة الإسلامية المغربية، ينظر: عبد العالي المتليني: **علماء سجلماسة– تافيلات بين الإقامة والترحال في العصر الحديث والمعاصر: أعلام كتاب نشر المثاني وقصر تابوعصامت أنموذجا**، مجلة التراث، العدد 03، المجلد العاشر، أكتوبر2020، ص 120.

(4) مبارك جعفري: الأزواد، المرجع السابق، ص286.

(5) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا ...، المرجع السابق، ص28.

(6) ابراهيم علي طرخان: **إِمبْرَاطُورِيَّة عانة الاسلامية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف، 1970م، ص44.

(7) قوم من ذرية الجيش الذِي كَانَ بنو أمية أنفذوه إِلَى غانة، وهم على دين أهل غانة إلا أنهم لا ينكحون منهم. أنظر: ابراهيم طرخان، نفس المرجع

(8) ابراهيم علي طرخان: نفس المرجع.

واختفَت إمبْرَاطُورِيَّة غَانَا مِن مسرَحِ التّاريخِ مَطلَعَ القَرنِ (13م) (1)، غَيرَ أنَّ عَوامِلَ الإنهيارِ قَد بَدَأت قَبلَ ذلِكَ بِأمَدٍ طويلٍ ساهَمَ فِيهَا غَزوُ المرَابِطينَ ثمَّ قبَائلُ الصُّوصُو لِتخلُفَهَا دَولَةُ مَالِي (2).

2- إمبْرَاطُورِيَّة مَالِي (3):

قَامَت مَملكَةُ مَالِي عَلِى أَنقَاضِ مَملَكَةِ غَانَا إذ تَرَكَ تفكُّكُ دَولَةِ غَانَا (469هـ/1076م) فَراغاً سِياسياً فِي المنطِقَة إستَغَلَّتهُ قَبائِلُ (المَاندِنْجُو) بِزَعامَةِ سِندْيَاتَا كِيتَا(4) ، لِلسَّيطَرةِ عَلَى جُلِّ أجزَاءِهَا بِتَغَلُّبِهِمْ عَلَى قَبائِلِ الصُّوصُو ، وَيُقِيمُو دَولةً جَديدَةً سميّت فِي التَّارِيخِ بمَملَكَةِ مَالِي(5) ، وَهِيَ مِنَ أعظَمِ االممَالِكِ التِي قَامَت فِي بِلَادِ السُّودَانِ الغَربِيّ حَيْثُ شَمَلتْ فِي أَقصَى اتّساعٍ لها حُدودَ بِلادِ بَرْنُو شَرْقاً والمحِيطِ الأَطلسِي غَرباً والصَّحراءِ الكُبْرَى شَمالاً وفُوتَا جَالُون جَنُوباً (6) .

وَتُطلَق مَالِي عَلَى عِدَّةِ أَقَالِيمِ كَانَت مُستُقِلّةً ثُمَّ اجتَمَعَتْ تَحتَ حُكمِ صَاحِبِ مَالِي وهِيَ:

- إقلِيمُ مَالِي وسمِيَّت الإِمبْرَاطُورِيَّة باسمِهِ وهوَ جزءٌ منهَا وعَاصِمتُهُ (بَنْبِي) أو (أُوبَامْبَا).
- إقلِيمُ صُوصُو إلَى الغَربِ مِن مَالِي فِي (كَانَيَاجَا).
- إقلِيمُ غَانَة غَربَ صُوصُو ويمتدُّ إلَى المحِيطِ الأَطلسِي وبِهِ منَاجِم الذَّهبِ.
- إقلِيمُ كُوكيَا شَرقَ إقلِيمِ مَالِي.

(1) يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا..، المرجع السابق، ص 28.

(2) ابراهيم طرخان، إمبْرَاطُورِيَّة غانا الاسلامية، المرجع السابق، ص51.

(3) أختلف في إسمها فيطلق عليها البكري اسم (ملل)، بينما نجدها عند السَّعْدي (ملي) ويعرفها كعت على أنها (مل)ن ويطلق علهي العرب (مل) أو (مليت). أنظر: الهادي مبروك الدالي: **مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15)**، تق: محمد رزوق، ط1، دار الملتقى، 2001، ص23-24.

(4) يعتبر أول ملوك دولة مالي حيث استطاع إقامة دولة مالي بتغلبه على ملك الصوصو 1235م.

(5) المرجع نفسه، ص23.

(6) مولاي محمد: القضاء والقضاة ببلاد السُّودَان الغَربِيّ، المرجع السابق، ص25.

- إقلِيمُ التَّكرُورِ غَربَ كُوكيَ-دَولةُ السَّنغالِ حَالياً- قَاعِدتُهُ تَكْرُور. (1)

وَظَهرَتْ مَالِي كأَغنَى مركزٍ تجَارِي فِي السُّودَانِ الغَرِبِيّ، وعَمِلَ مُلُوكُهاَ علَى تُوسِيعِ المملَكةِ والسَّيطَرةِ علَى مَصادِرِ الذَّهبِ، من أَشهَرِهِم الملِكُ "مَنسَا مُوسَى"(2) (1332/1307م) الذِي تمكّنت الإمبرَاطُورِيَّة فِي عَهْدِهِ مِنَ التَّوسُّعَ فِي تُمْبَكْتُو، ووَلَاتَة، وأَغلبِ المرَاكِز الحَضارِيّةِ باستِثنَاء حَاضِرَتَي (جِنّي) و (مُوسِي) (3). واتَّفقَ أَغلَبُ المؤَرّخِينُ بأنَّ سُكَّانَ مَالِي من أَكثرِ زُنُوجِ إفريقيَا رُقِياً وذَكَآءً وأمهَرُهُم صِناعةً وأشدُّهُم تَمَسكاً بالإِسلَامِ. لِتدخُلَ مَملَكَةُ مَالِي دُورَ الضَّعف بَعدَ وَفَاةِ مَنسَا مُوسَى، وَتُصبِحَ فِي مُنتَصَفِ القَرنِ(17م) مُجَرَّدَ مَملَكَةٍ صَغِيرَةٍ وَرِثتهَا مَملَكَةُ سُنغَايْ.

3- مَمْلَكَةُ سُنغَايْ:

تأسّسَت هَذِهِ المملَكَةُ فِي القِرنِ السَّابِعِ المِيلَادِي عندمَا استَقرَّت بَعضُ قَبائِلِ لَمطةَ البَربَرِيةِ عَلَى الضفَّةِ اليُسرَى لنَهرِ النَّيجَر، لتُأَسِّسَ أُسرةً حَاكِمةً سُمِيَت "دِيَا"(4) ولُقِّبَ أمَراءُها بِ "زَا"(5) حَتَّى سَنَة (736هـ/1335م) ثُمّ بِ "سِنّي"(6)، وكَانَتْ عَاصِمتُهُم "كُوكيَا"(7) فِي المنطِقَةِ الغَربِيّةِ لحدُودِ نَيجِيريَا الحَالِيةِ علَى بُعدِ 75 (كلم) جَنُوبَ غَاوْ الحَالِية (8) وتُعتَبرُ أوَّلَ مرحلةٍ فِي تطوُّرِ سُنغَايْ.

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص29.

(2) منسا : معناها السلطان بلُغة الماندينغ.

(3) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص30.

(4) يحي بوعزيز، نفس المرجع، ص37.

(5) لقب "زا" بمعنى المحرر. ينظر: سمية تونسي، نور الهدى أقرابو، الحواضر العلمية في السُّودَان الغَرِبِيّ، المرجع السابق، ص10.

(6) "سني" من السنة النبوية. ينظر نفس المرجع، ن ص.

(7) كوكيا: تدهورت أوضاعها وانتقلت العاصمة إلَى غاو (كوكو). ينظر: محمود كعت: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تح: هوداس دولافوس، د م ن، 1964م، ص110.

(8) آمنة محمود الذِيابات: **أحمد بابا التمبكتي ومنهجه في كتابه (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)**، مجلة المشكاة، جامعة حائل، المجلد الثالث، العدد2، حزيران 2016م، ص412.

ومَعَ تَولّي سِنّي "عَلِي الكَبِير" (1) سَنةَ 1464م تبدأُ المرحَلةُ الثَّانيةُ مِن تَاريخِ مملَكةِ سُنغَايْ، لَيَتمَكَّنَ فِي فَترَةٍ وَجِيزَةٍ مِن إحدَاثِ نَقلَةٍ نَوعِيةٍ للمَملَكةِ وتَحوِيلِهَا من دُوَيلَةٍ صَغِيرةٍ إِلَى مملكَةٍ مُترَامِيةِ الأَطْرافِ تَمتَدُّ منَ المحيطِ الأَطْلسِي غَرباً، إِلَى إمَارَاتِ الهَوسَا شَرقاً، وَوَسَطِ الصَّحرَاءِ شَمَالاً، وَبِلادِ الموسِى جَنُوباً وَدَامَ حُكمُهَا أَكثَرَ مِن قَرنٍ وَنِصف إذ استَمرَّت حَتَّى عامَ 1492م. (2)

بَعدَ الأَسقِيَا محمَّدٍ الكَبِير(3) (1493-1428م) الذِي نَجحَ فِي الإستحْوَاذِ علَى السُّلطَة مُستَغِلاً وُقُوفَ العُلَمَاءِ فِي صَفِّهِ(4) ، لِيُسَاهِمَ فِي تَطوِيرِ النِّظامِ الإدارِيّ وتَثبِيتَ أركَانِ إمبْرَاطُورِيَّتِهِ لتَغدُوَ أَكبَرَ إمبْرَاطُورِيَّةٍ فِي غَربِ إفرِيقيَا سَواءً مِن حَيْثُ المسَاحَةِ أَو تِعدَادِ السُّكَانِ والتّنظِيمِ والحَضَارةِ ، وعَرفَتْ البِلادُ فِي عهدِه نهضَةً حَضَارِيَّةً خَاصَّةً بعدَ تَأسِيسِه لِجامِعةِ سَنْكُورِي ،وتحوّلتْ جِنّي وَتُمْبَكْتُو إِلَى حَواضِرِ إسلَامِيةِ وَمرَاكزٌ لِنشرِ العِلمِ ، فِي وقْتٍ كَثُرت فِيهِ زيارَاتُ العُلَمَاءِ أَمثَالُ مُحَمَّدُ ابنُ عَبدِ الكَرِيمِ المغِيلِي(5) .

واختُتِمَ هذَا العَهْدُ مَعَ الأَسقِيَا إِسحَاقَ الثّانِي (1588م-1591م) بَعدَ أَن تَضَعضَعت أَحْوَالُها مَا جَعلَهَا عُرضَةً لحمْلاَت الغَزْوُ، لِتَنتَهِيَ علَى يدِ المنصُورِ السَّعْدي ويَنتَهِي حُكْمُ عائِلةِ الأَسِيقِيين لتَبدَأَ مرحَلةٌ جدِيدَةٌ تَولَّى فِيهَا المغرِبُ الأَقصَى حُكمَ سُنغَايْ.

(1) سني على ابن سليمان دام ينتسب إلَى اسرة ضياء التي نزحت من طرابلس الغرب واستقرت في تلك الأماكن. أنظر: عبد القادر زباديه: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين (1493م-1591م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص26.

(2) أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ (الإسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء أفريقية منذ دخولها الإسلام حتّى الان)**، الجزء 6 ، ط6، مكتبة النهضة المصرية، 1998، القاهرة، ص121.

(3) أورد المغيلي أن محمد توري من أصل سراكولي قدم أجداده من الجنوب الموريطاني أثناء حدوث إضطرابات في مملكة غانة مع نهاية القرن 11. أنظر: عبد الكريم المغيلي: **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تقديم وتحقيق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974، ص53.

(4) رشيدة السعيدي: **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا إمبْرَاطُورِيَّة سنغاي الإسلامية أنموذجا (النشأة والتطور)**، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج: 02، ع:01، المدية، جوان 2018، ص178.

(5) بقي في ضيافة الأسقيا وقدم إليه سبعة أسئلة حول مسائل شتى (دينية ودنيوية) أجابه عنها إجابة دقيقة، وشافية، ومقنعة كَانَ لها دور في تطهير المجتمع السنغاوي من الخرافات والوثنية. راجع: رشيدة سعيدي، المرجع السابق، 179. ويحي بوعزيز، المرجع السابق، ص38.

المَطْلَبُ الثَّانِي: أَهمُّ حَواضِرِ السُّودَانِ الغَرِبِيّ:

1- **تُمْبَكْتُو** (1): تُعَدُّ مِن أَعظَم حَواضِرِ السُّودَانِ الغَرِبِيّ عَلَى الإِطلاقِ ، تَقعُ عَلَى بعدَ اثنَي عَشرَ مَيلاً عَن أَحَدِ فُرُوعِ النَّيجَر (2). يَعُودُ تَأسِيسُهَا حَسبَ المؤرخِ عَبْدُ الرَّحمَانِ السَّعْدي علَى يَدِ طَوَارِقِ مغْرَشَنْ فِي أَوَاخِرِ القَرنِ الخَامسِ الهِجْرِي (5هـ) الحَادِي عَشَرَ الميلَادِي(11م) (3). بَرزَت هَذِه المدِينةُ كَمَدِينَةٍ تِجارِيةٍ ثُمّ تَحولَت إِلَى مرْكَزٍ ثقَافِيّ، وبِالتّالِي لَعِبَتْ الدَّوْرَينِ التِّجارِي، والثّقَافِي فَالدَّورُ الأَولُ لَعِبتهُ مُنذُ نشأَتَهَا وذلِكَ لِوقُوعِهَا فِي مُلتَقَى القَوافِلِ البَرِيّةِ عبرَ الصَّحرَاءِ والقَوافِلِ النّهرِيةِ التِي تَسِيرُ بِنهرِ النَّيجَر، غَيرَ أَنّهَا بلَغتْ ذُروَةَ ازدِهَارِهَا الإِقتِصَادِي فِي القَرنِ (10هـ/16م)، والذِي عُرِفَ بالعَصرِ الذَّهبِي لتلكَ المدِينةِ. وقدْ قَالَ عَنهَا مَحمُودْ كَعتْ (4): "فتُمْبَكْتُو يَومَئذٍ لَا نَظِيَر لَهَا فِي البُلدَانِ فِي بِلادِ السُّودَانِ إِلَى أقصَى المغْرِبِ ....." وقَالَ عنهَا السَّعْدِي:" البَلدةُ الطّيبةُ الطَّاهِرةُ ... مَا دَنَّستهَا عِبَادَةُ الأَوثَانِ، وَلَا سُجِدَ عَلَى أدِيمِهَا قطُّ لِغيرِ الرّحمَانِ"(5)، كَمَا وَصَفَهَا العَدِيدُ منَ الرَّحالَةِ الغَربِيّين مِثلَ فِيلِيكْسْ دِيبْوَا (Felix Dubois) الذِي قَالَ عَنهَا: "حَقاً إِنهَا تَبدُو فِي الأُفقِ بِعَظَمةِ المملَكةِ، إِنَّهَا حقاً مَدِينَةُ الخَيالِ ...."(6). وظلَّت لقُرونٍ عدِيدَةٍ تتصدَّرُ قائمةَ حَواضِرَ السُّودَانِ الغَرِبِيّ إِلَى أنْ اختَفَتْ تُمْبَكْتُو مِن ساحَةِ التَّاريخِ مَعَ دُخُولِ الإِستِعمَارِ الأُورُوبِي واستِيلَاءِ الفَرنْسِيينَ عَلَيَهَا نِهَايةَ القَرنِ (19م).

---

(1) قامت المدينة حول بئر ماء كَانَت تقف عندها القوافل، وكَانَت تقيم قربها عجوز تدعى بوكتو، فعرف المكَانَ باسمها ونطقت تين بوكتو. للمزيد أنظر: عمر بن سالم بابكور: **النهضة العلمية والثقافية في مدينة تمبكت الإسلامية في القرن (10هـ/16م)**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية ،2004، ص1. وأورد العديد من المؤرخين أن اسمها مركب من: "تين" وتعني بالتارقية "مكَان" وبوكتو هو اسم العجوز. للمزيد انظر: عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين**، مرجع سابق، ص100.

(2) الحسن ابن محمد الوزان ليون الافريقي: **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حاجي ومحمد الأخضر، جزآن، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص165.

(3) عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السَّعْدي: **تاريخ السُّودَان**، تحقيق هوداس، باريس، 1981، ص20.

(4) محمود كعت: المرجع السابق ن ص179.

(5) عَبْدُ الرَّحمَانِ السَّعْدي: المصدر، السابق، ص ص20،21.

(6) فيليكس ديبوا: **تُمْبَكْتُو العجيبة**، ترجمة عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، مراجعة شوقي عطاالله الجمل، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص 43.

2- **مَدِينَةُ جِنِّي**: تأسّسَتْ المدِينَةُ العَرِيقةُ عَلَى الضفَّةِ اليُسرَى لِنهْرِ بَانِي (1)، وَاختُلِفَ فِي تَارِيخِ انشَائِهَا حَيْثُ يَرَى البَعضُ مثلَ السَّعْدِي أَنهَا تأسَّست فِي القَرنِ (2هـ-7م) بَينَماَ يرَى البَعضُ الآخَرُ أَنَّها أُنشِئتْ فِي القَرنِ الخَامِسِ الهِجرِي فِي القَرنِ(5هـ-11م) (2) ذَكَرَ السَّعْدِي بِأَنَّهَا " سُوقٌ عَظِيمٌ لتِجارَةِ الملحِ المجْلُوبِ مِن مَنَاجِمِ تِيغْزَا والذَّهبُ المجلُوبُ مِن بَط"(3). أمَّا فِيليكْس دِيْوا (Felix Dupois) فَيَقُولُ عنهَا: "إنَّ جِنِّي هيَ جَوهَرَةُ وَادِي النِّيجَر، وأَنَّها مدِينةٌ بكلِّ مَا تَحمِلُ الكَلِمةُ من مَعنَى، وبِالمفْهُومِ الأُورُوبِي للكَلِمةِ..... وأَنَّهَا تُشبهُ غَرنَاطَة وقُرطُبة."(4) كَمَا زَارَهَا كُلٌّ مِنَ الرحَّالَةِ الفَرنسِي رُوبِي كَايِّيه (Caillié) سنة (1243هـ-1828م) والرحَّالةُ الألمانِي هِنرِي بِارْتْ ((Henri parth مَا بينَ (1853-1855م) وَوصَفَاهَا بِمَا وَجَداهُ فِيهَا مِن نَشاطٍ وَعمَل. إنهَارَت المدِينَةُ بَعدَ سُقوطِهَا بيدِ الإستِعمَارِ الفَرنسِي فِي (1310هـ-1893م) (5).

3- **مَدِينَةُ قَاوْ**: حَمَلتْ عدّةَ أَسماءٍ منهَا: "جَاوْ"،"كُوكُو"،"كَاغُو"،"جَاغْ، تَقَعُ عَلَى الضِّفَّةِ اليُسرَى لِنهرِ النِّيجَر وَتَبعُدُ عَن تُمْبَكْتُو بحوالِي 450 (كلم) (6). وأرجَعَ بَعضُ المؤَرِّخِينَ تأسِيسَهَا أَوَاخِرِ القَرْنِ (8م-2هـ) ، استَوطَنتهَا عَناصِرَ مِن بَرَابِر شَمَالِ إفرِيقيَا .(7) بَلَغَت مجدَهَا فِي عَهدِ الأَسِيقِيينَ حَيْثُ أَصبَحتْ عَاصِمةً لَهُم لكِنّهَا لَم تصِل إِلَى مكَانَةِ تُمْبَكْتُو(8) وَجِنّي ، إذ زَارَهَا ابنُ بَطُّوطَة سَنَةَ (754هـ-1353م) فَوَصَفَهَا بِأَنّها "مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ منْ أَحسنِ مدنِ السُّودَانِ

(1) نجاة مباركي ووهيبة داداه: **الحواضر الإسلامية ودورها في السُّودَان الغَربِيّ "حاضرة جنّي نموذجا خلال الفترة (6-10هـ/12-16م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إشراف: د. سالم بوتدارة، تخصص تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، قسم العلوم الانسانية، جامعة أدرار ،2020م، ص16.

(2) عطية مخزوم الفيتوري: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء**، ط1، جامعة قازيوس، بنغازي، 1998، ص288.

(3) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص193.

(4) فيليكس ديبوا: المصدر السابق، ص ص 76 ،77

(5) مبارك جعفري: المرجع السابق، ص74.

(6) مبارك جعفري: الأزواد دراسة تاريخية ...، المرجع السابق، ص66.

(7) يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغَربِيّة، المرجع السابق، ص190.

(8) يرى الحسن الوزان أنها فاقت تُمْبَكْتُو في التحضر. حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص169.

وأَكبَرها فِيهَا خَيرَاتٌ كَثِيرةٍ ويَتعَامَلُ أَهلُهَا بِالوُدْعِ "(1) ، واستَمرَّت فِي النُّموّ والنّهضَةِ إِلَى أَن غَزَاهَا المَغَارِبَةُ علَى عِهْدِ السُّلطانِ أَحمَدَ المنصُورِ السَّعْدِي فبَدأَت فِي التّدَهوُرِ إِلَى أَنْ غزَاهَا الطَّوارِقُ وضَاعَ صِيتُهَا بِقُدُومِ الإِستِعمارِ الفَرَنسِي فِي القَرْنِ (19م)، وهِيَ اليَومَ عَاصِمَةٌ لإِحدَى وِلَايَاتِ مَالِي (2).

4- **وَلَاتَه:** تَقَعُ إِلَى الشَّمَالِ الغَرْبِيّ مِن تُنْبُكْتُو وَمعْناهَا الأَرضُ المرتَفِعَةُ ، تُعتَبَرُ آخرَ مُدُنِ شَنْقِيطَ مِن جِهَةِ الجَنُوبِ ،تَأَسسَتْ فِي القَرنِ (1هـ/7م)، وكَانَت وَلَاتَه أَو "بِيرُو" كَمَا كَانَت تُسمَّى فِي العَهدِ الغَانِيّ(3) ، بِمثَابَةِ امتِدَادٍ لِمدِينةِ التُّجَّارِ المسلِمينَ فِي "غَانَة" فَقدْ لَجَأُوا إِلَيهَا خَائِفِينَ مِن بَطشِ "الصُّوصُو" قَبْلَ أَنْ يُسَيطِرَ مَلِكُ مَالِي علَيهَا ، لِيَتَحَوَّلَ اسمُهَا بَعْدَ ذَلكَ إِلَى "إِيُولَاتَنْ" ، ثمَّ عُرِّبتْ لِتُصبِحَ "وَلَاتَه" بِدَايَةَ العَهدِ الشَّنقِيطِي ، حَيْثُ مثَّلَتْ حَلقَةَ رَبطٍ بَينَ التَّكرُورِ وَبِلَادِ شَنقِيطَ فَمِنْ خِلَالِ عُلَمَائِهَا انتَقَلَتْ أَسَانِيدُ "المنظُومَةِ التَّكرُورِيّةِ" إِلَى عُلَمَاءِ "المنظُومَةِ الشَّنقِيطِيةِ" النَّاشِئَةِ ، وفِي مَدَارِسِهَا تَشكَّلَت التَّقالِيدُ العِلمِيةُ الجَديدَةُ (التفَنُّنُ فِي المبَاحِثِ الكلَامِيةِ، وانتِشَارُ الشِّعرِ العَرَبِيّ والتأَنُّقُ فِي تَطوِيرِ أَشكَالِهِ)(4).

ونَسَجَت وَلَاتَةُ عَلَاقَاتٍ عِلْميةٍ وَتِجَاريةٍ مَعَ بَاقِي الحَواضِرِ فِي السُّودَانِ الغَرِبِيّ خَاصَّةً "تَوات" بِفضْلِ قَبِيلَةِ كُنْتَه وَشَيخُهَا أَحمَد البَكَّايْ (ت 909هـ/1504)، واستَمرَّتِ العَلاَقَةُ فِي التَوثُّقِ بَعدَمَا هَاجَر إِلَيهَا الكثِيرُ من عُلَماءِ تَوَاتْ كَصَاحِبِ فَتحِ الشَّكُورِ الشَّيخُ زَيدَان بنُ الشَّيخِ محمَّد بنُ أحمَد (ت 1202هـ/1788م) وَقَد قَدِمَ إِلَيهَا أَربَعَ مَرَّاتٍ حَامِلاً وِردَ الشَّيخِ عَبدِ المَلِكِ الرَّقانِيّ وَكَانَ رَسُولُهُ إِلَيهَا. (5)

واشْتَهَر مِن عُلَمَائِهَا جَمعٌ غَفِيرٌ نَذكُرُ مِنهُم: الشَّيخَ أَحْمد الوَالِي(ت1014هـ/1605م)، والعَالِمَ عُمَر مَامَا (ت1201هـ/1786م)، والشَّيخُ أَبُو عَبدِ الله الطَّالِب محمّد بنُ أَبِي بَكرٍ البَرتَلِي الوَلَاتِي (6) (ت1219/1805م).

---

(1) محمد بن عبد الله ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار صادر، بيروت، 2001، ص 404، 405.

(2) يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 190، 191.

(3) الشنقيطي أحمد بن الأمين: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط2، 1958، ص459.

(4) عبد الودود ولد عبد الله (ددود): **الفقيه والمجتمع في الحواضر الصحراوية محمد يحيى "الفقيه" ومجتمع (ولاتة) –نموذجا**، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، العدد:8، ديسمبر2015، ص 157.

(5) مبارك جعفري: **العلاقات الثقافية بين توات والسُّودَان الغَربِيّ خلال القرن 12**، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2009، ص253.

(6) صاحب فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور والذِي صنفه لتراجم علماء المنطقة والذِين جاءوا من خارجها كتوات وبلاد المغرب.

الفصل الأول

التعريف بالرحالة ورحلته

الفَصْلُ الأوّلُ

التّعرِيفُ بِالرحّالَةِ وَرِحلَتِهِ

المبْحَثُ الأَوّلُ:

مَفْهُومُ الرِّحْلَةِ عُمُوماً وأَهَمِيّتِهَا

المَبحَثُ الثَّانِي:

التّعرِيفُ بالرحَّالةِ "محمَّد يحيَى بنُ ابُوه" وَعصرُه

المبْحَثُ الثَّالِثُ:

التَّعرِيفُ بِرِحلَةِ محمَّد يحَيى بنُ ابُوهُ اليَعقُوبِي

المبْحَثُ الأَوّلُ: مَفْهُومُ الرِّحْلَةِ عُمُوماً وأَهَمِيّتِهَا

الرِّحلةُ سُلُوكٌ إنسَانِيٌّ فُطِرَ عَلَيهِ الإنسَانُ مُنذُ أَن كَانَ يَبحَثُ عَن طَعَامِهِ فِي البَرّيةِ، فَالإرتِحالُ غَريزَةٌ إنسَانِيةٌ تَدفَعُ الإنسَانَ إِلَى التنقُّلِ لأَسبَابٍ وأَهدَافٍ عَدِيدَةٍ، سَواءً لِلحَاجَةِ الجِسمِيةِ كَالماءِ والغِذَاء، أَو لحَاجةٍ رُوحِيّةٍ بِغَرِضِ الإستِكْشَافِ والبَحثِ لإشبَاعِ فُضُولِ مَعرِفَةِ الآخَر. وَمَهمَا يَكُن تُعتَبَرُ الرِّحْلَةُ مَادَّةً غَنِيّةً تُزَوِّدُنَا بِمَعلُومَاتٍ تَارِيخِيةٍ وجُغرَافِيةٍ عَنِ المكَانِ والزّمَانِ الذِي وُجِدَ فِيهِ الرحَّالَةُ، فَيُمكِنُ إعتِبارُهَا سِجِلاً تَارِيخِياً يَحفَلُ بِكُلِّ أَلوَانِ الحيَاةِ السِّياسيّةِ والإقتِصادِيّةِ والإجتِمَاعِيةِ والعِلمِية.

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: مَفْهُومُ الرِّحلَةِ

1. لُغَةً

الرِّحْلَةُ فِي لُسَانِ العَرَبِ مِن مَادَّةِ "رَحَلَ" وإِسمُهَا "الرَّحْلُ" والرَّحْلُ عِندَ ابنِ مَنظُورٍ [1] هَوَ: "مَرْكَبُ لِلْبَعِيْرِ وَالنَّاقَةِ، وجَمعُهُ أَرْحُلٌ وَرِحَالٌ، قَالَ طُرفَةُ، والرِّحالةُ: نَحْوَهُ، كُلُّ ذَلكَ مِن مَرَاكِبِ النِّسَاءِ." والرَّحْلُ فِي مُعجَمِ الفُقَهَاءِ: بِفَتحِ الرّاءِ وسُكُونِ الحَاءِ، جَمعُهَا رِحَالٌ وأَرحُلٌ مِن رَحَلَ عنِ المكَانِ: تَرَكَهُ وغَادَرَهُ. [2] وَوَرَدَ عِندَ الفِيُومِي أنَّ الرَّحْلَ: "كُلُّ شَيْءٍ يُعَدُّ لِلرَّحِيلِ مِنْ وِعَاءٍ لِلْمَتَاعِ وَمَرْكَبٍ لِلْبَعِيرِ وَحِلْسٍ وَرَسَنٍ وَجَمْعُهُ أَرْحُلٌ وَرِحَالٌ. وَوَرَدَ ذِكرُ الرِّحْلَةِ فِي القُرءَانِ الكَرِيمِ حَيثُ يَقُولُ اللهُ عزَّ وَجلَّ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ (قُرَيش: 2-3) مُشِيراً إِلَى أهلِ مَكَّةَ الذِينَ أَلِفُوا الرّحلةَ بغَرضِ التِّجارةِ معَ الشّامِ واليَمَنِ. [3]

وجِمَاعُ هَذَا أنَّ الرِّحلةَ هِي قَصدُ شَخْصٍ أو أَشخَاصٍ أَوِ الإنتِقَالُ بينَ الأَماكِنِ علَى رِكَابِ البَعِيرِ ويَدخُلُ فِي الأَمرِ الرِّجَالُ والنِّسَاءِ.

2. إِصطِلَاحاً

تُعرِّفُ دائِرةُ المعَارِفِ الرِّحلَةَ بأَنّهَا:" انتِقَالُ واحدٍ او جَماعَةٍ أَو قَبِيلَةٍ أو أُمَّةٍ مِن مَكانٍ إِلَى آخَرَ لمقَاصِدَ مختَلفَةٍ وأَسبَابٍ مُتعدِّدةٍ، كَجدْبِ بِلَادِهِم أَو ضَيقِهَا أَو الإضطِهادُ الوَاقِعِ علَيهِم، أَو عَلَى أَثَرِ حُروبٍ أَتلَفَت أَرزاقَهُم وأَسبَابِ مَعيشَتِهِم، وَمَعَ هَذِهِ الأسبَابَ تُسمَّى رَحلَاتُهُم مُهاجَرةٌ، وهَذا شَأْنُ الأُمَمُ مِن قَدِيمِ الزَّمانِ"[4]. والرّحلةُ هِي تَدْوِينُ الرحَّالةِ

(1) بن منظور محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط6، ج6، بيروت، دار صادر: 2008م، ص122،121.

(2) محمد رواس قلعجي- حامد صادق قنيبي: **معجم لغة الفقهاء المؤلف**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988 م، ص220

(3) محمد بن سعود الحمد: **موسوعة الرحلات العربية والمعربة والمخطوطة والمطبوعة معجم ببليوغرافي**، ط1، دار الكتب والوثائق العلمية، القاهرة، 2007، ص37.

(4) بطرس البستاني: **دائرة المعارف**، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، طهران، ج8، د.ت، ص564.

لأَخبَارِ أسفَارِهِم مِن خِلَالِ ذِكرِ المُدُنِ التِي زَارُوهَا والمسَافَاتِ التِي اجتَازُوهَا والصُّعُوبَاتِ التِي تَغلَّبُوا عَليهَا، وَوَصْفُ البِلادِ وسُكَّانِها [1]. فَتَشتَرِكُ بذَلِكَ فِي عِدّةِ مجَالَاتٍ عِلمِيَّةٍ مِنهَا الجُغرَافيَا، التَّارِيخُ، الأَدَبُ، علمُ الإجتمَاعِ، الإثنُوغرَافيَا [2]... لِذالِكَ اختَلَفَت مَفَاهِيمُهَا وتَعدَّدَت غَايَاتُها.

المَطْلَبُ الثَّانِي: أَنْوَاعُهَا

يُمكِنُ اعتبَارُ الرِّحلَةِ نَوعاً منَ الحرَكَةِ ، تَختَلِفُ أَنواعُهَا بِاختِلَافِ الغَرَضِ مِنهَا ، فَيمْكِنُ تَقسِيمُ دواعِي الرِّحلةِ إِلَى قسمَينِ رَئِيسيينِ : دَوَاعٍ يَسَّرَهَا المجتَمَعُ ، وتُسَمَّى "مُيسِّراتِ الرّحلَةِ" ، فِيمَا نَجِدُ دَوَاعٍ شَخصِيةٍ دفَعَتْ كلَّ واحِدٍ منَ الرحَّالَةِ إِلَى القِيامِ بِرحْلَتِهِ ، ونُسَمِّي هَذِه بِ "أَسبَابِ الرِّحلَة"[3] فنَجِدُ هَذِه الدّوافِع تَختلِفُ مِن زَمَنٍ لِآخَرَ وبَينَ الأَفرَادِ والجَماعَاتِ –كَرَحَلَاتِ العَربِ والغَربِيّينَ – غَيرَ أَنَّها لَا تَخرجُ مِن إِطَارِ كَونِها[4]: دَوافِعَ دِينِيةً ، عِلمِيةً، دَوافِع سياسيّةٍ ، سياحيّةٍ ، إقتصاديةٍ ، صِحيّةٍ ، أَو لأَسبَابٍ إضطِرارِيةٍ كاللُّجوءِ أَو الهَربُ خَوفَ عُقوبَةٍ أو إثرَ سخطٍ من أوضَاعِ البِلَادِ وضَيقِ العَيشِ.

ومِن هُنَا تَظهَرُ صُعوبَة تَقسِيمِ الرَّحَلاَتِ إِلَى أنواعٍ إذ سَيبدُو التَّداخُلُ بينَهَا وَاضِحاً جِداً [5]، فَنرَى الأُستاذَ "صَلَاح الشَّامِي" قَسَّمَهَا إِلَى سِتَّةِ أَقسَامٍ، فِيمَا قَسَّمهَا الأُستاذَين "محمّد حُسين فَهيم" و "محمَّد الفَاسِي" قسَّم الرِّحلةَ إِلَى خمسَة عَشَرَ قِسماً[6]، وهُنَاكَ مَن وَضَعَ لهَا أقسَاماً أَكثرَ من ذَلكَ، وعَلَى العُمومِ تُصنَّفُ الرّحَلَاتُ علَى المِنوَالِ التَّالِي:

(1) نيقولا زيادة: **الجغرافيا والرحلات عند العرب**، الشركة العالمية للكتاب، لبنان،1987، ص16.

(2) الإثنوغرافيا: علم يهتم بدراسة ووصف أسلوب حياة الشعوب والأعراق وتحليل تقاليدها وعاداتها وأصناف التراث الخاصة بها. للمزيد طالع: مريم دهان: **المقاربة الاثنوغرافية، تعريفها، مميزاتها وتقنياتها، وعلاقتها بدراسة الجمهور**، مجلة تاريخ العلوم، جامعة الجزائر03، العدد الثامن، جوان 2017، ص32.

(3) حسن نصار: **أدب الرحلة**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1991، ص4.

(4) فؤاد قنديل: **أدب الرحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2002، ص–ص19–20.

(5) سميرة انساعد: **الرحلة إلَى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص23.

(6)الرحلة الحجازية، السياحية، الرسمية الدراسية الزيارية الأثرية السياسية، الاكتشافية، العلمية، المقامية، الدليلية، الخيالية، الفهرسية، السفرية، العامة. انظر: حسين نصار: المرجع السابق، ص20.

1. الرّحَلاتُ الدّينِيةُ

لَطَالما كانَ الدّينُ[1] مُحرّكَ الأُممِ والحَضَاراتِ ولَطالَما دأَبَ الإنسانُ علَى ربطِ مُعظَمِ أعْمَالِهِ وَتَنقُّلَاتِهِ بِهِ ، وهَذَا ما نَجِدُهُ واضِحاً فِي الأمَاكِنِ المقَدَّسةِ فِي العالمِ والتِي يقطَع المتدينُون – خاصّة مؤْمِنُوا الدّيانَاتِ الكُبرَى – مَسَافَاتٍ طويلةٍ لِتَحْقيقِ الطُّمَأنينَةِ المنشُودةِ مِنهَا فبالنّسبةِ للمُسلِمينَ يمثّلُ هَذا العَامِلُ السَّبَبَ الرئِيسَ لأغلبيّةِ المتَوجّهينَ إلَى المشرِقِ الإسلَامِي ، فَهُوَ العَامِلُ الذِي يشُدّ الرحَّالةُ العَربُ المسلِمينَ نَحوَ الحِجازِ والأَماكِنِ المقدّسةِ لأَداءِ فَريضَةِ الحجّ وما يُرافقُه مِن مَزَارَاتٍ أُخرَى للمَدِينةِ والقُدسِ قدِيماً وحَتّى قُبُورُ الأَنبيَاءِ والصَّحابَةِ فِي بغداد ودِمشْقَ وغَيرِهَا[2]. بالإضافَةِ إلَى تأكيدِ اللهِ عزّ وجلّ علَى التّرحالِ والسَّيرِ فِي الأرضِ والتأمُّلَ فِي المخلوقَاتِ والأُممِ السَّابقةِ حيثُ يقُولُ جلَّ جَلالُه: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَينظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (الرُّوم: 9)، ولهَذَا نجدُ الحَجَّ وطلبُ العِلمِ من أهَمّ دوافِعِ الرَّحَلاتِ وكثِيرا ما غَادَرَ المغَارِبَةُ لأَداءِ فَريضَةَ الحَجّ واستغلَالَ الطَّرِيقِ وما تَبقّى منَ وَقْتٍ فِي التعلُّمِ والتَّعلِيمِ.

ولهَذَا كَانَت عُمُوماً رَحَلاَتُ المغَارِبَةِ إلَى الحجّ أكثرُ مِن رِحلَاتِ المشَارِقةِ إلَى المغْرِب ، وهَذَا طَبِيعِي لوجُودِ المقَدساتِ وأَقطَابِ العلمِ فِي المشْرِقِ وخُلوٌّ المغرِبِ منهَا ، ومِن هُنا أَتَتْ الرِّحلَةُ الحِجَازِيةُ وهِي التِي يقُومُ بهَا صَاحِبُها بعدَ رجوعِهِ مِن قَضَاءِ الحَجِّ[3]، وفِي هذَا عندَمَا بَدَأ ابنُ بَطُّوطَةَ رِحلَتَهُ الشَّهِيرةَ علَّلَ خُرُوجَهُ مِن بَلَدِهِ نَحوَ الأَماكِنِ المقَدّسَة قَائلاً : "مُعتَمِداً حَجَّ بَيتِ اللهِ الحَرَامِ ، وزِيَّارَة قبر الرَّسولِ عليهِ أفضَلُ الصَّلاة والسَّلامِ"[4] ، ولَعلّ هَذا العَامِلَ ينطوِي علَى عاملٍ نفسِيّ ، تَمثّلَ فِي شدةِ تعلُّقِ المغاربةِ والأندلسيينَ بزِيارَة الأَماكِنِ المقدّسةِ ومَا جَاوَرهَا ، حَتّى إذَا مَا حضرَتهُم الوَفَاةُ دُفِنُوا بأرضِ طَيبَةَ بِجوَارِ الصّحابةِ والتّابعينَ فِي أَرضِ الأَنبيَاءِ[5] . ومِن الخِلَالِ الشّائعةِ عندَ المتصَوّفةِ حُبُّهُم للتّرحالِ وغَلَبَتُهُ علَى حَيَاتِهِم رَغبةً فِي البَحثِ عَن شُيُوخِ التصوُّفِ للوصُول للحَقِيقةِ، ما جَعلَهَا بمثَابَةِ الفرضِ عندَهُم، فالمطَّلعُ علَى كُتبِ المتَصوّفَةِ وَجدَها عامِرةً بألفَاظٍ تُشِيرُ للتّرحَالِ المستمِرّ مثلَ [6]: سَاحَ فِي الأَرضِ، رَافقَ الشَّيخَ فِي تِرحَالِهِ، خرجَ طَلَباً للحَقِيقَة، تَاهَ فِي أَرضِ اللهِ ... [7].

---

(1) هو نظام اجتماعي–ثقافي من السلوكيات والممارسات المعينة، والأخلاق، والنظرات العالمية، والنصوص، بحيث لا يمكن تحديد تعريف له.

(2) نوال عبد الرحمان الشوابكة: **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حَتّى نهاية القرن التاسع الهجري**، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008، ص52.

(3) حسين نصار: المرجع السابق، ص–ص 17–18.

(4) بن بطوطة: المصدر السابق، ص11.

(5) نوال عبد الرحمان الشوابكة: المرجع السابق، ص–ص23–30.

(6) كما هو الحال مع كتاب أنس الفقير وعز الحقير لبن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ / 1407م–1408م)

(7) الحسن الشاهدي: **أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني**، ج1، منشورات عكاظ، 1990، ص47.

2. الرَّحَلاتُ العِلميَّةِ

ويرتَبِطُ هذَا النَّوعُ من الرَّحلاتِ عادَةً بالذِي سَبقَه إذ يَكونُ الغرضُ الأساسُ منهَا طلبُ العِلمِ والاطِّلاعِ علَى أحوالِ البُلدانِ وشُعُوبِها والأَخذِ عَن عُلَمَائِهَا [1]، وطلبُ العلمِ مرغُوبٌ ومُثَابٌ عَلَيهِ ولهذَا نجدُ طلَّابَ العلمِ لا يألُونَ جهداً فِي الإرتحالِ بحثا عن الفَائِدةِ أو رغبةً فِي إثباتِ مسألةٍ أو تصحِيحِهَا ، وفِي هَذا يذكُر ابنُ خَلدُون متحَدّثاً عنِ الرِّحلةِ والعلمِ : "وللرِّحلةِ فِي طَلبِ العِلمِ ولقاءِ المشايخِ مزيداً منَ الكَمالِ فِي التَّعلِيم ... فالرِّحلَةُ لابُدَّ مِنهَا فِي طَلَبِ العِلمِ لاكتسابِ الفَوائِدِ والكَمالِ بلقاءِ المشَايخِ ومبَاشرةِ الرِّجالِ"[2]، ومِن هذا أصبحَت الرِّحلةُ العِلميةِ عندَ المغارِبةِ ضَرُورَةً لا بِدافِعِ الحَجِّ وَحَسب[3]، وَسَاعَدهُم فِي ذلِكَ عَوامِلُ كثِيرةٌ مِنهَا:

- الحُرِيّةُ فِي التنقُّلِ واختيارِ مَكانِ التَّعلمِ بِلاَ قيُودٍ ولا حُدودَ مَكَانيةٍ وَلَا زَمَانِيةٍ [4].
- تَشجيعُ المُلُوكِ والأُمراءِ للعلمِ والعلماء، وقد كانت فرصةً للتَّلاقُحْ الفْكرْي وَدعْمِ الرَّوابطِ الثقافِيةِ بينَ الحواضِرِ المشرقِيةِ والمغرِبيةِ.
- الرَّغبةُ الملحّةَ لبنَاءِ المغرِب فِي طَلَبِ العِلمِ.
- وفرةُ مَدارِسِ العلمِ مِن مَسَاجِدَ وَزَاوَايَا وما لَحَقَهَا، كالإقَامةِ وتوفُّرِ مصادرِ المعيشَةِ والظُّروفِ الملَائَمةِ بها للتّحصيلِ العِلمِي.
- حُسنُ مُعامَلَةِ المشَارقَة للمغارِبة، وَقَد أفرَد فِي هَذَا فقرةً يقولُ فِيهُا: " وأهلُ دمشقَ يتَنافَسُون فِي عِمارَةِ المسَاجِدِ والزَّوايَا وَهُم يُحسِنونَ الظنّ بالمغَاربَةِ، ويطمئنُّون إلَيهم بالأموالِ والأهلين والأوّلاد ..."[5].

لكِن الرَّحلاتِ العلميةِ مِن جَانِبِ المغَارِبةِ تقلَّصت مَعَ تضَايقِ الفَجوَةِ العلميةِ بينَهُم، نَظراً لتَفَوُّقِهِم ابتِداءً من القَرنِ (7هـ) [6] وهوَ ما أشَارَ إليهِ ابنُ خَلدُونَ حينَ تحدَّثَ عَن الفَوارِق الوَهميةِ التِي كانَ يَتخيَّلُهَا المغارِبةُ عنِ المشَارقَةِ ظنًّا منهُم أنَّهم أَكمَلُ منهُم وأعْظمُ فِطنةً بِفطرتِهم، لِما رَأَوا فِيهِم مِن كَيسٍ فِي العُلومِ والصَّنائِعِ وقَد نَفَى ابنُ خَلدُونَ ذلكَ جُملةً وتَفصِيلاً [7].

---

(1) أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1998م، ص-ص382.

(2) عبد الرحمان ابن خلدون: **المقدمة**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2009، ص618.

(3) نوال عبد الرحمن الشوابكة: المرجع السابق، ص-ص34-35.

(4) عبد الواحد ذنون طه: **الرحلات المتبادلة بين المغرب الإسلامي والمشرق**، دار المدار الإسلامي، ط1، ص31.0

(5) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص67.

(6) نوال عبد الرحمن الشوابكة: المرجع السابق، ص40.

(7) ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص471.

3. الرَّحَلاَتُ الرَّسمِيَةُ

وهِي ذلِكَ النَّوعُ منَ الرَّحلاتِ التِي يرافقُ فِيهَا الرَّحالَةُ الملَوكَ ورِجالَ الدَّولَةِ، أَو قَد يكُونُ مُوَكَّلاً من طَرَفِ دَولَتِهِ كَسَفِيرٍ [1]. وقَد تكُون رحلةً بطَلَبٍ منَ الحَاكِم لقَضَاءِ حاجةٍ تَتعلَّقُ بشأنِ البِلادِ، وَقَد تخُصّ الحاكِمَ نفسهُ، هذَا ولَا نَستبعِدُ منهَا هدفَ التَجسُّسِ والاستِطلاعِ مثلَ مَا حدَثَ معَ الرَّحلَاتِ الإستطلاعيَةِ الأُورُوبيةِ كالرَّحلَاتِ الكَشفِيةِ لليفِينجسْتُون (David Livingstone) وغَيرِهم مِمّن مهَّدوا لِاستِعمَارِ إَفرِيقيَا [2]، ولِهذَا نَجدُ الرحَّالة لَا يهتَمُّ بِذاتِهِ إلَّا يسِيراً وكُلُّ همّه تَدوِينُ جمِيعِ مَراحِلِ هذِه الرِّحلَةِ.

4. الرَّحَلاَتُ العَامَّةُ

وهِي جَامِعةٌ بَينَ صِنفَينِ منَ الرَّحلاَتِ المذكُورةِ أو أَكثرَ كَمَا تَجتَمِعُ فِيهَا كثيرٌ مِنَ الأَغرَاضِ السّابقةِ ، أَبرَزُهَا رِحلةُ ابنِ بَطُّوطَة حَيثُ قامَ بثلاثِ رَحلاتٍ زَارَ فِي الأُولَى بِلادَ المشْرقِ مِن ضِمنِهَا الهِندِ والصِّينِ، وزَارَ فِي الثانيَّة بِلادَ الأَندلُسِ ، وفِي الثّالثَةِ بِلَادَ السُّودَانِ الغَربِيّ واستَغرقَتْ رَحَلَاتُهُ فِي مَجمُوعِها ما يقرُبُ من تِسعٍ وعِشرِينَ عَاماً [3]، وَلَمْ تخطُر ببالِ ابنِ بَطّوطَةَ فِكْرَةُ الرِّحلَةِ الوَاسِعةِ ، بَلْ لم تكُن مِن مُخطَّطَاتِهِ إلَّا بَعدَ إيعازِ الشَّيخِ الزاهِدِ بُرهانُ الدِّينِ الأَعرجِ[4] بالتَّوجهِ إلَى الهِندِ والسِّندِ والصِّينِ ، فَيقُولُ ابنُ بَطُّوطَة: "فَعَجِبتُ منَ امرِهِ ووَقعَ فِي رَوعِي التَّوجُّهَ لِتلكَ البِلادِ"[5] لِيخْرُجَ ابنُ بَطُّوطَة وَيجُولَ أَنحاءِ العَالَمِ ويَجمَعُ معلُوماتٍ غَزِيرةٍ ونَادَرةٍ فِي كِتابِهِ (تُحفَةُ النُّظَّارِ وغَرائِبِ الأَمصَارِ وعَجَائِبِ الأَسفَارِ) وتَتَجلَّى أَهمِيةُ هاتِهِ الرِّحلةِ وأَمثَالِهَا فِي التَّعرِيفِ بِهَذا العَالَمِ وكشفُ النِّقابِ عَن الإنسانِ فِي فِكرِهِ وسُلوكِه وتنظِيمِهِ الإجتِمَاعِيّ عَبرَ التَّاريخِ ، إبأَنَ تِلكَ الفترةِ التِي لم يكُنِ السَّفَرُ البعِيدُ عبرَ البَرارِي والبِحَارِ سَهلاً ، إلَّا لمنِ استَهوتهُم الرَّغبَةُ فِي الإكتشَافِ. ويشِيرُ أستَاذُ الجغرَافِيا صَلَاح الشَّامِي "أنَّ الرِّحلةَ اعتباراً منَ القرنِ السَّادسِ الهِجرِي (10م) إنطَلَقَت علَى أَوسعِ مدَى وَتَجاوزَت دِيارَ المسلِمينَ ، عَلَى أَملِ تحقِيقِ أَهدَافٍ مُتنَوّعةً : إقتِصادِيةٌ وهيَ تَعمَلُ لِحسَابِ التّجَارةِ ، ودِينيَّةٌ وهِي تعمَلُ لحسَابِ العَلاَقاتِ بينَ الدُّوَلِ الإسلَامية ومُجتمعِ الدوّلِ الخَارِجيّ، وعِلمِيةٍ وَهِيَ تَعمَلُ لِحسابِ العِلمِ وَطلبَ المعرِفةِ"[6] وبِاستِثنَاءِ رَحَلاتٍ معيَّنةٍ أَولَتهَا الدُّولُ اهتِماماً وَتوَلّت حِمايتُهَا وتَمويلِهَا، وتَحدِيدُ أَهدَافِها الرَّسمِيَةِ ، كَانت الرِّحلةُ تُلَبي بصفَةٍ عامَّةٍ جُهداً ذاتياً واجتِهاداً شَخصياً بَحْتاً .

---

(1) حسين نصار: المرجع السابق، ص18.

(2) شوقي عطاالله الجمل: **تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر**، المرجع السابق، ص27 فما بعدها.

(3) حسن محمد فهيم: **أدب الرحلات**، عالم المعرفة، 1989، ص23.

(4) الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص77.

(5) بن بطوطة المصدر السابق، ص-ص17-18.

(6) صلاح الدين الشامي: **الإسلام والفكر الجغرافي العربي**، الإسكندرية، 1979م، ص95

المطْلَبُ الثَّالِثُ: أَهَمِيَّةُ الرِّحلَةِ

خَطَّ ابنُ خَلدُونَ قَائِلاً: " إنَّ الرِّحلةَ لَابُدَّ مِنهَا فِي طَلَبِ العِلمِ ولِا كتِسابِ الفَوائِدِ والكَمَالِ ومُبَاشَرةِ الرِّجَالِ"[1]. كَمَا وَرَدَ فِي أَحدِ الكُتُب عَن شَيخِ الأَزهر المرحُوم محمّد لَخضَرْ حُسَين، التُّونُسِي الأَصل قَولُه: "إنَّ الإسلَامَ لم يَدع وَسِيلَةً من وَسائِلِ الرّقي إلَّا نبَّهَ علَيهَا، ونَدَبَ إلَى العَمَلِ بها وهَذَا شأنُ الرِّحلَة فَقد دَعَا إلَيهَا رَامِياً إلَى أَغرَاضٍ سَامِيّةٍ منهَا: طَلَبُ العلمِ والتفَقُّه فِي الدِّينِ، ومعرفةُ أحوَالِ الأمَمِ"[2]. وكَتَبَ أَبُو الحَسَن المسعُودِيّ مُوضِّحاً أَهمِيَّةَ الرِّحلةِ والفَرقُ بينَ المرتَحِلِ والقَارّ: " لَيسَ مَن لَزِمَ وَطَنَهُ وقَنعُ بمَا نَمَا إليهِ من الأَخبارِ من إقلِيمِه كَمن قَسمَ عُمُرَهُ علَى قَطعِ الأَقطارِ ووزّعَ بينَ أيّامِهِ تقَاذُفَ الأَسفَارِ، واستَخرجَ كلّ دقيقٍ مِن مَعدَنِهِ، وإثارَةَ كلّ نفِيسٍ مِن مَكمَنِهِ"[3]. فَالرِّحلةُ جُزءٌ من حَركةِ الحَياةِ عَلَى الأرضِ – ولَعلّ عبَارةَ "الرِّحلةُ عينُ الجُغرافِيا " التِي أَسمَى بِها صَلَاح الشَّامِي كِتابهُ – تُشِيرُ إلَى ذلِكَ، كمَا هيَ أَيضاً مخالطةٌ للنَّاسِ والأَجناسِ [4]، وَهُنَا تبرزُ قِيمةُ الرَّحلاَتِ كَمصدَرٍ لِوَصفِ الثّقَافَاتِ الإنسَانيّة ولرَصدِ بَعضِ جَوانِبِ حياةِ النَّاسِ اليومِيَّةِ فِي مجتمَعٍ معينٍ خِلَالَ فَترَةٍ زَمَنيّةٍ محدَّدةٍ. لذَا كَانَ للرَّحَلَاتِ قِيمَةٌ تعلِيميةٌ مِن حَيثُ أنَّهَا أَكثرُ المدَارِسِ تَثقِيفاً للإنسانِ، وإثراءً لِفكرِهِ وتأمُّلَاتِهِ عَن نَفسِهِ وعَن الآخَرِينَ. [5] والرِّحلةُ تَعلِيمٌ للصَّغيرِ وخبرةٌ للكَبيرِ. فَهِيَ تُعتَبرُ أكثرَ المدَارِسِ تثقِيفاً للإنسانِ. فالإختلاطُ والحياةُ معَ الشُّعوبِ المختَلفةِ إضافةً إلَى الإجتِهادِ فِي دِراسَةِ أَخلَاقِهِم وطِباعِهِم، والتّحقيقِ فِي ديانَاتِهِم ونُظُمِ حُكمِهُم غَالِباً مَا تَضَعُ أمَامَ الفَردِ مجَالاً للمقَارنةِ، تُساعِدهُ ولَاشكَّ فِي تَقييمِ نُظمِ وتَقَاليدِ بَلدِه. [6]

وتَبقَى الرِّحلةُ تلكَ الوَسِيلَةُ التِي تُسهِمُ فِي إسقَاطِ العِصابَةِ عنِ الأعيُنِ التِي لا تَرَى الصَّلاحَ إلَّا فِيمَا حَولَهَا، ومَن سِواهَا مُخطِئٌ وفِي ضَلالٍ مبينٍ، بل أَكثَرُ من ذَلِكَ سَاهَمت الرِّحلةُ فِي ترسيخِ العوامِلِ والمفاهيمِ للوِحدَة التِي بُنيت عَليهَا وِحدةُ البَشرِ عَلَى الأَرضِ وتَكامُلهِمْ. [7]

---

(1) بن خلدون، المقدمة، ص407.

(2) محمد لخضر حسين: **الرحلات**، جمع وتحقيق: على الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، بيروت، 1976م، ص8.

(3) حسن محمد فهيم: المرجع السابق، ص6.

(4) صلاح الدين الشامي: **الرّحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص7.

(5) حسن محمد فهيم: المرجع السابق، ص15.

(6) نفس المرجع، ص17.

(7) صلاح الشامي: المرجع السابق، ص2.

المَبحَثُ الثَّانِي: التّعرِيفُ بالرحَّالةِ "محمَّد يحيَى بنُ ابُوه" وَعصرُه

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: سِيرَتُهُ الذَّاتِيةُ

1. إسمُهُ وَنَسَبُهُ

عَرَّفَ العَلَّامَةُ الجَلِيلُ، الأَدِيبُ الأَرِيبُ بِنَفسِهِ فِي بِدَايةِ تدوِينِه للرِّحلةِ بِمَا نَصُّهُ: هُوَ محمَّد يحيَى بنُ محمّد الأَمينِ بنُ محمَّد المختَار بنُ حَبيبِ اللهِ بنُ المختارِ بنُ موسَى بنُ يعقوبُ بنُ أَبِي مُوسَى بنُ أبيال بنُ عامِر بنُ أبيَال بنُ هَنض بنُ محمَّد بنُ يَعقُوبَ الجَامِع ابنُ سَام بنُ عبدِ اللهُ بنُ حسَّان [1]. وَينتَهِي نَسَبُ عَائِلَتِهِ "بَنُو يَعقُوبَ" إِلَى جَعفَرَ بنُ أَبِي طالبٍ ويَستَدِلَّ عَلَى ذلِكَ بأقوَالٍ، وَتَرجَمَ لأَعلَام اليَعقُوبِيينَ أَمثالُ مُحَمَّد بنُ الطُّلبة [2] ت(1272هـ/1856م) الذِي قَالَ فِي مُقدّمةِ نَظمِهِ لِتسهِيلِ بنِ مالِكٍ:

قَـالَ الجَـدِيرُ بِالجَفَـا الفَـقِيرُ لِـرَحمَـةِ الـرَّحمـنِ وَالحـقِـيرِ
محمَّـدُ المعرُوفِ بِـبنِ الطُّلبَـه محمَّـدُ المعرُوفِ بِـبنِ الطُّلبَـه
جَمُّ العُيُوبِ مُـدمِنُ الـذُّنوبِ الهَـاشِمِي الجَعفَرِي اليَعقُوبِي [3]

2. أُسْرَتُهُ وقَومُهُ

يَنتَمِي الشَّيخُ لفَرعٍ مِنَ الشَّناقِطَةِ يُدعَى "قَبِيلَةَ إِدَيقُبُ" ويُقَالُ لهُم اليَعقُوبيُونَ مِن بَنِي الفَغ مُوسَى اليَعقُوبِي [4]، المعرُوف، أُولُو عِزٍّ وجَاهٍ وعِلمٍ غَزِيرٍ حَتّى أَنَّهُ لَيضْرَبُ بِهِمُ المَثَلُ فِي العِلمِ والشَّرفِ تصدَّرُوا الإِفتَاءِ والقَضَاءِ لمَا يَزِيدُ عنِ الأَربَعامِئةِ سَنَة [5]. وَبلَغَ مِن شُهرَتِهِم أَن أُلِّفتْ فِيهِم قَصَائدُ كَثِيرةٌ يضيقُ المكَانُ لسَردِها لكِنَّ أَشعَرَ أَبيَاتٍ وَردت فِيهِم كَانَت للعَلَّامَةِ محمَّد اليَدَالِي الدَّيمَانِي [6]:

بَـنُـو أَبِي الـقُـطـبِ زَيـدٌ عُـلـواً عَـلَّـى كُـلِّ عَـالِ

---

(1) محمّد يحي بن محمّد الأمين بن ابوه اليعقوبي: **الرحلة إلَى الحجاز**، ط1، دار الرضوان، نواكشوط، موريتانيا، 2013، ص16.

(2) هو محمد بن محمد الامين بن محمذ بن المختار اليعقوبي الملقب ببن الطّلبة وهو لقب للتعظيم يطلق على بيت العلم ومعناه بن الأشياخ. أنظر: محمد بن الطُّلبه اليعقوبي: **ديوان محمد بن الطُّلبه**، شرح وتحقيق: محمّد عبد الله بن الشبيه بن ابوه، تق: محمد نباه بن محمد ناصر، مطبعة النجاح، المغرب، 2000م، ص11.

(3) نفسه، ص 12/11.

(4) احمد بن الأمين الشنقيطي: نفس المرجع، ص94، بتصرف.

(5) محمد يحي بن ابوه: المصدر السابق، ص2.

(6) يعرف بمحمذ (بالذال المعجمة) بن سعيد اليدالي، أحد العلماء الأعلام، وهو أحد الأربعة الذي لم يبلغ مبلغهم أحد فِي العلم فِي ذلك القطر. أنظر: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط، مرجع سابق، ص223.

فَـــهُـــمْ يَمِـــينُ الـــزَّوَايَا وَغَـيرُهُـم كَـالشِّـــمَـالِ [1]

حَتَّى أنَّ العَلاَّمة الكَبِير محمَّذ[2] فَالْ بنُ مَتالِي التَّندُغِي -عَلَى جَلالَةِ قَدرِهِ وَمَا أُوتِي مِنْ عِلمٍ جَمٍّ- كَانَ إذَا أَتَاهُ سَائِلٌ أَشارَ عَلَيهِ برفعِهَا إلَى آلِ ألفَغْ مُوسَى أيّ اليَعقُوبِيينَ، وقَدْ سُئِلَ مَن أَشْبَهُ النَّاسِ بِالصَّحابَةِ فَقَالَ أَشْيَاخُ بَنِي يَعْقُوبَ.[3] ونَشَر صَاحِبُ الرِّحلَة الشَّيخُ محمَّد يحيَى مَآثِرَهُم فِي مَا يقْرُبُ من سَبعِ صَفحِاتٍ خَتَمَهَا بِقَولِهِ: "وَقد قِيلَ فِي مَدحِهِم مَا لَيسَ هَذا عُشرُ عشْرِهِ ولستُ أقدِرُ أنْ أحصُرُهُ وَلَا بِصدَدِ حَصْرِهِ عربياً وحسَّانياً"[4].

3. مَولِدُهُ وَرَضَاعُهُ:

وُلِدَ يَومَ الجُمُعةُ بَعدَ العَصرِ 17 رَمضَانَ 1310هـ الموافِقُ لِـ : 3 أبرِيل 1893م [5] -وعُرِفَ العامُ الذِي ولدَ بِه عندَ العَامّةِ بِـ "بُومَرَّارَة" لمرَضٍ أَصَابَ البَقَرَ، أمّا اليَومُ فقابلَ يَومَ بدرٍ -، وَكَانَ ذلِكَ فِي بَلدَةٍ تُسمّى "تَرقَى" (وتُكتَبُ تَارَكَة) التِي تبعُدُ ثَلاثِين كِيلُومِتراً إلَى الشَّمالِ الشّرقِي من مدِينةِ نوَاكشُوط [6].

وَقدْ نَظَمَ هَذا التَّارِيخَ فِي قَولِه:

وُلِدْتُ "يَزْ"[7] رَمَضَـانَ فِي سَـعَهْ عَـامَ قُرَيشٍ بَعدَ عَصْـــرِ الجُمُعَة

(1) محمد يحي بن ابوه، نفس المصدر، ص25.

(2) (بالذال المعجمة المنونة المكسورة) مصحف محمد فال. علامة جليل وصالح نبيل. طالع ترجمته: الوسيط لأحمد بن الامين، ص343.

(3) محمد يحي بن ابوه، نفس المصدر، ص27.

(4) نفسه، ص29.

(5) أبي علي بجيدّ بن الشيخ يربان القلقلمي الادريسي، **أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق وجهودهم العلمية وقضاياهم العامة (من القرن الخامس حَتّى القرن الخامس عشر الهجريين)**، دار النشر الدولي، ط1، 2000، ص 292. وانظر: إدارة الثقافة والفنون لموريتانيا: من أبرز علماء شنقيط (التعريف ب 212 عالما)، ج:1، 2، 3، 2019، ص26.

(6) **موسوعة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية**، محمد يحي بن ابوه، في: https://www.almoajam.org/lists/inner/6976 ، تمت الزيارة في: الثلاثاء 2021/04/20، 15:53.

(7) كتابة التاريخ بالحروف: عادة شائعة في القديم بحيث يرفق كل حرف بعدد ثابت فإذا جمعت الأعداد تحصل على التاريخ مثل: "يز"، ي=10 + ز=7 أي 17 رمضان.

ويَقُولُ فِي رِضَاعَتِهِ أَنَّهُ ارتَضَعَ بألبَانِ عدّةِ زَوجَاتٍ لِعُلماءَ وبَناتِهم، فَرضَعَ ثديَ عزَّةَ بِنتَ محمّد مُختَارْ بنُ عَبدِ الله بنُ الأَمينِ زَوجِ العَالِمِ الفَذِّ محمَّد مَولُود فَالْ، وأُختُها سَكِينَة زَوجُ خالِهِ سيد محمَّد، وخَالَتِهِ هِندُ زَوجُ أَحمَد بَابَ بنُ محمَّدُ بنُ الطُّلَبَةِ. (1)

4. نَشأتُهُ وَرِحلَاتُهُ فِي طَلَبِ العِلمِ

نَشَأَ الشَّيخُ محمَّد يحيَ وَلد ابُوه فِي بيتٍ عَرفنَا مَكانَتَهُ وشَأوَهُ، هُناكَ حَيثُ بَدأَ دِراسَتهُ فِي مُناخٍ يُتنفَّسُ فِيهِ العِلمُ مَعَ الهَواءِ ويُشرَبُ مَعَ المَاءِ، بَادِئا من مَحضرَة أبيهِ الشَّهيرَةِ، حَيثُ قَرأَ القُرءانَ الكَرِيمِ عَلَى أُمِّهِ وتَعلّمَ الخَطَّ علَى يَدِهَا حتّى بَلغَ سُورَةَ الأَنبياءِ، ليُنهِي عَلَى يدِ أَبيهِ كَاملَ القُرءَانِ إِلَّا خَمسَةَ أَحزَابٍ علَّمتهُنّ إياهُ أمَّهُ. وبَينَ ذاكَ وذَاكَ تكَفَّلَ عَمُّهُ محمَّد سَالِم ببَعضِ الأَحزَابِ (2).

إنتَقَلَ بَعدَهَا لِدرِاسةَ مبادِئَ العُلُومِ من لُغَةٍ وإعرَابٍ وقَصائدٍ وتَجويدٍ وكلُّ ذلكَ برِعَايةِ وَالِدِه، ليَتَعمَّقَ أكثَر فِي العُلومِ وصُنُوفِهَا عَلَى ثُلّةٍ مِنَ العُلمَاءِ مِنهُم أَهلُ بَيتِهِ وآخَرُونَ لَا حَصرَ لَهُم. لِيَتَسَبَّبَ بَعدَهَا إِلَى مَحضَرَةِ العَالِمِ الكَبِيرِ " يَحظِيهِ بنَ عَبدِ الوَدُودِ" (ت1358هـ/1939م) الرَّائِدَةِ فَدَرَسَ فِيها أَلفِيةَ بنُ مَالكٍ مَعَ تَوشِيحٍ للمُختارِ ولد بُونَا لهَا المسَمّى " الجَامِعُ بَينَ التَّسهِيلِ والخُلَاصَةِ، المانِعِ مِنَ الحشوِ والخَصَاصَةِ (3)"، إِضَاءَةُ الدَّجنّةِ (4) وغَيرِهَا. واهتَمّ بتحرِيرِ المسَائلِ وَضَبطِهاَ. وكَانَ ينُوبُ عَن شَيخِهِ يَحْظِيه فِي تَدرِيس الطُّلَابِ عِندَمَا يَتَخلَّفُ لطَارِئٍ (5). كَمَا زَارَ مَحضَرَةَ أَهلِ محمَّد سَالم فِي «إِينشِيرِي(6)» ومحضَرَةُ أهلُ الصَّبارِ، ومَحضرَةُ أَهلِ الشَّيخِ سِيدِي فِي بُوتَلْمِيتْ.(7) حَيثُ زَارَ الشَّيخَ سِيدِي بَابَا (ت. 1342هـ/1924م) وذَاكَرَهُ فِي الحَديثِ ، ورَحَلَ إِلَى العَلَّامَةِ عبدِ القَادِر ابنُ محمَّد السَّالَمَ المجْلسِي(8) (ت

(1) محمد يحي بن ابوه، نفس المصدر، ص9/8.

(2) نفسه، ص9.

(3) للعلامة المختار بن بون الجكني الشنقيطي وهو كتاب مطبوع حاليا.

(4) إضاءة الدجنّة فِي عقائد أهل السنة للعلامة التلمساني: شهاب الدين المقري. للعلامة بن ابوه شرح عليها.

(5) أبي علي بجيدّ بن الشيخ يربان القلقلمي الادريسي: مرجع سابق، ص293.

(6) اينشيري: إحدى ولايات غرب موريتانيا على بعد 256كلم عن العاصمة حاليا. لها ساحل قصير مع المحيط.

(7) موسوعة عبد العزيز سعود البابطين الثقافِية، محمد يحي بن ابوه، نفس المرجع.

(8) اسمه عبد القادر بن محمد بن محمد السالم ولد 1240هـ، من قبيلة المدلش (أولاد بوسيدي)، عاش 97 عاما توفي يوم عيد النحر قبل صلاة الظهر 1337هـ ودفن فِي حدبة السباعية فِي الشمال الغَربيّ من مدينة أكجوجت على بعد 170 كلم منها عالم مؤلف صاحب محظرة ذات إشعاع علمي كبير وقد قويت ملكته فِي المعقول والمنقول وقال عنه والده: "عبد القادر سيل يكفح" ألف نحو 50 مؤلفا فِي مختلف مجالات المعرفة. للمزيد: **الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للفتوى والظالم**، موريتانيا، ذاكرة الفتوى الموريتانية:

1337هـ/1919م) فِي آدرَارْ وَسَمِعَ مِنهُ الفِقْهَ ، ثُمَّ سَافَر إِلَى السِّنغالِ وَنَزَلَ عِندَ الشّيخِ أَحمَدُ بَمبَ[1](ت 1346هـ/1927م)، فَقَرّبَهُ وأَحسَنَ مثوَاهَ ، وهَيأَ لَهُ مكتَبةً للمُطالَعَةِ والمدَارَسةِ وَدَعَا لهُ بالخَيرِ. ليَرجِعَ بَعدَهاَ إِلَى مَحْضَرَةِ الشَّيخِ يحظِيه.

المَطْلَبُ الثَّانِي: حَياتُهُ العِلمِيةُ:

1. شُيُوخُهُ

ذَكَرَ العَلَّامَةُ ابنُ أبِيهِ اليَعقُوبِي فِي تَرجمتِهِ لِنَفسِهِ تِسعاً وَعِشْرِينَ شَيخاً [2] تَعَلَّمَ عَلَى أَيدِيهِم وَقَرأَ عَلَيهِم مُتوناً وَمُصَنَّفاتٍ أَبرَزُهُم وَالِدُهُ محمَّدُ الأَمِينِ وَعَمَّاهُ محمَّد آب، ومحمَّد مُوسَى بنُ آب، وآخَرُونَ نخصُّ بِالذِّكرِ مِنهُم:

أ) **يَحظِيه بنُ عبدِ الوَدُودِ** [3]: إِسمُهُ يَحظِيهِ بنُ عبدِ الوَدُودِ الجَكنِي نَسباً القِنَانِيُّ وَطَناً وُلِدَ 1265هـ/1849م عَاشَ 93 عاماً (ت1358هـ/1939م)، وهُوَ العَالِمُ الجلِيلُ الذِي عَمَّتْ شُهرَتُهُ الآفَاقُ أَسّسَ مَحضَرَةً إشتَهرَت بِكثرَةِ طُلَّابِ العِلمِ وازدَهرَ فِيهَا تَدرِيسُ النَّحوِ حَتّى لَقِّبَ بِسَبَويه عَصرِه، إِنتَصَبَ للتَّدرِيسِ وعُمرُهُ 20 سَنةً وَلم يَجد وَقتاً للتأليفِ لِانشِغَالِهِ المستَمرَّ بالتَّدرِيسِ.

واشتَهَر بِكثرَةِ الأَنظَامِ التَّنظِيمِيةِ ومِن ذَلِكَ قَولُهُ:

حُرِّمَ عَلَى الصَّـــغِيرِ وَالكَبِيرِ تَحـلِـيَّـةٌ بِالـنَّـقـدِ كَـالحَـرِيـرِ
وَلِلصَّـــغِيرِ قَـالَ عَبـدُ البَـاقِي بِحِـلِّ فِضَّـــةٍ وكُـرِهِ الـبَـاقِـي

قَرأَ عَلَيهِ محمَّد يحيَى اليَعقُوبِي كُتُباً كَثِيرةً، كَمَا قَرأَ عَلَيهِ ثُلةٌ منَ العُلمَاءِ أَبرَزُهُم قَرِينُهُ محمَّد عَالِي بنُ عَبدِ الوَدُودِ، وأَحمدُ محمُودُ بنُ أحمد الجَكْنِي المعْرُوف بِأَبِي، ومحمَّد بنُ الشَّيخِ سِيدِي، وَسِيدِي مُحَمَّد بنُ الدَّاه بنُ دَادَاهْ، وإِسمَاعِيلُ وإِسحَاقُ أَبنَاءُ الشَّيخِ سِيدِي، وَغَيرُهُم.

مِن الآثَارِ التِي خلَّفهَا: فَتَاوَى فِقهِيةٍ، وأَنظَامٌ تَعلِيمِيةٌ قَصِيرَةٍ مُفِيدَةٍ وَمتَنوّعةٍ.

عبد القادر بن محمد بن محمد سالم، في:http://www.fatwamadhalim.mr/spip.php?article857 ، تاريخ الزيارة: الجمعة،2021/04/16، الساعة: 10:50 الموقع:

(1) أحمد بمبا: اسمه أحمد بن محمد بن حبيب الله بن محمد الكبير بن حبيب الله الأوّلُ بن محمد الخير بن سعيد عثمان نزيل السنغال، المشهور بخادم رسول الله. أنظر: محمد الأمين جوب الدغاني: **إرواء النديم من عذب حب الخديم**، د.ط، تح وتع: محمد المختار، محمد الحبيب، مختار تفسيرجون، داري بروم طوبى، 1427هـ، ص7.

(2) محمد يحي بن ابوه، نفس المصدر، ص17.

(3) أنظر: أبي علي بحيدّ بن الشيخ يربان القلقلمي الادريسي، المرجع السابق. وأبرز علماء الشناقطة، المرجع السابق، ص27.

ب) الشَّيخُ سِيدِي بَابَا:

وُلِدَ بَابَ 1278هـ /1862م عَاشَ 64 عاماً، تُوفِي يومَ الخَمِيسِ 3 جُمَادَى الثَّانِية 1342هـ / 1924م ودُفِنَ بَالبَعْلاَتِية أَبِي تَلَمّيتْ. (1)

وَهُوَ العَلَّامةُ المحدّثُ سِيدِي ابنُ محمَّد، وقَد اشتَهرَ بِلقَبِهِ (بَابَ) ابنُ الشَّيخِ سِيدِي، وَيُقالُ لُهُ الشَّيخُ سِيدِي بَابَ جَمعاً بَينَ الإِسمِ واللَّقَبِ، وَتَمَيزاً لَهُ عَن جَدّهِ الشَّبخُ سِيدِي الكَبِير، وكُنيَتُه أَبُو محمَّد ويرْجعُ نسَبهُ إِلَى قَبيلَة تندَغْ. إِحدَى القَبَائِلِ المرَابِطيَةِ. (2)وكَانَ ابُوهُ الشَّيخُ سِيدِي محمَّد عَلَّامَةٌ لُغَوِيّ، وَشَاعِرٌ مَجِيدٌ، لَهُ اليدُ الطُّولَى فِي عِلمِ النَّحوِ، والآدَابِ والتَّارِيخِ ، وغَيرِ ذلكَ. وَجدُّهُ الشَّيخُ سِيدِي الكَبير اشتَهَر بالعِلْمِ والكَرَمِ وحُسنُ الخُلُقِ حَتّى اتَّفَقَ أَهلُ زَمانهِ عَلَى أَنَّهُ لم يَظهَر مِثْلُهُ فِي بِلَادِهِ. (3)

وكَانَ رَحمَهُ اللهُ يحترِمُ الأَئِمّةَ، ومَذَاهِبُهُم عَلَى حَدِّ السَّواءِ، مِن غَيرِ تعَصُّبٍ لإِمَامٍ أَو مَذهَبٍ مُعَينٍ، ويَحتَرِمُ الجَمَاعَةَ ورأْيَهُم وَيتَّبِعُهُمْ وإن خَالَفُوهُ، وإِن اختَلَفُوا نَظَرَ إِلَى مَا عِندَهُ من دَليلٍ فأَخذَ بقَولِه سَواءَ كانَ وَاحِداً أَو أَكثَر. وَمن عَلامَاتِ نُبُوغِهِ حِرصُهُ عَلَى الحَقِّ فَعَلَى الرَّغمِ مِن أنَّ أَبَاهُ وَجدُّهُ كَانَا صُوفِيينَ، إِلَّا أَنَّهُ نَبذَ التَّصوّفَ وَأَنكَرَهُ، وانتَقَدَهُ نَقداً عِلمِياً مُوضُوعِياً. (4)

أَلَّفَ الشَّيخُ فِي مجَالَاتٍ عِدةٍ، وَلَعَلَّ مِمَّا يُصوِّرُ مَكَانَتهُ العِلمية، واتّجاهَهُ الفِكرِي ذِكرُ آثارِهِ التِي خلَّفهَا **وَهِي**(5): إِرشادُ المقَلدِينَ عندَ اختِلافِ المُجتَهِدينَ (طُبِعَ فِي تُونُس 1380هـ)، وَعَقِيدَةٌ مُختَصَرَةٌ(مخطوط)، ورِسالَةٌ فِي أَرجَحِيةِ التَّفوِيضِ فِي آياتِ الصِّفاتِ وأَحَاديثِهَا (مخطُوطٌ)، والذِّكرُ المشرُوعُ وغيرُ المشرُوعِ (مَخطُوطٌ)، ورِسَالةٌ فِي حُكمِ الهِجرَةِ منَ البِلاَدِ المحتَلةِ (مخْطُوطٌ)، ورِسالَةٌ فِي الزَّكاةِ المتَّفقِ عَلَى إِجرَائِهَا، مخطُوطٌ.

(1) إدارة الثقافة والفنون لموريتانيا: من أبرز علماء شنقيط، المرجع السابق، ص24،25.

(2) الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: السلفية **وأعلامها في موريتانيا "شنقيط"**، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1995، ص282

(3) نفسه، ص283

(4) الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص286/284.

(5) نفسه، ص287/ 288

ج) عَبدُ القَادِرِ وَلد مُحَمَّد وَلْد مُحَمَّد السَّالِمِ

إِسمُهُ عَبدُ القَادِرِ بنُ مُحَمَّد بنُ مَحَمَّد السَّالِمِ المجلِسيّ، وُلِدَ 1240هـ، مِن قَبِيلَةِ المِدلَش (أُولَاد بُوسِيدِي) [1]، عَاشَ (97) عاَماً تُوفِي يَومَ عيدِ النَّحرِ قبلَ صَلاةِ الظُّهرِ 1337هـ وُدُفنَ فِي حَدَبةِ السِّباعِيةِ فِي الشَّمالِ الغَربِيّ منْ مدِينَة أَكجُوجْت عَلَى بُعدِ 170 كلم مِنهَا. عُرِفَ العَالِمُ المؤَلِّفُ بِمحضَرَتِهِ ذاتِ الإِشعَاعِ العِلمِيّ الكَبِيرِ وَقِد قَوِيتْ مَلَكُتُه فِي المعقُولِ والمنقُولِ وقَالَ عنهُ وَالِدُهُ: "عَبدُ القَادِرِ سيلٌ يَكفَحْ"[2] ألَّفَ نَحوَ (50) مُؤَلَّفاً فِي مختَلفِ مجَالَاتِ المعرِفةِ مِنهَا: بُغيَةُ الرَّاغِبِينَ فِي شَرحِ الوَاضِحِ المبينِ (النَّظمُ والشَّرحُ)، وثمانِ دُرَرْ فِي هَتكِ أَستَارِ المختَصرِ (7مجلدَاتٍ)، نُزهَةُ الأَفكارِ فِي شَرحِ قُرَّةِ الأَبصَارِ (مجُلَّدَانِ)، الحَقُّ المعقُولُ فِي شَرحِ شَمَائِلِ الرَّسُولِ.، تَقرِيبُ المعَانِي عَلَىَ رسَالةِ أَبِي زَيدٍ القَيرَوَانِي، سُلَّمُ القَاصِدِ إِلَى أَشرَفِ المقَاصِدِ.

وفِي لِقائِهِ يقُولُ محمَّد يَحِيَى اليَعقُوبِيّ: "ثمَّ سَافرتُ إِلَى آدْرَارْ فَلقِيتُ فِيهَا بَعضَ الأَجِلَّاءِ والصَّالحِينَ، مِثلَ العَلَّامةِ شَيخُ شُيُوخِنَا عَبدُ القَادرِ ابنُ محمَّد، وأَخِيهِ حَبِيبَ الله، وأَخيهِ عبدُ اللهِ .... وَصلَّيتُ خَلفَ عَبدِ القَادِرِ وَسَمعْتُ مِنهُ، وقرَأتُ عَلَى ابنِ أَخيهِ العَالِمِ العَلَّامَة الصَّالح عَبدُ القَادرِ ابنُ عبدِ اللهِ فِي مَدِينةِ أطَار بَابَ الصَّومِ مِن مُختَصرِ خَليلٍ، وَسَمِعتُ مِنهُ أشيَاءَ ثُمَّ رَجَعتُ إِلَى أرضِي وأَهلِي"[3].

وأَمَّا المشَايخُ الذِينَ تَدبَّجَ (أَيٌّ أَخَذَ كُلٌّ مِنهُمَا عِنِ الآخَر) فَذَكَرَ مِنهُم سَبعاً وَأَربَعينَ بَينَ شَيخٍ وَقَرِينِ دِراسَةٍ وابنِ شَيخٍ، كَأَبنَاءِ يَحظِيه والشَّيخ سِيدِي بَابَا والشَّيخُ عَبدُ القِادِرِ المجلِسي، والشَّيخُ الطَّالِب أخيَار ابنُ مَاءِ العَينَينِ [4]، والشَّيخُ أَحمَدُ بَمْبَ ذَاتُهُ وَابنَاهُ: محمّد المصطَفَى ومحمّدٍ البَشِيرُ. [5]

2. تَلَامِيذُهُ

مِن مَآثِرِ العَلَّامَةِ تصدِّيهِ للدَّرسِ والسَّماعِ من الطلَّابِ فِي سنٍّ مبكِّرةٍ فقَد كَانَ أَشيَاخُهُ يُكَلِّفُونَهُ بِتعلِيمِ أَبنَاءِهِم وَذَوِيهِم لمَا لَاحَظُوا عَلَيهِ مِنَ النَّبَاهةِ والفِطنَةِ وحُسنَ الحِفظِ، فَقَد أَمرَهُ شَيخُهُ يَحظِيه بِإِقرَاءِ النَّحوِ والفِقهِ والتَّوحِيدِ

(1) **الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للفتوى والمظالم**، موريتانيا، ذاكرة الفتوى الموريتانية: عبد القادر بن محمد بن محمد سالم، تالاي الزيارة: الجمعة،2021/04/16، الساعة: 10:50 الموقع:
http://www.fatwamadhalim.mr/spip.php?article857

(2) إدارة الثقافة والفنون لموريتانيا: من أبرز علماء شنقيط، المرجع السابق، ص24.

(3) محمد يحي بن ابوه، نفس المصدر، ص12.

(4) أبو محمد مصطفِي بن محمد فاضل بن محمد مامين الشنقيطي القلقمي، أبو الأنوار، الملقب بماء العينين، من قبيلة القلاقمة، من عرب شنقيط. ترجمته فِي **الوسيط**، المرجع السابق، ص360، و**الأعلام** للزركلي، ج7، ص 244-243، وغيرهم.

(5) نفسه، ص18/17.

والتَّصرِيفِ ويَحضُّ النَّاسَ علَى قِراءَتِها عَلَيَّ، كَمَا طَلَبَ مِنهُ الشَّيخُ سِيدِي تَعلِيمَ أَولَادِهِ وأَهلِه وهُو نفسُ مَا فَعلَهُ أَحمَد بَمبَا. فَكَانَ تَلَامِيذُهُ مِنَ الكَثرَةِ مَايُعجِزُ عَن حَصرِهُم غَيرَ أنَّ أبرَزَهُم وأَنجبُهُم كَانَ:

-محمَّد بنُ أَبِي مَدْيَن: هُوَ مُحَمَّدٌ بنُ أَبِي مَدْينَ بنُ أَحمَد بنُ سُليمَانَ بنُ أَحمَد سَالم بنُ مَحنَض أَشفَاقَ بنُ الفَال بنُ بَارَكَل بنُ يَعقُوبَ بنُ دَيمَانَ بنُ مَوسَى بنُ مَحنَض بنُ امغَر خامِسُ الخَمسةِ [1] الذِينَ عُرفَوا باسمِ تَاشْمَشْ [2]. وأُمهُ هيَ فاطِمةُ الزَّهراء بِنتُ الشَّيخِ سِيدِي بَابّ بنِ الشَّيخِ سِيدِي محمَّد (المتَقدِّمةِ تَرجَمَتُهُ). [3]

وُلدَ نَواحِي مَدينَةِ بَتلمِيتْ [4] بِشهْرِ مُحَرَّمٍ سَنَةَ 1322هـ الموافِقِ لِ 1903 وَتربّى فِي حِجرِ جَدِّهِ لأُمّه الشَّيخُ سِيدِي بَابَا الذِي تَولَّى تدرِيسهُ بِنفْسِه، وأَشرَفَ علَى تكوِينِه العِلمِيّ والأَخلَاقِي، حَتّى تَفقَّهَ فِي الدّين. [5] وَكَانَ العلَّامةُ رَحمَهُ اللهُ كَرِيمَ الأَخلَاقِ متَواضِعاً يُعامِلُ النَّاسَ بحَسبِ طِباعِهِم، يُكافِئُ علَى الجَميلِ بِالجَميلِ، سَرِيعَ الغَضَبِ سَرِيعَ الرِّضَى، سَلِيمَ الصَّدرِ. كَمَا كَانَ مُتعَبِّداً كَارهاً للظُّلمِ. [6]

نَشأَ محمَّد بنُ ابِي مَدينَ فِي بيتٍ يُعَدُّ مِن أَشْرَفِ بُيوتَاتِ قُطرِه منْ جِهَةِ العُمُومَةِ والخَؤولةِ، ومَا إن وَصَلَ الخَامسَة بدأ حِفظَ القُرءَانِ واتمَّ حِفظَهُ فِي العَاشِرة ، وبعدَهَا تولَّى جدُّه لأُمِّهِ تَدْرِيسَهُ هَذَا الأَخيرُ الذِي كَانَ يَلزِمُهُ بالمطَالَعةِ الدَّائِمةِ للكُتبِ المطَولَةِ ، والسُّؤالُ عُن كلِّ مُشكِلٍ يَعتَرِضُهُ.[7] وَقَد ذَكَرُوا عَنهُ أَنهُ كَادَ يَستَظهِرُ تَفسِيرَ ابنِ جَرِيرٍ الطَّبرِي وَتَارِيخِهِ لِكَثرَةِ مَا يَنظُرُ فِيهِمَا ، وكَذلِك هُو الحَالُ بالنِّسبةِ لِلصَّحَيحِينِ البُخارِيُّ ومُسلِم.

---

(1) حمزة بوروبة: **العلامة المحدث محمد بن أبي مدين الشنقيطي حياته وآثاره، مجلة الإحياء**، كلية العلوم الاسلامية –جامعة باتنة، المجلد: 19، العدد: 22، سبتمبر 2019، ص 604.

(2) تِشمشَة معناها بالصنهاجية: الخمسة وهو مصطلح يطلق على مجموعة من قبائل الزوايا أسسها خمسة رجال نزحوا من تارودانت. ينظر: المختار ولد حامد: **حياة موريتانيا الجغرافية**، دار الغرب الاسلامي تق: أحمد التوفيق، 1994، ص61.

(3) نفس المرجع، ص 605.

(4) بوتلميت: مدينة تاريخية تابعة لولاية الترارزة فِي الجنوب الغَربِيّ من موريتانيا، اشتهرت لكونها مدينة علم وسياسة، ينظر: المختار ولد حامد، حياة موريتانيا الجغرافية، المرجع السابق، ص160.

(5) الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص312.

(6) حمزة بوروبة: المرجع السابق، ص605.

(7) حمزة بوروبة نفس المرجع، ص607.

وَوَاصَلَ دِراسَتهُ عَلَى يَدِ مَشاهِيرِ بِلَادِهِ، فَدرَسَ اللُّغةَ العَرَبيّةَ والشِّعرَ علَى يَدِ وَالِده [1]. وَدَرسَ النَّحوَ فِي مَدرَسَةِ يَحظِيه ابنُ عَبدِ الوَدُودِ، وَظَهَرت نَجَابَتهُ وَذكَاءُه فِي هذِه المدرَسةِ، واستفادَ منهَا، وأَصبَحَ مِن أَبرزِ علَماءِ عصرِهِ. [2] وانصرَفَ بعدَهَا إلَى الإقْبَالِ علَى الحَديثِ النبوِي روَايةً وَدِرَايةً، فَظَهرَت نَجَابتُهُ فِيه، وبَزَّ فِي ذلِك الأَقرانَ، ورَحلَ إلَى الأَقطارِ، ولَقِيَ العُلمَاءَ، واستجلَبَ الكُتبَ، وأَلّفَ المؤَلَّفاتِ فِي هَذَا البَابِ، يَحثُّ فِيهَا عَلَى نُصرَةِ السُّنةِ واتّبَاعَهَا، والعَملِ بِهَا، وذَمّ التَّقلِيدَ والتَّعصُّبَ [3].

كَانَ رحِمهُ اللهُ **رحَّالًا** فِي الأقطارِ، جَوالاً فِي الأَمصَارِ، كَثِيرَ الأَسفَارِ، وقَد حَجَّ بيتَ اللهِ الحَرَامَ ثمانَ مَرّاتٍ [4]، كَمَا كَانَ كَثيرَ الزِّيارَة للمُغربِ الأَقصَى، محاضِراً مفِيداً مشَاركاً فِي الملتَقيَاتِ العِلمِيةِ، وَقد ابتَعَثَتهُ حكُومَةُ بَلدِهِ سِفِيراً لهُ فِي مَهامّ دينيةٍ وثقَافِيةٍ، التَقَى كَثيراً مِنَ العُلمَاء والزُّعَمَاءِ، ممَّا أَكسَبهُ صَيتاً طَيباً فِي البِلَادِ التِي زَارَهَا، وأَفَادَ صَدَاقَةَ جملَةً منَ العلمَاءِ والقادةِ. [5]

أمَّا **تَآلِيفُهُ** فقَد بدأَ التَّأليفَ مُنذُ سِنّ الثَّلاثِين وقَد أَلّفَ فِي مَجالَاتٍ عَدِيدَةٍ كتباً كثِيرةً مِنهَا الصَّوارِمُ والأَسِنَّةُ فِي الذَّبّ عنِ السُّنةِ، شنُّ الغَاراتِ علَى أَهلِ وِحدَةِ الوُجُودِ وأَهلِ مَعيةِ الذَّاتِ، حَياةً بَابَ الشَّبحُ سِيدِي وَعقِيدَتُهُ، تَحرِيمُ عِلمِ الفَلسَفَةِ والمنطِقِ، شَرحُ أَلفِيةِ العِراقِيّ، دِيوَانُ شِعرٍ. وكلُّها لَاتزالُ مخطُوطةً لم يُطبَع منهَا إلَّا الصَّوارِم والأَسنّة فِي الذبّ عنِ السنّةِ. [6]

(1) هو أبو مدين بن الشيخ أحمد، ولد حوالي 1870م من عائلة ذات شهرة علمية، وكان عالما شاعرا مجيدا. ينظر: نفس المرجع، ن ص، فِي الهامش.

(2) الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: السلفِية وأعلامها فِي موريتانيا، المرجع السابق، ص312.

(3) حمزة بوروبة: نفس المرجع، ص-ص607، 608.

(4) نفس المرجع، ص608.

(5) أرشيف منتدى الألوكة - **النابغة محمد بن أبي مدين بين شهادة العارفِين وتجاهل المقيدين بفتنة الشهادات** - المكتبة الشاملة الحديثة، بن السائح، 06-05-2007، 11:48، تاريخ الزيارة: 2021/04/16، 12:30، الرابط:

https://al-maktaba.org/book/31888/1150#p31

(6) الشيخ الطيب بن عمر بن الحسين: المرجع السابق، ص314

وقَالَ فِيهِ العَلَّامَةُ النَّابغةُ تَقيُّ الدِّينِ الهِلاَلِي [1]: "ومِن سُوءِ حَظِّ العَرَبِ فِي هَذَا الزَّمانِ: عُمومُ الجَهلِ والتَّقلِيدِ فِيهِم ..... فَوالله الذِي لَا إلهَ إلَّا هُو لَو ظَفَرَ بِهَذَا الرَّجُلِ أَساتذةُ الجَامِعاتِ فِي أُورُوبّه؛ لَاستَفَادُوا مِن عِلمِه، وبَذلُوا النَّفس وَالنَّفِيسَ فِي خِدمَتِهِ، ولكِن كَمَا قُلنَا: مِن ضَلَالَاتِ العرَب أنَّهُم يَترُكُونَ العَينَ ويَطلُبونَ الأَثَرَ!"

ويذكُرُ الشَّيخُ المختَارُ بنُ حَامدٍ ذَلكَ بقَولِهِ: وَقدْ سَافَرتُ مَعهُ للمُشَارَكَةِ فِي نَدوةِ الحَسنِ الثَّانِي بالمغرِبِ وألقَى مُحَاضَراتٍ ودُرُوساً إسلَاميّةٍ عَلى نهجِ السَّلفِ، ونَاظَرَ العُلمَاءَ، ودَعَى إلَى التَّمسُّكِ بالكِتابِ والسُّنةِ، واتّباعِ مَا كَانَ عَليهِ أَهلُ السُّنةِ، وانتَقدَ التَّصوُّفَ وَردَّ علَى أهلِهِ. [2]

تُوفِيَ العَلَّامةُ فَجرَ يومِ الإثنَينِ الثّامنَ مِن شَهرِ نُوفمبَر 1976م، المُوَافِقِ للسَّادِسَ عَشَر مِن شَهرِ ذِي القِعدَة سَنَةَ 1396هـ [3].

وَقَدْ رَثاهُ العَديدُ منَ العَلماءِ ممَّنْ عَاشُوا مَعهُ، وعَرفُوا خِصَالَهُ، مِنهُم العَلَّامةُ محمّد سَالم وَلد عَدُّودْ بقَولِه [4]:

إنَّ وِجْـدِي بِخـاتَمِ الحُـفّـاظِ ضَـــاقَ عَنـهُ جَـامِعُ الأَلفَـاظِ
لَســتُ انسَــى مَواقِفَ الجِدِّ مِنهُ حِينَ الإســـلَامِ أَهـلُ الحُفَّـاظِ

3. مَكَانَتُهُ العِلمِيةُ وشَهَادَةُ مُعاصِرِيهِ فِيه

ممّا تَقَّدمَ يَظهَرُ جَلياً مِقدَارُ شَعبِيةِ الشَّيخِ بَينَ أَشيَاخِهِ وأَقرَانِهِ ومُعَاصِرِيهِ، فَقَد أَشَرنَا إِلَى تَأهيلِهِ صَغيراً لِتَدرِيسِ أَبنَاءِ الشَّيخِ يحظِيهِ والشَّيخِ سِيدِي بَابَا، وأَحمَدُ بَمْبَا. وَيَذكُرُ رَحِمَهُ الله أَنَّ الشَّيخَ سِيدِي بَابَا أسرّ لَهُ ولِبنِيهِ أنَّ مَا عِندِي– أَي محمّد يَحيَى ابنُ ابُوه– مِنَ العِلمِ أَحبَّ إلَيهِ ممَّا عندَ النَّاسِ جَمِيعاً، وَيقُولُ مُستَشهِداً عَلَى مَكَانَتِهِ عِندَهُ أنَّ الشَّيخَ سِيدِي بَابَا صَلَّى خَلفَهُ صَلَواتٍ عَدِيدَةٍ وهُو مَالَمْ يَفعَلهُ مَعَ أيّ منَ العلَماءِ فِيمَا عَلمَهُ، وكَانَ هَذا دَيدَنُ كُلِّ أَشيَاخِه فَكَانُوا يَرتَاحُونَ لَهُ ويَطرَبُونَ بِعُلُومِهِ ويَستَوحِشُونَ غِيابَهُ ولَو قَصُرَ [5].

---

(1) أرشيف منتدى الألوكة – النابغة محمد بن أبي مدين بين شهادة العارفين وتجاهل المقيدين بفتنة الشهادات – المكتبة الشاملة الحديثة، بن السائح، 06-05-2007، 11:48، تاريخ الزيارة: 2021/04/16، 13:48، الرابط:

https://al-maktaba.org/book/31888/1150#p31

(2) الشيخ الطيب بن عمر الحين: المرجع السابق، نقلا عن المختار بن حامد فِي مقابلة جرت بينهما، ص315.

(3) حمزة بوروبة، نفس المرجع، ص 606.

(4) حمزة بوربة ن نفس المرجع، ص606.

(5) نفسه: ص21.

ومِنَ الدَّلائِلِ القَويةِ عَلىَ تفَرُّدِهِ عن أقرَانِه وتَبوُّءَهُ مركَزَ الصَّدارَةِ ماَ ذَكَرهُ فِي قِصَّةٍ لَهُ معَ العَلَّامَة محمّد المختَار بنُ بَازِيد ،إذْ دعاهُ ليأخُذَ عنهُ مَسألةً مِن عَوِيصَاتِ عِلمِ الكَلَامِ وَهِي: "سَوادُ حَلَاوَةٍ" زَاعِماً أنَّهُ لَا يُحسِنُهَا غَيرُهُ، وكَان قَد شَارَفَ عَلَى الوَفَاةِ وَلم يَستَطِع أَحَدٌ وَعيَهَا عَنهُ، فَلَمَّا جاءَهُ وَقَرأهَا علَيهِ فَوعَاهَا شَيخُنَا محمَّد يحيَى وأَجازَ لَهُ إقرَاءَهَا ، فَأَقرأَهَا كَثِيرِينَ من أهلِ العِلمِ فَمَا اسطَاعُوا لِفَهمِهَا سَبِيلاً[1].

والقَارِئُ للرِّحلةِ لَيُفَاجَئُ مِن كَمِّ التَّقدِيرِ والإحتِرامِ الذِي يُقابَلُ بِهِ الشَّيخُ محمّد يَحيَى ابنُ ابُوه أَينَما حَلَّ وارتَحَلَ فصِيتُه فِي بِقاِ السُّودَانِ منتَشرٌ ، فَهذَا الشَّيخُ بَاي الكُنتِي ت: (1348هـ/1927م) حفِيدُ سِيدِي المختَار الكَبِير يُقَرّبُهُ منهُ وَيَستَفتِيهِ ويسألُهُ ويَصرِفُ إلَيهِ الطَّلبةَ يقرَأونَ عَلَيهِ كلَّ صُنُوفِ العِلمِ ، ومنهُ نصُّ الرِّسَالةِ التِي بَعثَ بهَا سُليمَان ابنُ اسمَاعيلَ خَطِيبُ "كَانُو" إلَى الأَميرِ محمّد بيللّو قَائِلاً فِي بعضِ سُطُورِهَا مُعرِّفاً بالشَّيخِ: " أَمَّا بَعدُ: فَهاكَ العَلاّمةَ أُعجُوبَةُ الأَوانِ والمشَارِ إليهِ بالبَنانِ سِيدِي محمّد يحيَى الشّنجِيطِي الجَعفرِي اليَعقُوبِي الذِي اتَّفقَ العُلمَاءُ علَى غزَارَةِ عِلمِهِ وَتقوَاهُ وتَرجمَوا لَه بمَا لَا أقدِرُ علَى طَلِّهِ[2] فَضلاً عَن وَبلِهِ[3] ..."[4].

ومَدَحَهُ مُعَاصِرُوهُ بِأصنَافٍ مِنَ المدحِ بَينَ نثرٍ وشِعرٍ فَهَذَا أَحمَدُ محمُود ابنُ عيدٍ الجَكنِي الملقّب "مَمُّ الجَكنِي" (ت1361هـ) يُنشِدُ فِيهِ أَبياتاً يَقُولُ فِي بعضِهَا [5]:

يَا مجـارِيَ الـفَـتَى محـمّـد يحـيَى لَا تَرُم شَـــأوَه البَعيـدَ فتَعيَـا
فَســـجَايَاهُ إن وُجِدَت سَـــجايَا لَم تَنلْهَـا لحُســـنِهَـا النّـاسُ فَهِيـا

فِيمر قائلا:

إن دَنَـتْ دَارُهُ فَـأَهلاً وَسَـــهلاً أَو نَأتْ دَارُهُ فَسُـــقيـاً وَرَعيَـا

وقَالَ فِيهِ صَاحِبُهُ وَقَرِينُهُ محمَّد عَالِي ابنِ عبدِ الوَدُودِ:

(1) نفسه، ص،22.

(2) يقصد هنا قليله لان الطَلُّ: المطَرَ الضعيفُ، أو أخَفُّ المطَرِ وأضْعفه، أو النَّدَى. أنظر قاموس المعاني، مادة "الوبل" فِي: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B7%D9%84%D9%87/ ، تاريخ الزيارة: 2021/05/01 على: 18.51.

(3)ا الوَبْلُ: المطَرُ الشديدُ، الضَّخْمُ القَطْرِ. أنظر، المرجع نفسه فِي: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%A8%D9%84/ . تاريخ الزيارة: 2021/05/01 على: 18.53.

(4) محمد يحي بن ابوه: نفس المرجع، ص138

(5) نفسه، ص29.

لَنِعمَ الفَتَى يحيَى إذَا هبَّ شَمأَلُ بِلَيلٍ ومَاسَت [1] بِالعشيّ
هوَ المرءُ أمَّا عِرضُـــه فَمَضِـــيعُ مُذَالٍ وأمَّا عِرضُهُ فَمَصُونُ

وفِيهِ يَقُولُ تِلمِيذُهُ الهُمَام محمَّد ابنُ أبِي مَدِينَ [2]:

هُمــامٍ غَــدَا بَحراً منَ العلمِ زَاخِراً فَلَا يَظمَأ الآوِي إليهِ ولَا يجفَى
لَقَدْ فَاقَ فِي قَفوِ النَّبيّ وَصَـــحْبِهِ لَدُن قِلدِ الآرَاءِ خَلفَ يَلِي خَلَفَا

وَغيرُهُ ممَّا نُشِرَ فِي رِحلَتِهِ نَشراً عَلَى لِسانِ مَنِ التَقاهُم أَو فِي كُتُبِهم وَدوَوَاينِهم مَا يَضِيقُ المكَانُ عَن سردِه.

المطْلَبُ الثَّالِثُ: وَفَاتُهُ وآثَارُهُ

1. وَفَاتُهُ

بَعدَ رِحلَتِهِ الطّويلَةِ دَخَلَ العَلَّامَةُ مَكَّةَ المكرَّمةَ يَومَ الأَربِعاءِ 23 من ذِي القِعدةِ سَنَةَ 1348هـ، فَحجَّ وأَقامَ بِهَذِهِ البِقاعِ الطَّاهِرَةِ حَتّى تُوفِي ضَحوَةَ يَومِ الجُمُعَةِ 15 صَفَرْ 1349هـ (الموافِقُ لِ: 11جويلية 1930م) رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى [3].

وهَذَا مَا حَدَّثَ بِهِ رَفِيقُهُ محمَّد السَّالم ابنُ الهَادِي المجلِسِي بَعدَ عَودَتِهِ منَ الحَجِّ وذَكَر بِأَنَّهُ مَرِضَ وتُوفِيَ يَومَ الجُمُعةِ ودُفِنَ بِالحُجُونِ [4].

2. آثَارُهُ العِلمِيةِ ومُؤَلَّفَاتِهِ

قَلَّتْ آثارُهُ مقَارَنةً بِالهَالَةِ العِلمِيةِ التِي أَحاطَتْ بِهِ تَرجَمَةً ورِحلَةً وارتِحالاً -رُبَّما بِسَبَبِ قِصَرِ حَيَاتِهِ- فَكَانَ مِن آثَارِهِ:

أ) الرِّحْلةُ إِلَى الحِجازِ (مَرقُون): وَهوَ الكِتابُ الذِي دوَّنَ فِيهِ محَطّاتِ رِحلَتِهِ نَحوَ الحَجِّ مُنطَلِقاً مِن مَولِدِهِ حَتّى وَفَاتِهِ.
ب) فَتحُ ذِي المِنّةِ علَى إِضَاءَةِ الدَّجِنّةِ.
ج) شَرحٌ لإِضَاءَةِ المقَرِّي فِي التّوحِيدِ
د) شَرحُ كِتَابِ سَوادٍ وحَلَاوةٍ لمحمّذْ فَالْ بنُ مَتَّالِي.
هـ) كَمَا لَهُ فِي الشِّعرِ قَصائِدُ ورَدَت ضِمنَ كِتابِ «مُختَارَاتٌ مِنَ الشِّعرِ العَربِّي فِي القَرنِ العِشرِين» – مُؤَسّسة جَائزَة عَبدِ العَزيزِ سُعود البَابِطين للإِبدَاعِ الشِّعرِي – الكُوَيت 2001.
و) ولَهُ دِيوَانٌ جَمعَهُ وحَقَّقَهُ البَاحِثُ محمَّد الأَمين وَلد مَاءَ العَينَين – إِجَازَةً مِن المعهَدِ العَالِي للدِّرَاسَاتِ والبُحُوثِ الإِسلَامِية – نوَاكشُوط 1991 (مَرقُونٌ). (يَقعُ الدِّيوَانُ فِي 662 بَيتًا).

---

(1) أي تمايلت الاغصان.

(2) نفسه، ص30.

(3) إدارة الثقافة والفنون لموريتانيا: من أبرز علماء شنقيط، المرجع السابق، ص26.

(4) وهو حي من أحياء مكة اشتهر عند العرب والشعراء.

ز) أنظَامٌ تَعلِيمِيةٌ مُتَنوّعةٌ [1]

ح) وَلَهُ تَعليقَاتٌ علَى مُختَصَرِ خَلِيلٍ.

ط) وَحَواشٍ عَلَى مَوَاهِبِ الجَلِيلِ للحَطَّابِ عَلَى مُختَصَرِ خَلِيلٍ كَانت مَرجِعاً مُهِماً بَعدَهُ لمقَابَلَةِ وَتَصحِيحِ نُسَخِ هَذَا الشَّرحِ المتَدَاوَلَةِ [2].

المبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّعرِيفُ بِرِحلَةِ محمَّد يَحِي بنُ ابُوهُ اليَعقُوبِي

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: الرّحلةُ إلَى الحِجَازِ

1. عُنوَانُهَا وكِتَابَتُهَا

رِحلَةُ محمّد يَحْيَى بنِ ابُوه اليَعقُوبِي المُسَمَّاه: " الرِّحلَةُ إِلَى الحِجَازِ"، وَقَد سَمَّاهَا الشَّيخُ مَحمَّد سَالَمَ ولدْ عَبد الوَدُودِ رَحِمَهُ اللهُ بِ "العَقدِ الثَّمِينِ".

مِنَ العَلَامَاتِ الفَارِقةِ فِي الرِّحلَةِ مُخَالَفَتُهَا لِلعُرفِ السَّائدِ بِابتِدَاءِ كِتَابةِ الرِّحلَةِ مِن يَومِ الخُرُوجِ إِلَيهَا ، إِذ أَنَّ كَاتِبهَا هذِهِ المرَّةَ بَدَأهَا بِمولِدِهِ وَسِيرَتِهِ الذَّاتِيةِ بِأَدقِّ تَفَاصِيلِهَا مِن بِدَايةِ تَعلُّمِهِ القِرَاءَةَ والكِتَابَةَ ، مُرُوراً بمعَلِّمِيهِ ومَن لَقِيَ مِن أَقرَانِهِ ، وَمُعَرِّجاً عَلَى تَلَامِيذِهِ، والمَوَادِّ التِي اشتَغَلَ عَليهَا والكُتُبِ التِي قَرَأَهَا وتَدَارَسَهَا ، وأَتَى عَلَى أَخبَارِ مَنِ التَقَى خِلَالَ رِحلَتِهِ مِن عُلَمَاءَ وأَتقِيَاءَ وَاصِفاً خُلُقَهُم وَعِلْمَهُم ، وَذَاكِراً مَا انتَهَى إِلَيهِ مِن تَصَانِيفِهِم وَأَفكَارِهِم ، مُلَخِّصاً مَا استَفَادَهُ مِنهُم ، وَفِي هَذَا يَقُولُ فِي مُقَدِّمَةِ رِحلَتِهِ : " لمّا سَارَت بِيَ الأَقدَارُ إِلَى غَيرِ مَسقَطِ رِأسِي ، وابْعَدَتنِي مِن أَهلِي ونَاسِي ،أحبَبْتُ أَن أَكْتُبَ نَبْذَةً مِن أَخبَارِي ، وأَخبَارِ الأَرضِ التِي نشأْتُ فِيهَا ، وَأَخبَارِ عُلَمَائِهَا وَأَولِيائِهَا وطَرَائِفِهَا وأُدَبَاءِهَا ... " فَلم يَدعِ الشَّيخُ شَيئًا يَخصُّ العِلمَ وأَهلَهُ فِي البِلَادِ التِي زَارَهَا إِلَّا وأَتَى عَلى ذِكرِ جُزءٍ مِنهُ ، فَكَأَنَّهُ –كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ تَرجَمَتِهِ فِي استِهلَالِ مطبُوعِ رِحلَتِهِ– لَاحَظَ أَنَّ الحَيَاةَ كُلَّهَا رِحلَةٌ ، فَجَعلَ مِن رِحلَتِهِ رِحلَةَ حَيَاةٍ لَا رِحلَةَ سَفَرٍ فَقَط وَهُوَ شَيءٌ لَم يُسْبَقْ إِلَيهِ (فيما نعلم).

(1) أبي علي بحيدّ بن الشيخ يربان القلقلمي الادريسي: مرجع سابق ص293.

(2) محمد يحي بن ابوه، نفس المصدر، ص5.

2. مَخطُوطُهَا وَطِبَاعَتُهَا

مَخطُوطُ الِرحلَةِ بيَدِ الدَّكتُورِ سِيدِي أَحمَد الأَمِير البَاحِثُ المورِتَانِيُّ وَعِندِي نُسخَةٌ مِنهُ، كُتِبَ المخطُوطُ بِيدِ محمّد يَحيَى بنُ ابُوهُ اليَعقُوبِي وعُرِفَ عنهُ حُسنُ الخَطِّ وجَمالِه، مُستَخدِماً الخَطَّ البِيضَانِيَّ الموريطَانِي [1]. وَيبدُو أنَّ جَزءاً مِنَ المخطُوطِ قَد فُقِدَ أوْ أنَّ كِتَابَتَهُ لَم تَتِمَّ، فَقَد تَوقَّفَ سَردُ الرِّحلَةِ عندَ بلَادِ السُّودَانِ الحَالِيةِ (الخُرطُومُ وسَوَاكِنَ)، وَيظهَرُ علَى المخطَوطِ عَلَامَاتُ التَّلَفِ خُصُوصاً فِي بَعضِ هَوامِشِهِ، كَمَا تُوجَدُ بِهِ فِي الأَصلِ فَرَاغَاتٌ وأَبيَاتٌ شِعرِيَّةٌ غَيرُ مُكتَمِلةٍ.

أمَّا النُّسخَةُ المطبُوعَةِ فَنُشِرت بِواسِطَةِ دَارِ الرِّضوانِ لِصَاحِبِهَا أَحمَد سَالِك محمَّد الأَمينُ ابُوه بِ: نَواكشُوط– مُورِيتَانيَا. سَنَةَ 2013م، وأَشرَفَ عَلَى سَحبِهَا وَتجلِيدِهَا مُؤَسَّسَةُ الأَعلَمِي للمَطبُوعَاتِ، بَيرُوت–لُبنان. مُودَعةٌ تَحْتَ رَقمِ: (2013/1282)، لَدَى المكتَبَةِ الوَطَنِيةِ، وِزارَةَ الثَّقَافَةِ والشَّبَابِ والرِّياضَةِ، مُورِيتَانيَا. بِعَدَدِ صَفَحاتٍ بَلَغَ (146ص) صُدِّرَتْ بِتَرجَمَةٍ لِلْكَاتِبِ ثُمَّ نَصُّ الرِّحْلَةِ مُضمَّناً جُزءً مِن دِيوَانِهِ الشِّعري.

3. دِرَاسَاتٌ حَولَهَا

تعدَّدَت الأَعمَالُ التِي تَنَاوَلَتِ الرِّحلَةَ، مِنهَا ما كَانَ تَحقِيقاً للرِّحلَةِ كَالبَحثِ الذِي أَنجَزتهُ الأُستَاذَةُ "أَتبِيرُ بِنتُ مُحَمَّد عَبدُ الرَّحمَانِ ابنُ ابُوه، وَهُوَ بَحثٌ لِنَيلِ الإِجَازَةِ لِلتَّدرِيسِ، الْمَدرَسةُ العُلَيا لِتكوِينِ الأَسَاتذَةِ والمفتِّشِينَ بِنَواكشُوط سَنةَ 1987م وهُو بَحثً غَيرُ مَنشَورٍ.

وَمنهَا مَا تَناولَ جُزءاً أو جَانِباً مِنهُ كَكِتَابِ الحَسَنِ ابنِ محمّدٍ الأَمينِ ابنِ ابُوه، العِقدُ الثَّمينُ فِي ذِكرِ أَعلَامِ الموريتَانيينَ، الجُزءُ الأَوّلُ مِن رِحلَةِ محمّد يَحيَى ابنُ ابُوه إلَى الحِجَاز، بِنَوَاكشُوط. ومثلُ دِراسَةِ محمّد الأَمينُ ابنُ ماءِ العَينَينِ ابنُ ابُوه: تَحقِيقُ دِيوانِ محمَّد يحيَى ابنُ محمَّدٍ الأَمينُ ابنُ ابُوه، وهُوَ بَحثٌ لِنيلِ الإِجَازَةِ منَ المعهَدِ العَالِي للدِّرَاسَاتِ والبُحوثِ الإِسلَاميةِ بنَواكشُوط سَنةَ 1991م، وهُو بَحثٌ غَيرُ مَنشُور.

4. مَسَارُ الرِّحلةِ ومَحطَّاتُهَا

لَا تَخرُجُ طرُقُ الرَّحَلَاتِ الشَّنقِيطِيةُ وَمسَالِكُهَا نَحوَ الحِجَازِ عَن ثَلَاثِ طُرُقٍ واتِّجاهَاتٍ، يَمُرُّ أَوّلُهَا بِبلادِ المغرِبِ والبَحرِ المتَوسِّطِ لتَتَّجِهَ بحراً نَحوَ الجَزِيرةِ العَربِيةِ، ومِن أَشهَرِ منِ ارتَحلَ عَبرهُ: مُحمّد يَحيَى الوَلَاتِي (ت. 1330 هـ)؛ المصطَفَى الطالِّبُ أَحمد ابنُ طُويرِ الجَنَّة (ت. 1265 هـ)، الشَّيخُ مَاءُ العَينَينِ (ت. 1328 هـ). وَيتَّجِهُ ثَانِيهَا جَنُوباً عُبُوراً بِالسِّنغَالِ رَاكِباً البَحَرَ وُصُولاً لِأَرضِ الحِجَازِ ومِمَّن سَلَكَ هَذَا الطَّرِيقَ: مُحَمَّد فَالْ ابنُ بَاب العَلَوِي (ت. 1349 هـ) وقَلِيلٌ هم سَالِكُوا هَذَا الطَّرِيقِ ، أمّا آخِرهَا فَإِنَّهُ ينطَلِقُ منَ الرُّبُوعِ الشَّنقِيطِيةِ مُتَّجِهاً نَحوَ المشرِقِ مَارّاً بِبُلدَانِ إفرِيقيَا السُّودَاءِ مثلَ جَمهُورِيةِ تشَاد والنَّيجَر ونَيجِيريَا وَغَيرِهَا لِينتَهِي إِلَى السُّودَانِ حَيثُ يَتِمُّ رُكُوبُ البَواخِرِ إِلَى شَواطِئِ الجَزِيرَةِ العَربِيةِ وهُوَ الطَّرِيقُ الذِي اتَّخَذَهُ رحّالتَنا محمَّد يَحَي ابنُ ابُوه اليَعقُوبِي نحوَ الحِجازِ. إختَارَ الشَّيخُ الثَّانِيَ (2) مِن شَهرِ صَفَر سَنَةَ

(1) من الخطوط العربية في غرب إفريقيا والتي تصنف ضمن الخطوط المغربية ويشار إليها باسم الخط السُّودَاني.

1347هـ الموَافِقِ لِ: 21-07-1928م مُودِّعاً أَهلَهُ مُتَّجِهاً وَقَاصِداً آدرَارْ[1]، لِيصِلَ أَطَارْ[2] بَعدَ ثمَانِيةِ أَيامٍ ويَمكُثُ فِيهَا زَمناً فَأَقبَلَ عَلَيهِ النَّاسُ طَالِبِينَ العِلمَ وعَارِضِينَ الإِحسَان، فَيقُولُ مَادِحاً أَهلَهَا: "وَقَدِمنَا قَريةَ أَطَار، فَانتَشَر عَلَينَا مِن فَضلِ اللهِ مَا لَا يُحصَى قُوتاً ولِبَاساً وعِلماً وإِفَادة واستِفَادةً[3]"، فَتَحَلَّقَ الطلَّابُ حَولَهُ دَارِساً ومُدرِّساً لِمتُونٍ ومُصَنفَاتٍ كَثِيرةٍ . تَنَقَّلَ خِلَالَهَا إِلَى ضَرِيحِ الشَّيخِ أَحمَد بنُ عُقبَةَ [4] الحَضرَميّ معَ جَمعٍ مِن تَلَامِيذِه وكَانَ ذلِكَ فِي يَوم جُمُعَةٍ، ثُمّ أَنشَدَهُ أَبيَاتاً غَير فِي مَوجُودَةٍ الأَصلِ.

وفِي الأَثنَاءِ التَقَى رَجُلاً عَائِداً منَ الحَجّ حَديثُ عَهدٍ، فَقَصَّ لَهُ مِن أَخبَارِ الطَّرِيقِ والحَرَمَينِ مَا أَجَّجَ الشَّوقَ فِي نَفسِهِ لِزِيارَةِ الحَرَمَينِ والتَّعجِيلِ بِذلِكَ، فَكَانَ لِهذا اللِّقاءِ أَثرٌ فِي نَفسِهِ حَيثُ يَقُولُ: " وَرَجَعنَا إِلَى القَريَةِ. ثُمَّ لَمّا كَانَ الغَدُ يَومَ السَّبتِ، اجتَمعنَا بِمن هُوَ قَريبُ العَهدِ بالِبقاعِ الطَّاهرَةِ وحدَّثَنَا أَنَّهُ خَرَجَ مِن هَذِه الأَرضِ إِلَيهَا ولَم يلقَ إِلَّا خَيراً. فَغَبِطنَاهُ أَي غِبطَةً، واستَخْبَرنَاهُ عَنهَا وأَنشَدنَاهُ (لَمْ يرِد سِوَى صَدْرُهُ فِي الأَصلِ):

أَيَا زَيـدُ زِدْنِي مِنْ حَـدِيثِـكَ إِنَّـهُ حَدِيثٌ عَجِيبٌ كُلُّهُ وَغَرِيبُ [5]

فَتَدَارَسَ الأَمرَ –شورىً– معَ ابن عَمِّهِ محمّد سَالِم ابنُ أَحمَد محمُود، وَعَزَمَا الخُرُوجَ لِلحَجّ سِراً، تَارِكاً زِيارَةَ أَهْلِهِ بَاسِطاً نَفْسَهُ للسَّفَرِ. وَقَدْ أَزمَعَا التَّخَلُّصَ مِن رُفقَتِهِمَا المثَبِّطَةِ لَهمَا فَيقُولُ: "كُنَّا نَستَرِيحُ بِذكْرِ مَا نَحنُ عَازِمُونَ عَلَيهِ سِراً ونَتَحرَّى الخُرُوجَ مِن هُنَالِكَ مِن أَهلِنَا خِيفَةَ مَا يَكُونُ مِن شيَاطِينِ الإِنسِ"[6].

فَانطَلَقَا نَحوَ شَنقِيط فَتَزَوَّدَا مِنهَا وَخَرجَا نَحوَ تَكَانَت ثُمَّ تَجكَنَّة ، فالنّعمَةَ ، وفِي ضَحوَةِ يَومِ الأَربِعاءِ 20 ذِي القِعدَة نَزَلَا بِمدِينَةِ تُمبُكْتَ أَينَ لَقِيَا بِهَا أَحمَدُ بنُ المبَارَك بنُ أَبِي الأَعرَافِ التَّكنِي فَأَقَامَا عندَهُ وطَفِقَا يُطَالِعانِ الكُتُبَ بِمكتَبَتِهِ

(1) آدرار: إقليم يشمل شنقيط واقعة فوق جبل، فِي جهة غرب الصحراء الكبرى، ثم سمي القطر كله شنقيط، فصار من باب تسمية الشيء باسم بعضه. أنظر: أحمد بن الأمين الشنقيطي، الوسيط، مرجع سابق، ص422.

(2) هي مدينة عظيمة، وبلغني أنها أكثر دورا ونخلا من شنقيط، وتجاورها أودية كثيرة، وأهلها السماسرة، وتبعد من جهة الغرب الجنوبي عن شنقيط، مسافة يومين، ومعنى آطار :الطريق. انظر نفس المرجع.

(3) محمد يحي بن ابوه: نفس المرجع، ص77.

(4) هو العالم والامام عبد الكبير أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي اليماني نزيل مكة، ولد بحضرموت فِي إحدى الجمادين سنة 824هـ / 1421م. أنظر: محمد المهدي بن أحمد الفاسي، **مخطوط تحفة أهل الصديقية**، فِي مكتبة قاليكا الالكترونية: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des manuscrits. Arabe 2046 ، تاريخ الزيارة : 2021/05/02. على: 18.44.

(5) بيت لبهاء الدين زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي الشاعر المشهور.

(6) محمد يحي بن ابوه: نفس المرجع، ص77.

التِي يَقُولُ عَنهَا: " وَأَنزَلَنَا مَحلاً عالِياً فِيهِ خِزَانَةُ كُتُبٍ، مَا طَلَبْنَا كِتَاباً إلَّا وَجَدْنَاهُ"[1] ، وَلقيَا فِيهَا من أَعيَانِها كثِيرٌ، ونَظَمَ أبيَاتاً فِي أحمَدَ السَّابِقِ وفِي تُمبُكْتَ أَبيَاتاً عَدِيدةً. لِيَخرُجَا مِنهَا فِي 15 ذِي الحِجَّةِ لِيَحُلَّا ضَيفِينِ عَلَى الشَّيخِ بَايْ الكُنتِي الذِي عَامَلَهُمَا بِمَا يَستَحِقَّانِ.

ثُمَّ يَقطعُ الشَّيخُ البُلدَانُ الأَفرِيقِيةَ للسُّودانِ الغَربِيّ والأَوسطِ لِينتَهِي إِلَى الخُرطُومِ حَيثُ انْطَلَقَ فِي رِحلَةٍ بَحرِيةٍ إِلَى سَوَاكِنَ حَيثُ يُلزَمُ المسَافِرُونَ بِبعْضِ الإِجرَاءَاتِ التِي أَقرَّهَا المستَعمِرُ يَومَئِذٍ كَالتَّلقِيحَاتِ ولَوَازِمِ السَّفرِ واتِّخاذِ الصُّورِ الشَّمسِيةِ، فَيقُولُ سَارِداً: "وَركِبنَا البَابُورَ لَيلَةَ الخَمِيسِ مِنَ الخُرطُومِ، وَسارَ بَنَا إِلَى أَنْ بَاتَ لَيلَةَ الجُمُعَةِ فِي "بُورْت السُّودَانِ" (مِينَاءِ السُّودَانِ) ، ثُمَّ أَصبَحَ قَاصِداً إِلَى سَوَاكِنَ وَدَخَلنَاهَا يَومَ الجُمُعَةِ وَاشتَغَلنَا بِوظَائِفَ عَدِيدَةٍ أَلزَمَهَا النَّصَارَى الحُجَّاجَ مِنَ التَّصوِيرِ وشَرطَةَ الجُدرِي وشَرطَةَ الطَّاعُونِ"[2].

لِتَتَوَقَّفَ كِتَابَةُ الرِّحلَةِ بِمِينَاءِ سِواكِنَ، وَلَا ندرِي سَبباً لِذَلِكَ إِلَّا أَنَّ حَدَاثَةَ عَهدِ الكَاتِبِ بِالبَحرِ وانشِغَالِهِ وَقَفَا دُونَ ذَلِكَ ربّمَا، فَقَد ذَكَرَ أَنَّهُ لَقِيَ مِن طَرِيقِ البَحرِ قَبلَ سَوَاكِنَ مَرضاً شَدِيداً، فَرُبَّمَا يَكُونُ هَذَا سَبباً مِن أَسبَابِ تَوَقُّفِهِ عَن التَّدوِينِ رَحِمَهُ اللهُ. وَوَفَاتُهُ بِمكَّةَ –التِي وَصَلَ إِلَيهَا كَمَا تُشِيرُ رِسَالَةٌ بَعثَ بِهَا إِلَى أَهلِهِ يُبلِغُهُم فِيهَا وُصُولَهُ إِلَى مَكَّةَ فَجرَ يومِ الأَربِعاءِ الثَّالثَ والعِشرِينَ (23) من ذِي القِعدَةِ سَنَةَ 1348هـ/1930م – سَبَبٌ آخرَ فِي انقِطَاعِ تَدوِينِ رِحلَتِهِ، فَيذْكُرُ رَفِيقُهُ محمّد السَّالَمَ بنُ الهَادِي المَجلسِي بَعدَ عَودَتِهِ مِنَ الحَجِّ: "أَنَّ محمّد يَحيَى أَدَّى المَنَاسِكَ ثُمَّ مَرِضَ وتُوفِّيَ ضَحوةَ يَومِ الجُمُعَةِ الخَامِسَ عَشَرَ مِن صَفَر عَام 1349 ..."[3]. ليتوقَّفَ محمَّد يَحيَى بنُ ابُوه عَن الكِتابَةِ، وتُطوَى مَعَهُ صَفحَةُ عَالِمٍ جَهْبَذٍ خَبِيرٍ عَارِفٍ نِحرِيرٍ، تَفَرَّدَ تِلمِيذاً، وَتَفَرَّدَ مُعَلِّماً، وَتَفَرَّدَ فِي رِحلتِهِ شَكْلاً وَمضمُوناً رَحِمَهُ الله تَعَالَى وَنَفَعنَا بِعِلْمِهِ.

المَطْلَبُ الثَّانِي: أَهَمِيّةُ رِحلَةِ محمّد يَحيَى ابنُ ابُوه

تَكْمُنُ أَهَمِيّةُ رِحلَة العَلّامَة بنُ ابُوه اليَعقُوبِي فِي انتِمَائِهَا لِصِنفٍ يُدعَى "**فَهْرَسَتْ الرِّحلَة**" ، وَهِي فَهْرَسةٌ تُكْتَبُ عَلَى شَكلِ رِحلةٍ يُسَجِّلُ فِيهَا الرحَّالةُ مَا يَرَى وَيسمَعُ ، مُثْبِتاً أَسمَاءَ مَنِ التَقَى مِن شُيوخٍ وَتَلَامِيذٍ وَمَاذَا استَفَادَ مِنهُم ، إِضَافَةً إِلَى الإِجَازَاتِ التِي نَالَهَا مِنهُم ، فَهِي رِحلَة عِلمِيةٌ بِامتِيازٍ، يَدخُلُ القَارِئُ فِيهَا إِلَى عَالِمٍ مُزيَّنٍ بِأَسمَاءِ عُلمَاءُ أفذَاذٍ ، وَكُتُبٍ، وعلوم متنوعة مُفِيدَةٌ، ومُؤَلَّفَاتٍ وَفِيرةٍ مميَّزةٍ.

كَمَا تُعَدُّ هَذِهِ الرِّحلَةُ بِذَاتِهَا مَصدَراً مُهِماً مِن مَصَادِرِ تَارِيخِ القَرنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وَبِدَايَةِ العِشرِين ، فَقَد جَمَعَتْ بَينَ الوَصفِ والتَّحلِيلِ للمَكَانِ والزَّمَانِ والبَشَرِ ، وَعَالَجَ صَاحِبُهَا مَوَاضِيعَهُ بِشَكلٍ مُختَلِفٍ مُنذُ البِدَايةِ، فَربطَ بَينَهَا وَبَينَ حَيَاتِهِ

(1) محمد يحي بن ابوه: نفس المرجع، ص77.

(2) محمد يحي بن ابوه: نفس المرجع، ص142.

(3) نفسه، ن.ص.

كُلِّهَا فَهُو لَا يَرَاهَا شَيئاً جَدِيداً أَو مَعزُولاً عَن حَيَاتِهِ بَل مَحَطَّةٌ مِن مَحطّاتِها ،حَمَلَتْ خَصَائِصَ مُحدّدَةٍ وَحَسْبُ ، وَهَذَا مَا جَعَلَهَا فَرِيدَةً فِي طَرْحِهَا، غَزِيرَةَ المعنَى ، وَوَاسِعةَ الأُفُقِ، فَهِيَ أَقرَبُ للسِّيرَةِ الذَّاتِيةِ مِنهَا إِلَى الرِّحلَةِ رُغْمَ نَعتِهَا بِالرِّحْلةِ.

وَأَكثَرُ مَا يُمَيِّزُ الرِّحْلَةَ عَن مَثِيلَاتِهَا فِي بَاقِي الفَتَرَاتِ، هُوَ ظَرفُ كِتَابَتِهَا فَقد كُتِبَتْ فِي وَقتٍ[1] بَدَأَت فِيهِ الآلةُ الكُولُونيَالِيةِ فِي مُحَاوَلةِ مَسحِ الذَّاكِرَةِ العِلميةِ والثَّقَافِيةِ للمَنطِقَةِ ، فَكَانَت خَيرَ وَسِيلَةٍ لِتَفنِيدِ مَزَاعِمِ الإِستِعمَارِ بِتخَلُّفِ وَجَهلِ سُكَّانَ تِلكِ الأَقطَارِ فَهِيَ تُسَجِّلُ بِوُضُوحٍ غَزَارَةَ عِلْمِ المنطِقَةِ وتَغَوُّلَ الحَضَارَةِ فِي أَعمَاقِ تَارِيخِهَا ، لَولا سنَّةُ التَّارِيخِ القَاضِيةِ بِالتَّدَاوُلِ مِصْدَاقاً لِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾(آلِ عِمْرَانَ:140) .

(1) بعيد مؤتمر برلين (1884/1885م) قسيم القارة بين الدول الأوروبية.

الفصل الثاني

الحَيَاةُ العِلمِيَةُ فِي السُّودَانِ الغَربِي نِهَايَةَ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وبِدَايَةِ العِشْرِين

الفَصْلُ الثَّانِي

الحَيَاةُ العِلمِيَةُ فِي السُّودَانِ الغَربِي نِهَايَةَ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وبِدَايَةِ العِشْرِين

المبحَثُ الأَوَّلُ:

رَوَافِدُ الحَيَاةِ العِلْمِيَّةِ فِي السُّودَانِ الغَرْبِيّ نِهَايَةَ القَرنِ (19م) وبِدَايَةَ ال(20م).

المبحثُ الثّانِي:

أعمدةُ الحياةِ العِلميّةِ فِي السُّودانِ الغَربِيّ.

المبحثُ الثَّالِثُ:

إِسْهَامُ العُلَمَاءِ فِي الحَيَاةِ العِلمِيَةِ فِي السُّودَانِ الغَرْبِيّ.

المبحَثُ الأَوَّلُ: رَوَافِدُ الحَيَاةِ العِلْمِيَّةِ فِي السُّودَانِ الغَرْبِيّ نِهَايَةَ القَرنِ (19م) وبِدَايَةَ ال(20م)

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: وَسَـــائِلُ التّعلِيـــمِ

1- المسَاجِدُ والكَتَاتِيبُ: إرتبط الإسلامُ منذُ عصرِهِ الأوّل بالمسجِد ارتباطاً وثيقاً وعضوياً، واعتُبر مؤسّسةً تعكِسُ صورةَ الإسلامِ سواءً بمظهرِها أوْ مضمونها التّعبدي والتعلُّمي والتَّربوي، وهو مفتاح الدّارس للثّقافة الإسلامية باعتباره المؤسَّسةَ الرئيسية للعِلم في الإسلام منذُ قُباء، لتستمرّ السنّة في المسلمين بتخصيص ركنٍ في المسجدِ أوْ مكانٍ محاذٍ لهُ لتعليمِ صِبيانهم الكتابةَ والقِراءةَ.

وقدِ انتبهَ لهَذا كثيرٌ من الدَّارسينَ والرَّحالةُ أمثال "الحسن الوزّان" وأكَّدوا أنّ المسلمينَ في السُّودانِ استخدَموا المساجِدَ أَمَاكنَ للتَّعليمِ [1] حتَّى أنَّها أصبحتْ في العَصْرِ الحَديثِ بمثابةِ جامعاتٍ، ومعاهدَ تعليميةٍ ومراكزَ ثقافيةٍ وتربويةٍ [2] وكانَ للمسجدِ مركزٌ هامٌّ في حياةِ المسلمينَ والسَّوادينُ خاصّةً، وقد تنافسَ العلماءُ والعاملينَ للخيرِ على بناءِ المساجدِ وترميمها مثل: "القاضي العاقب بن محمود بن عمر أقيت [3]".

وفي أغلبِ الأَحيانِ كانت تحقّقُ أهدافها بتخريجِ العلماءِ والقُضاةِ والأُدباءِ (4)، واستمرَّ المسجدُ يؤدّي هَذِه الأَدوارَ حتّى ابتُليَّتِ المنطقةُ بالإستعمارِ الغربيّ الذِي حاولَ بكلِّ قواهُ أن يحجّر دورَ المسجدِ، ويَقصُرَ نطاقَ مَهامّهِ علَى الصَّلَواتِ المفْروضَةِ.

وعادةً ما كانتِ الحواضرُ هيَ الحاضنةُ لأهمِّ المساجِدِ بحكمِ كونها عَواصِمَ، وبِحُكمِ كَونِها مقرّاً للحكّامِ وأربابِ المالِ، حتّى أنّها ضاهَت في شُهْرَتِهَا الأزْهرَ في مِصْرَ والقَرويّينَ في تونسَ، وعلى سبيلِ الإشارةِ نذكرُ أهمَّها وأشْهرهَا في

---

(1) عزّ الدين عمر موسى: دراسات اسلامية غرب إفريقية، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ،2003، ص119.

(2) الموسوعة العربية: المجلد السادس، ط1، سوريا، 2002، ص853.

(3) أنفق في ترميم مساجد تمبكت الكبيرة مالا لا تعرف نهايته. عمر سالم بابكور: الاسلام والتحدي التنصيري في شرق افريقيا، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية، 1418هـ، ص25.

(4) أبو بكر إسماعيل محمد ميغا: تاريخ الثقافة الاسلامية والتعليم في السودان الغربي من القرن 4هـ حتى مطلع القرن 13هـ، مجلة الدارة الربيع الأول، 1993، العدد الثاني، ص 223.

السُّودانِ الغربيّ: **المسْجدُ الكَبيرُ بتُمبَكتُو** [1]، **مسجدُ سنكورِي** [2]، **ومسجدُ سيدي يحيى التَّادُلسِي** [3]، ومسجدُ **جنِّي، ومسجدُ قاوْ.**

2- المدَارسُ والمحاضِرُ[4]: تميَّزتِ المدارسُ في السُّودانِ الغربيّ بارتباطِهَا بالدِّينِ ، فلمْ تكنْ فِي البِدايةِ إلَّا ملحقاتٍ بالمساجدِ ، وفِي القُرى الصَّغيرةِ الخَاليةِ منَ المساجدِ يُعلَّمُ الأطفالُ فِي ساحةٍ صغيرةٍ فِي الحيّ[5]، وكَانتْ حَوَاضِرُ السُّودانِ الغربيّ تَعجُّ بالمدَارسِ والطُّلَّابَ من كلِّ أنحاءِ السُّودانِ ، ففِي تُمبكْتُو مثَلاً كانَ عددُ الطّلبةِ يتجاوزُ 25 ألفاً وَهُوَ عَدَدُ سُكانِهَا حَالياً- كَمَا كَانَ عددُ المسَاجدِ والمدارسِ والمحاضرِ فِيهَا يتجاوزُ ال200 فِي ذلكَ الوقْتِ[6].

وخِلالَ ذلِكَ فِي شمَالِ السُّودانِ الغربيّ ستبدأُ الطَّفرةُ التِي ظهرتْ مع "عبدِ اللهِ بن ياسينَ الجزوليّ" عامَ (1431م) لما أرادَ تأْسيسَ حركةَ المرابطينَ حَيثُ ستتحوَّلُ مرابطُ المرابطينَ إلى ما يُسمّى بالمحاضِرِ وسميَ العَالمُ فِيهَا بالمرابِطِ وانتشرت في بعضِ حواضِرِ غربِ إفريقيَا، ثُمَّ انحصرتْ فِي بِلَادِ شنقيطَ حتّى الآن. ومَا يميّزُ المحضرةَ استثناءاتُها وتفرّدها، فِي اسمِها أوّلاً، ثمَّ فِي نَشأتِهَا فَالعلمُ فِيهَا -عَلَى عكسِ نظريةِ ابنِ خَلدونَ أنَّ العلمَ مرتبطٌ بالحضارةِ، حَيثُ انتقلَ العِلمُ فِيهَا منَ المرابِطِ الى المدنِ ثمّ الى البَوادِي فازدهارُها كان فِي البادِيّةِ، أمَّا استثناءُها الثّالثُ فيتمثّلُ فِي ظُهورِهَا وتصدُّرِها فِي وقتٍ عانَ فِيهِ العالمُ الإسلاميّ رُكُوداً وانحطاطاً علمياً شاملاً [7]. وقد بدأتِ المحاضِرُ تنتشرُ فِي البادِيةِ بدايةً من القرنِ (10هـ)

---

[1] إختلفت الأسماء التي أطلقت عليه فيسمى كذلك "جانكوبر" و "جنجوير"، وجانكبر تعني بلغة سنغاي المسجد الكبير، أنظر: مقاديم عبد الحميد: الأطروحة السابقة، ص49.

[2] تحت المجهر (حصة وثائقية): "تمبكتو ... جوهرة الصحراء " ،تقديم عياش دراجي، تصوير منصور الأبي، إعداد منتصر مرعي، تحت المجهر، قناة الجزيرة الوثائقية على اليوتيوب، رفعت الحلقة بتاريخ 2008/03/10، بداية من د4.، د10.

[3] سيدي يحي بن عبد الرحيم التادلسي من أبناء القرن (9هـ/15م) نفي من الأندلس وقدم تمبكتو وسمي المسجد باسمه. أنظر محمد جلة ديكو، تمبكتو ... جوهرة الصحراء "الوثائقي"، مرجع سابق، د 15.

[4] المحضرة "بالضاد أو بالظاء": مؤسسة من مؤسسات التربية والتعليم الاسلامية الاصيلة قد تأتي بمعنى المدرسة عموما وقد يقصد خصوصا محاضر غرب أفريقيا التي تتميز عن غيرها أنها جامعة شعبية (تستقبل كل من يرد اليها باختلاف سنه ومنشئه ومستواه)، بدوية متنقلة (ازدهرت في البادية)، تلقينية فردية التعليم (استاذ وطالبه)، طوعية الممارسة (ليس فيها اختبارات ولا إلزام بتعلم فن معين أو شيخ معين). انظر: الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة-والرباط ، مرجع سابق، ص ص 53-60.

[5] نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر د.ت، ص159.

[6] تمبكتو ... "جوهرة الصحراء: الوثائقي السابق، محمود عبدة (وزير مالس سابق)، د8 فما بعدها.

[7] برنامج أسمار وأفكار: المحظرة الشنقيطية...واحة العلم في ربوع الصحراء، قناة أسمار وأفكار على اليوتيوب، د. ابراهيم الدويري، رفعت بتاريخ: 2019/7/8، د3 فما بعدها.

أشهرهَا: محضرةُ الكحْلاء، ومحضرةُ ولد رَازْقة، ومحضرةُ المختار ولد بونَة، ومحْضرةُ يحظيهْ بنُ عبدْ الودودِ، ومحضرةُ محمّد الأمينِ ابنِ أحمد زَيدان، ومحضرةُ ابّاه ولد محمّد لمين، ومحضرةُ الحاج ولد فَحْفُو وغيرُها.

3. **الكُتبُ والمكْتباتُ والعْلومُ الرَّائْجة** : كانتِ المكتباتُ فِي مجْملِها مُلكاً للعلماءِ أوِ الأثرياءِ والملوكِ –فلمْ تنتشرِ المكاتبُ العامّةُ إلاَّ مؤخراً – غيرَ أنّهَا مفتوحةٌ لكلِّ الرّاغبينَ فِي الإطِّلاعِ والدِّراسةِ ، وعرَفَ عنْ هؤلآءِ أنّهم لمْ يكُونوا يبْخلونَ بالكُتبِ علَى طالبيهَا مهْما كانتْ قيمتُها[1] ، ولهذا ستنتشر فِي السُّودانِ الغربِيّ حركةَ نسخٍ واسعةٍ لنسْخِ الكُتُبِ التِي يريدُهَا النَّاسُ ، ليصبِحَ الخطّاطونَ أَغنِياءَ وتصبحُ حِرْفةُ الكِتابة مربحةً جداً حتّى أنَّ أَحدهُم ليحصلُ علَى عددٍ منَ الأَبقارِ لقاءَ كتابٍ واحدٍ يخطُّه[2] ، وظهر علَى إثرِ ذلكَ فِي تمْبُكْتُو خطٌّ جديدٍ متفرّعٌ عنِ الخطِّ الأندلسيّ سُمّيَ بِـ "الخطِّ التُّمبُكْتِي" أو الخطِّ السُّوداني[3].

ونتيجةً لازدهارِ الحَياةِ العِلمية، أقبلَ النّاُس علَى اقتناءِ المكْتباتِ الخاصَّةِ، الّتِي لمْ تكن حكراً علَى أسمآء معيّنة بل لكلِّ أسْرة كبيرةٍ مكتبةً مليئةٍ بالكتبِ والنَّفائسِ، ففِي تُمبُكْتو وحدهَا نحوَ 80 عائلةٍ تمتلكُ مَكتَباتٍ خاصةٍ ويقدّرُ عَدَدُ مَخطُوطاتهَا ب 300 ألفٍ مخطوطٍ أتتْ من طرقٍ عدّةٍ أبرزهَا الطّريقُ الغربيّ مِنَ الأندلُسِ نحوَ السُّودانِ الغربيّ[4]. وهذَا ما يُفسِّر كَلامَ العلَّامةِ ابنُ ابُوه عِندَ حديثِهِ عنْ مكتبةِ رجلٍ أضافهُم فِي تُمْبُكتَ يُدعى أحمد ابنُ المباركِ ابنُ أَبِي الأَعرافِ التَّكنِي حيثُ قال عنْ مكتبتِهِ: " فأنزَلَنا مَحلاً عالياً فيهِ خزانةُ كتُبٍ ما طلبنا فِيها كِتاباً إلَّا وجدْناه ... وطالَعْنا كتُباً منها فِي الحديثِ وغيرِ ذلكَ، ومررنا علَى جميعِ المباشرِ علَى ابنِ عاشرٍ للنَّابغةِ الغلَّاوي –شرحٌ لهُ–، ونظْمُ عبدِ الله بنِ الحاج حمّى الله الأخضريّ وشرحُهُ ..." [5]. وقبلهُ كلامُ الحسنِ الوزَّانِ عنْ مكتبةِ الشيخِ ' أحمَد بَابَا التُّمبُكتِي' وَقَولُه أنّها إحتوت ستّةَ عَشَرَ مَائَةَ كتابٍ[6]، ومهمَا تكُن صحّةُ هذَا العدَدِ فالمهمُّ فِي القضيّةِ هو توفُّرُ المكْتبَاتِ علَى أعدادٍ ضخمةٍ ومتنوعةٍ منَ الكُتبِ فِي مختَلَفِ الفُنون. فاحْتوتِ المكتَباتُ علَى مُصنّفَاتٍ بَعضُهَا فِي علومِ الفَلَكِ والحِسَابِ والطبِّ وبعضُهَا يعُودُ الَى القُرونِ الثَّلاثَةِ أو الأَربعةِ الأولَى من تَارِيخِ الحركةِ العلميةِ فِي الأندَلُسِ وفِي مِصْرَ وفِي آسيا الوُسطَى وصلَتْ عبرَ الحجِّ

---

(1) أبو بكر إسماعيل محمد ميغا: تاريخ الثقافة الاسلامية، مرجع سابق، ص249.

(2) مبارك جعفري: الأزواد، مرجع سابق، ص195.

(3) نفسه، ص196.

(4) تمبكتو ... "جوهرة الصحراء ": الوثائقي السابق، بداية من الدقيقة 13.

(5) محمّد يحي ابن ابوه: مصدر سابق، ص ص 85/84.

(6) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص54.

والرّحلاتِ والإهدَاءاتِ مِثلَ رِحلةِ سيدي حَبَتْ الغَلَّاوِي [1] الذِي جَاءَ بمكتبةٍ ضخمةٍ فِي طريقِ عودَتِهِ منَ الحجِّ [2]. حتّى أنّ هناكَ مخطوطاتٍ بعضها ضائعٌ يذكرُ فِي المصادرِ المشرقيةِ ولا يُعرفُ مكانُه وهوَ موجودٌ فِي مكتباتِ السُّودانِ الغربيّ مثلَ كتابِ شرحِ الزّرقانيّ للشَّيخِ خليلٍ [3]. كما كانَ هناكَ عشَّاقٌ لجمعِ الكُتبِ والمؤَلَّفاتِ النَّادرةِ، وقدْ وقفَ دِيبْوَا علَى مؤلفاتٍ أدبيةٍ من إسبانيَا والمغربَ إلَى جانبِ أعْمالٍ من سُوريَا وبَغْدَادَ [4].

أمَّا **الكُتُبُ** فيظهَرُ من خِلالِ الرّحلةِ أنَّ محمّد يحيَى بنُ ابُوه قد دَرَجَ كمَا أَقرانُهُ علَى تَدَراسِ الكُتبِ منذُ الصّغرِ ، علَى حدِّ السواءِ؛ الإجباريّ منهَا والإختياريّ ، فهناكَ كُتُبٌ فَرضتْ نَفْسهَا كمَا فَرضَها العُرفُ فِي مسارِ التَّعلُّمِ، لقُربِهَا منَ الكَمالِ وحصولِ البركَةِ بِتَعلُّمهَا فَنجِدُهَا تَنقَسِمُ علَى أسَاسِ الرَّافدِ الذِي قَدِمتْ منهُ فَمِنهَا : المصرِيُّ (خليلُ بنُ اسحاقٍ المالكيّ) ، ومنهَا الأندلُسيّ (ألفيُة بنِ مالكٍ) ، ومنهَا القَيروَانيُّ وهوَ الشائعُ (رسالةُ ابنِ ابِي زيدٍ القَيروَانِيّ) ، أمَّا الرّافِد العِراقيُّ فَالتَزمَتهُ الطَّريقَةُ القادِريّة[5].

وعلَى إثْرِ ذلكَ تنوَّعتِ **العُلُومُ** وتفرَّعتْ حتَّى صارَ يَصعبُ تَحْصِيلُها كلَّها إلَّا علَى أصحَابِ الهِمَمِ وقدْ راجَتْ منهَا العُلومُ الشَّهيرةُ [6]:

اللُّغةُ والنّحوُ: وهيَ أوَّلُ ما يُتعلَّمُ، يُعتَمدُ فِيهَا علَى كُتُبٍ كَثِيرةٍ كمُقدّمةِ أجَرُّوم، ومُلْحَةُ الإعْرَابِ للحَريريّ، وقَطْرُ النَّدى لابنِ هشامٍ، وأَلفيةُ بنِ مالكٍ، ولَاميَّةُ الأَفعَالِ، وكافيةُ بنِ مالكٍ وشرحُهَا، والفَريدَةُ للسُّيوطِي، ومَنهَجُ السَّالِكِ للأَشْمُونِيّ، وَالشاميَّة فِي الصّرفِ. وفِي مقاصدِ اللُّغةِ وتراكِيبِهَا: مقاماتُ الحرِيريّ، ومختاراتٌ منَ الشِّعرِ الجاهليّ.

الفِقهُ والحديثُ: كالصَّحيحينِ (البُخاريّ ومُسلِم)، والموطّأ، وسُنَنُ ابنِ ماجةَ، وسُنَنُ ابنِ داوُودَ، وسُنَنُ التُّرمُذيّ، وسُننِ النِّسائيّ، بالإضَافة لمختصر خليلٍ.

---

[1] هو الشيخ سيدي محمد بن أحمد بن سيدي أحمد بن محمْ بن أحمد الملقب "حبتْ" الغلاوي. انظر: موقع الشيخ ماء العينين في: http://www.cheikh-maelainin.com/?personnalities=%D8%B3%D9%8A%D8%AF%D9%8A-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A8%D9%86-%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D9%84%D8%A7%D9%88%D9%8A ، تاريخ الزيارة: 2021/04/23 على الساعة 17:36.

[2] وثائقي: شنقيط ... ذاكرة موريتانيا، إعداد محمد أجاج، إخراج: وحيد المثنى، قناة الجزيرة الوثائقية على اليوتيوب، رفع بتاريخ 2015/9/13، د10. وطالع: فيليكس ديبوا، المرجع سابق، ص229.

[3] وثائقي: شنقيط ... ذاكرة موريتانيا، مرجع سابق، د9.

[4] فيليكس ديبوا: مصدر سابق، ص ص 229/228.

[5] المحظرة الشنقيطية: نفس المرجع.

[6] مبارك جعفري: الأزواد، مرجع سابق، ص194/193

المَطْلَبُ الثَّانِي: مَراحِلُ التَّعليمِ ومَنَاهِجُهُ

يمرُّ المتعلّمُ فِي السُّودانِ الغربيّ بثلاثِ مَراحلَ يحدّدهَا عاملُ السِنّ عمُوماً بالإضافةِ إلَى سرعة الفَهمِ والحفظِ وهيَ:

1- المرحلةُ الإبتدائية : التَّعليمُ الإبتدائيّ يمثّلُ المرحلةَ الصَّلبةَ لكلّ مُتعلّم حيثُ تعتبرُ المرحلةَ الوحيدةَ الّتي يؤخذُ فيهَا السنُّ كمقياسٍ ، فكانَ التّلاميذُ فِي السِّلكِ الإبتدائيّ لا يتجاوزون سنّ الصّبا -أيّ بَين 5سنواتٍ و7 سنواتٍ ، وتكونُ عادةً فِي الكَتاتِيبِ مَعَ اختلافِ تسمياتها من منطقةٍ إلَى أخْرى ، ويؤَكّدُ ابنُ خَلْدون علَى ضرورةِ هاتهِ المرحلةِ بقَولهِ: " إنَّ تعلُّمَ الوِلدانِ للقرآنِ شعارٌ مِن شعائرِ الدِّينِ أخذَ بهِ أهلُ الملَّةِ ... وصارَ القُرءانُ أصلَ التّعليمِ الذِي يُبنَى عليهِ ما يحصلُ من مَلكاتٍ".[1]

حَيثُ يبدَأُ الطَّالبُ عادةً بكتابةِ حروفِ الهجاءِ ثمَّ تُكتبُ له الفاتحةُ ثمَّ المعوّذتينِ ثمَّ الإخلاصُ وقِصارُ السُّوَرِ، ثمَّ باقِي القُرءَانِ، ثمّ معَ الوقتِ يتمرَّن على قراءةِ ما هوَ مكتوبٌ إلَى أنْ يتمَّ حِفظَ القُرءَانِ مِن آخرِهِ إلَى أوَّلِهِ. يَقولُ ابنُ ابُوه :"لما بَلغَتُ سنَّ المكتَبِ -أيْ سنَّ التَّعلّمِ- كَتَبتْ لِي أمّي وأقرأتْنِي بَعْضَ سُورِ القُرءَآنِ ، ثمَّ أقْرأنِي عمّي محمَّد سالِم ابنُ ابُوه أَربعةَ أَحزابٍ ... ثمَّ أقْرأتنِي أمّي من هُناكَ وعلَّمتنِي الخَطَّ إلَى سُورَةِ الأنبياءِ، علَى العَادةِ عندنا فِي تعليمِ القُرءَآنِ مِن آخِرِهِ"[2]، وبعدَ فِعْلِ ذلكَ ينتقِلُ لتعلُّمِ النَّحوِ الذِي مِن أَهميّتِهِ أنَّهُ صارَ عندهم فاصلاً بينَ المتعلّمِ والجاهلِ[3] ، ويحرصُ خلالَ ذلكَ على ضبطِ أحكامِ التَّجويدِ والتِّلاوةِ، وبعدَها يتعلَّمُ الفرائضَ وأمورَ الشَّريعةِ .[4] مستعيناً بصغارِ الكُتبِ والنُّظمِ مثلَ : نَظمِ عبَيدُ ربِّهِ، قصائدُ الشِّعرِ والمعلَّقاتُ، وابنُ عَاشِرٍ، وهَمزِيةُ البُصَيريّ وغيرِهَا[5]

2- التَّعلِيمُ الثّانَويّ والعَالِي : ينتقلُ الطَّالبُ بعدَهَا الَى مرحلةِ التَّعليمِ الثَّانَويّ والعَالِي اللَّتانِ لمْ تُحدَّدَا بسنٍّ معيّنٍ ، كَمَا ليسَ هناكَ حدودٌ واضحةٌ بينهمَا ولعلَّ ذلكَ من نتائجِ حريةِ التَّعليمِ عندهُم ، وفِيهِ ينتقلُ التَّلاميذُ إِلَى الزَّوايا أوِ الحَواضِرِ[6]،وتمتازُ هذهِ المرحلةُ بأنَّ الكُتبَ الّتِي تدرَّسُ فيهَا كتبٌ مبسّطةٌ، مثلَ: الموطَّأ ورسالةُ ابنِ أبِي زيدٍ، ومَقاماتُ الحرِيريّ، يتولّى تدريسَهَا الأَشياخُ الذِينَ اعتُبِرُوا مُتوسطيّ المستَوى أمام الأساتذةِ الّذينَ يدرّسونَ مُفصَّلاتِ الكُتُبِ .[7]

---

(1) ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص506. و: الحسن الوزان، المصدر السابق، ص539.

(2) محمّد يحي بن ابوه: مصدر سابق، ص9.

(3) مبارك جعفري: الأزواد، مرجع سابق، ص 191/190.

(4) محمّد يحي بن ابوه: نفسه، ص9.

(5) نفسه، ص9.

(6) مبارك جعفري: نفسه، ص191.

(7) عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا (1038م-1121م)، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1988، ص166.

ولم تُحدّد هذهِ المرحلةُ بوقتٍ معينٍ فالعاملُ الوحيدُ للإنتقالِ هوَ مدَى تمكُّنِ الطَّالِبِ من مختلفِ الكُتُبِ والإنتهاءِ منهَا، فقد يُنفِقُ أحَدهُم ثَلاثَ سَنواتٍ فِي دراسةِ موطَّأ مالكٍ أو غَيرِهِ منَ الكُتُبِ الموسَّعةِ [1]. ولم يَكُن يختصُّ التَّعليمُ بالذُّكور وحدَهُم، بلْ حتَّى الإناثُ، وحتَّى العبِيدُ والإماءُ، فيروِى – نقلاً عن إبراهيمَ الدّويرِي [2]– أنَّهُ كانَ فِي شنقيطَ 300 جاريةٍ تحفظُ مقاماتِ الحريريّ وفِي بعضِ الرّواياتِ أنَّهَا تحفظُ موطَّأَ الإمامِ مالكٍ.

ويُشبِهُ نظامُ التَّعليمُ فِي السُّودانِ الغربيّ مثِيلَهُ فِي مناطقِ المغربِ الإسْلاميّ فبعدَ معرفةِ كتابِ اللهِ يُقبلُ الطُّلّابُ علَى فنونِ العلمِ أوّلاً بأَوّلٍ ، فينتقلُ الطَّالبُ خلالهَا بينَ الأَدبِ والنّحوِ ، وبعدهَا يختلف توجّه التّلاميذِ فمنهم من يكملُ الدِّراسةَ في الفقهِ نحوَ تفسيرِ القرءَآنِ فينشغِلُ بِهِ ومنهم مَن ينحُو نحوَ اللُّغَةِ والأَدبِ، ومنهم من يفنِي عمُرَهُ فِي التّصوُّف، أمَّا علمُ الحديثِ فلَا يتعلَّمونَهُ فِي المدَارِسِ إنّما من حَصَّلَ العلومَ السّابِقةَ جَازَ لَهُ الإشتغالُ بِهِ مُطَالعةً وَنَظَراً.[3] وأمّا الجهَابِذَةُ فلَا يكتفونَ بفنٍّ واحدٍ بلْ يتعدُّونَ إلى كلِّ الفُنونِ ، والشَّيخُ باي الكُنتِي وقَرينُه محمَّد يحيَى الوَلاَتِي خَيرُ مثالٍ على ذلكَ، فتجدهم فقهاءً وأدباءً ومتصوّفينَ .

وما يميّز المنهَاجَ التَّعليميّ خصوصاً فِي المحضَرةِ هو حريّة اختيارِ المادّة المدروسةِ ومدَرّسها فلَا إكراهَ فِي تَعلُّمِ عِلمٍ دونَ سواهُ ولا إجبارَ للجلُوسِ إلَى شَيخٍ بذاتِهِ، وتزدادُ حرية التَّعلم في التَّعليمِ العالِي إذ يمكنُ دراسةُ العلومِ بدونِ شيخٍ شرطَ التّمكنِ من أسَاسياتِها ، وفِي هذا يقولُ ابنُ ابُوه: " ونُقِلَ فيهِ عن البِساطيّ ، من أخذَ من بطونِ الكُتبِ الفقهَ غيّر الأحكامَ ـ أو النَّحو لحنَ في الكلامِ، أو الطبَّ قتلَ الأنامَ، أو التَّصوُّفَ مزَّقَ الإسلامَ"[4] ،كَمَا اعتادَ كبارُ الطَّلبةِ اتّباعَ نظامِ قراءةِ الكُتبِ جَماعةً لمزيدٍ منَ التثبّت والإفادةِ كما ذكرَ ابنُ ابُوهُ قِراءتَهُ لمختصَرِ خَليلٍ معَ ثلّةٍ منَ العُلَماءِ منهُم قَرينُهُ محمَّد عَالي بنُ عبدِ الوَدودِ قراءةَ تدقيقٍ وتحقيقٍ[5].

3– الإجازَاتُ: الإجازةُ إحدى طرقِ التحمُّلِ والرّوايةِ عندَ المحدَثِينَ مِن أَهلِ العِلمِ ؛ وهِيَ إطلَاقاً: إذنُ المحدّثِ للطَّالبِ أنْ يرويَ عنهُ كتاباً من كُتُبِ الحدِيثِ أَو غَيرِهِ، مِن غَيرِ أنْ يَسمَعَ منهُ أَو يقرأَ عليهِ، وتكُونَ فِي الخصُوصِ سماعاً منَ الشَّيخِ، أو عَرضاً عَليهِ أيّ قراءَةً، أو مناولةً للكِتابِ فعلاً رمزياً [6]، كمَا يعلّق سعدَ الله عندَ حديثِهِ عن تطوّر الإجازةِ

---

(1) عمر سالم بابكور: الاسلام والتحدي التنصيري في شرق افريقيا، ص35.

(2) المحظرة الشنقيطية...واحة العلم في ربوع الصحراء، مرجع سابق، د12:40 فما بعدها.

(3) مبارك جعفري: مرجع سابق، ص194/193.

(4) محمّد يحي بن ابوه: مصدر سابق، ص87.

(5) نفسه، ص13.

(6) أبو صفوان ذياب بن سعد: الوجازة في الإثبات والإفادة، تقريظ: زهير الشاويش، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1428 هـ، ص ص 22/21.

عبرَ الزَّمنِ أنَّ الإجازةَ بعدما كانت تُمنحُ منَ الشَّيخ لتلميذِه او عَديلِه- من عالِمٍ إلَى عَالِمٍ- بعد القراءةِ عليهِ او سماعِهِ ، لَكِن إختلَّت معَاييرهَا فقد أَصبحَتْ تُمنحُ دونَ شرطِ الحُضورِ والملازمةِ والجدارةِ ، بلِ انتَهَت بِمنحِهَا مُراسَلةً فَقَط، مَا يَنُمّ عنْ ضعفٍ في العزيمةِ وأنفةٍ عن تحمُّل مشاقِّ طلبِ العلمِ ، فَاكتفَى كَثيْرٌ من طَلبةِ العِلمِ بَعدَهَا بِالأسماءِ والأوراقِ دونَ العِلْمِ نَفسهِ[1]. وهوَ الدَّارجُ فِي السُّودانِ الغربيّ كَمَا هوَ فِي باقِي أقطارِ العالمِ الإسلاميّ، معَ اختِلَافِ شُرُوطهِ وطُقوسهِ مِن مَنطقةٍ الى منطقة ومن مدرسةٍ الى أخرى لكن تبقى كلُّها تتّفق فِي أنَّ الإجازةَ تعني تمكينَ المُجاز فِيما أُجيزَ، ومنحهِ الحُريَّةَ فِي نقلهِ وتَعليمِهِ.

يَصِفُ **عَلِي وَلد سِيدِي**[2] طُقوسَ الإجَازةِ فِي سَنكُورِي فَيقُولُ: "كانَ التَّعليمُ مُنظَّماً فِي أربَعةِ أَطوَارٍ ، حَيثُ يبدأُ التَّعليمُ الأَكاديميُّ عندَ بلوغِ سنِّ الرَّابعَةِ وعندمَا ينتَهِي مِنهُ بعدَ سنَواتٍ يجلسُ إلَى أرْبعينَ عالِماً يمتحِنونهُ ، ويُمنَحُ إذَا اجتَازَ الإمتحانَ إجازةً ، ويلبِسونهُ عِمامةً ذاتَ دلالةٍ أكَادِيمِيَّةٍ ، فإذَا وُضِعت علَى شكلِ الأَلِف تعني إجازةً في النَّحوِ ، وإذَا كانت علَى شكلِ اللَّامِ تعنِي إجازةً في الجغرافيا ، وإذا تكرَّر حرف اللَّام فتعنِي إجازةً فِي الرياضياتِ ، وعلَى شكلِ الهاءِ تعنِي إجازةً أخرَى ، والحُروفُ مُجتمِعةٌ تشكِّلُ لفظَ الجلالةِ "الله" ومعناهُ الإجازةُ فِي تفسيرِ معانِي القُرءَآنِ".[3] فَهي بهذا المعنى تشبهُ الشَّهادةَ الجَامعيةَ أو شهادةَ الكفَاءةِ حَالياً. (أُنظُر الملحَق رَقمُ: 06)

والإجازَةُ كلُّها مفِيدةٌ، فِي مَعرِفةِ الأسمَاء والأعلَام وأسَانيدِ عُلُومِهِم وَمعَارِفِهم، وَفِيهَا عَرضٌ للعلومِ والكُتُبِ الرَّائجةِ في ذلك الزَّمانِ، فعادةً ما تُفتَتَحُ الإجازةُ بالبَسملةِ والصَّلاةِ علَى النَّبي وءالِهِ، ثمّ تُعرِّفُ بالمُجازِ ومآثرِه، فالإسنادِ وسَلَاسِلِه، ثمَّ الكُتُبَ والعُلُومَ المجَازةِ لهُ والمسمُوحِ لهُ نقلُها وَتعليمُها، وتُختَمُ بختمِ المُجيزِ وإسمِهِ؛ فبهَذَا تكُونُ الإجَازةُ مَصدَراً مُهِماً للتأْريخِ.[4]

وَقدْ أَجَازَ الشَّيخَ بَايْ أخُوهُ سِيدِي مُحَمَّد فِي الطَّرِيقَةِ القَادِرِيَّةِ عَن حُضُورٍ وسَماعٍ وكَفاءةٍ، كَمَا أَجَازهُ بطلبٍ منهُ الشَّيخُ محمَّد يحيَ الوَلاَتِي فِي الكُتبِ السِّتةِ، والشَّيخُ سِيدِي حَمزَة ابنُ الحَاج أَحمَد الفُلانِي التُّواتِيّ.[5]

ويظهرُ من خلَالِ ذلكَ أنَّ للإجازَةِ أنواعٌ تختلفُ باختلافِ الفنّ المُجازِ فِيهِ فنجدُ:

الإجازةَ في الفقهِ، والإجازةَ في الشعرِ، والإجازةَ في الحديثِ، وفِي رِوَايَاتِ القُرءَانِ الكَرِيمِ وقِرَاءَاتِهِ وَغَيرُهَا كَثِيرٌ.

---

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص ص 55/54.

(2) مدير البعثة الثقافية في تمبكتو سنة 2007.

(3) تمبكتو ... "جوهرة الصحراء ": الوثائقي السابق، بداية من الدقيقة 12.

(4) أنظر نموذج إجازة الشيخ باي في: الرحلة الحجازية لابن ابوه، المرجع السابق، ص108.

(5) نفسه: ص ص 104-109.

المبحَثُ الثّانِي: أعمدةُ الحياةِ العِلميّةِ فِي السُّودانِ الغَربيّ

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: الشَّيخُ محمَّد بايْ بنُ عُمَرَ الكُنتيّ

خَصَّهُ ابنُ أَبوه بأَكبرِ جزءٍ من رحلتهِ متحدثاً عنهُ وعَن صِفَاتهِ وعِلمهِ وتَصَانِيفِهِ.

1-إسمهُ وَنَسَبُهُ ومَولِدُهُ

هوَ العلَّامةُ الحافظُ الفقيهُ الحجَّةُ ، الشَّيخُ محمَّد بايْ بن الشّيخِ سِيدِي اعمَر ابنُ الشّيخِ سِيدِي محمَّد ابنُ الشّيخِ سيدي المختار الكبير الوافي(1) ،كَثيراً ما يكتُبُ هوَ نفسُهُ اسمَهُ هكذَا: محمّد الصّغير عُرِفَ بِبايْ(2)، ينتمِي الى قبيلةِ كُنْتَه ، وهيَ منَ القبائلِ العربيةِ المنتشرةِ فِي الصّحراءِ الكُبرى ، منَ الجزائرِ والنَّيجر شرقاً إِلَى موريتانيا والسّنغاَل غرباً وقبيلةُ الكُنتيينَ تَلتقِي عندَ جدّهم الجَامِع سِيدِي المختَار الكُنتِي الكَبيرِ ، دفينُ مدينةِ "عزّي" بولايةِ أَدرار حالياً ، والذِي ينتسِبُ إِلَى التَّابعيّ الجليلِ عقبةُ بنُ نافعٍ الفِهريّ القُرَشيّ، فَاتِحُ إفرِيقيَا.(3)

أَما اسمُ أمّهِ كَمَا ضبَطهُ عُقبَة كُنتة: سِيسَّا. وجاءَ علَى لِسَانِ بُول مَارِتِي: (وكانتْ أُمُّهُ العَافِية عِبَارةً عَن جَارِيةٍ مِن قَبِيلَةِ إيبوغْلِيتَنْ). (4) ولَا نَدرِي هَل "العَافِيةُ" اسمٌ اشتَهَرَت بِهِ أَم هُوَ وَصفٌ ألصَقهُ بِهَا المؤلّفُ.

ولدَ عَام 1282هـ/1865م، وفِي تَرجمةِ مالك كَرشُوش: ما بين هـ1284 و1285هـ (5)، ويذكُر أنّ مكانَ ميلادِهِ كانَ ب "أتليه" وهُوَ مكَانٌ تابعٌ لِكِيدَالَ (6) شَمَاليّ مَالِي (7).

---

(1) محمّد يحي ابن ابوه: مصدر سابق، ص 107/106.

(2) الكنتي محمد باي بن عمر (ت1348هـ): السنن المبين من كلام سيد المرسلين (شرح الأحاديث المقرية)، تح: يحي ولد سيد احمد، دار المعرفة، 2011، ج1، ص ص 26

(3) ينظر: الكنتي محمد باي بن عمر: السنن المبين من كلام سيد المرسلين، نفس المرجع، ج1، ص ص 26-28؛ والسنن المبين في شرح أحاديث أصول الدين، تح: مالك كرشوش حميد الكنتي، مركز الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الرويبة، ط1، 2001م، ج1، ص ص 42-44؛ محمد بن الحاج عابدين الكنتي: منار الارشاد في معرفة طرق الرواية والإسناد، اعتنى به: توفيق بن عمار الكيفاني، دار الفرقان، الجزائر العاصمة، ط1، 2018م، ص121.

(4) مختار بن جعفري: شرح الأحاديث المقرية للشيخ محمد باي بن عمر الكنتي (أبواب الزكاة والصوم والحج دراسة وتحقيق)، أطروحة دكتوراه في العلوم الاسلامية، تخصص فقه وأصول، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، قسم الشريعة، إش: أ.د محمد دباغ، 2016، ص12.

(5) بول مارتي: كنتة الشرقيون، تع: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، ص130.

(6) تبعد عن الحدود المالية الجزائرية بحوالي 300 كلم.

(7) مختار بن جعفري: الأطروحة السابقة، ص12.

2- حياته العلمية

أ) طَلَبُهُ للعِلمِ

دَرج الشّيخُ محمّد بايْ علَى مَا سَارَ عليهِ أَسلافُهُ وأقرانُهُ ، مِن تَلقِّيهِم لمبادِئِ العُلومِ وأساسياتُها على والديهِم وأقَارِبِهم منَ العلَماءِ ، فأخَذَ العِلمَ عَن وَالدهِ الشَّيخ سِيدِي اعمَر، ثُم أَخِيهِ الأَكبَرِ الشَّيخُ مُحَمَّد المعرُوف بِ "بَابُ الزَّين" ، الذِي كَلَّفهُ بَعدَ وَفَاةِ وَالِدهِ وهُوَ ابنُ خَمسِ سِنِينَ ، فَأجَازَهُ أخوهُ فِي جَمِيعِ العُلُومِ(1) ، وَللشَّيخِ بَايْ إِجَازةً فِي الحَدِيثِ "الكُتُب السِتَّة" مِن العلَّامَة التَّوَاتِي الشَّيخ حَمزَة الفُلَانِي القَبلوِي(2)، والعلاّمةُ محمّد يَحيَى ابنُ محمّد المختَار الوَلَاتِي(سَتأتِي تَرجَمتُه) (3) ، ويُبيِّنُ تلمِيذُهُ محمّد بَادِي شِدّةَ حِرصِهِ عَلَى الطَّلبِ ومُلَازَمتِهِ لمطَالَعةِ الكُتُبِ قَائِلاً: " صَحِبْتُهُ أكثرَ مِن عِشرينَ سَنَةٍ سَفَراً وَحَضَراً فَمَا رَأيتهُ قطُّ مِن يومٍ إلاَّ وهوَ يُطالعُ فِي تحصِيلِ العِلمِ نَظَراً ، لَا تَكَادُ تفُوتُهُ سَاعَةٌ خَالِيَّةٌ مِن مُطَالَعةِ فَائِدةٍ. وَربَّما كُنا عَلَى الرَّاحِلةِ فأقرأُ لهُ الكِتابَ، وإذَا نزلنا بعدَ العشاءِ أو الهاجِرةِ أوقدَ النَّار فأخذهُ كذلكَ حتّى ننامَ عنهُ كلُّنا، هَذَا دَيدَنهُ"(4). ويُصَدِّق ذلِك كَلامُ محمّد يَحيَى ابنُ ابُوه فِي رحلَتِهِ عَنْ حِرصِ الشَّيخِ بايْ علَى العلمِ فما إن تَعرَّفَ عَلَيهِ، حتّى أنزلهم منزلةً كريمةً وطفقَ يسألهم ويستفتيهم ويأخذُ من علمهم علَى جلالةِ قدره فيقولُ ابنُ ابُوه: " ثمَّ إن الشيخَ بايْ أكرمَ منزلنَا وقرَّبنا إلَيهِ واستخلَصنَا ... وجعَلَ يسألُنا عن المسائِلِ ويَستنسخُنا الفوائدَ ويصرفُ إلَينَا الطّلبةَ ... وإذا وردَ سؤالٌ بعثهُ إلَينَا فكتبنَا إليهِ فيما نرى ..."(5) وما يدُلُّ هذا إلَّا على نفسٍ فِي طلبِ العلمِ لا ينقطِعُ وحرصٍ على التعلّمِ لا ينكَفئُ.

ب) تَلامِيذُهُ: أخذَ عن الشَّيخِ بايْ ابنُ عُمَرَ كثِيرونَ من بينهِم محمَّد ابن عبد الله بن الخَرشيّ العَلَويّ، والشيخُ حمزَة ابن مالكٍ الفُلانِي القَبلَاوِي- شيخُ محمَّد بايْ- والشَّيخُ الحاجْ محمَّد سيدي علي ابن جلّول العزّاوي وهو الذي كان واسطةً بين الشَّيخِ بايْ والشَّيخِ حَمزَةَ ابن مالكٍ الفُلانِي، كما تخرَّجَ علَى يدَيهِ أيضاً: الشَّيخُ سيدِي محمَّد البَكّايْ

---

(1) الصديق حاج أحمد آل المغيلي: من أعلام التّراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ت، د.ط، ص ص 55/54.

(2) هو العلامة الشهير والأستاذ الكبير حمزة بن الحاج أحمد بن السيد محمّد بن مالك القبلوي الفلاني ابن بلدية أقبلي بأولف ولاية أدرار بتوات كان علما بلغ من الشهرة ما جعل الشيخ باي الكنتي يطلب منه الاجازة في الحديث. راجع ترجمته في: محمّد باي بلعالم: الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، دار هومة، 2005، ص223 فما بعدها.

(3) محمّد يحي بن ابوه: نفس المصدر، ص104.

(4) مختار بن جعفري: الأطروحة السابقة، ص13.

(5) محمّد يحي بن ابوه، نفس المصدر، ص103.

ابنُ سِيدِي الأمين الكُنتِي الملقّبُ بِ: "أَمَّكْ"، والشَّيخُ محمَّد ابنُ إبراهيمَ الدَّرعيّ، والشَّيخُ أحمد بنُ الجُنَيد السُّوقِي (1).

ومن أشهرِهِم علَى الإطلاق ابنُ أُختِه [2]: الشَّيخُ سِيدِي محمَّد بنُ المختارِ الملقَّبِ " بَادِي"، والذِي أَوصَى بِهِ الشَّيخُ بايْ تلاميذَهُ قبلَ وفاتِهِ قائلاً: " مَن أَرادَ مِنكُم العِلمَ فليصحَبْ محمّد بنَ بادِي". كَمَا اعتَمدَه سَفِيراً لَهُ يَبعثُه فِي أَصقاعِ الأَرضِ لتأدِيةِ مَهامٍ كثيرةٍ كنائبٍ عَنهُ. (3)

وأَخَذَ عنهُ شَيخُنَا المبَجّل محمَّد يَحيَى ابنُ ابُوه اليَعقوبِي فقد سمع منه نُبذاً منَ العُلومِ والكُتُبِ أبرزهَا: الكتُب الستّة، وموطّأِ الإمامِ مالكٍ، وتفاسيرُ ابنِ جِزي، والبحرِ المحيطِ، والنَّهرِ وغَيرِه (4)، ذكرَ أنه أوقَفَهُ علَى مسائلَ وانتقاداتٍ لهُ وفَتاوٍ وشروحٍ كثيرةٍ، حتّى قال فِيهِ [5]:

فَهُوَ الوَحِيدُ وَمَنْ يَكُنْ فِي دَهْرِهِ لَمْ يَلْقَهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُوجَدِ

وفيهِ جاءَ مدحُ صاحِبِ كُنْته الشَّرقِيُّونَ مادِحاً الشَّيخَ قائِلاً: "كوَّنَ جِيلاً مِن كُنتَةَ صَالحِينَ، وتَغلغلَ نُفوذُهُ إلَى قَبائِلِ التَّوارِقِ"(6).

ج) **مَكانَتُهُ العِلمِيّةِ**: تبرزُ مكانتُه فِي نواحيَ عديدةٍ منهَا:

- **سِعَةُ إطِّلَاعِهِ**:

يَظهَرُ شُمُولُ عِلمِهِ فِي نوازِلِهِ، فَنَراهُ يَتَعرّضُ لِكتُب المذهَبِ المالِكيّ وما تحتويهِ من دقائقِ العلمِ ولَطائفَ المعرِفةِ، وفِي مقابلةِ آرَاءِ علَماءِ المذهَبِ وغيرِهم، وكمُّ الكتُب التِي استشهدَ بهَا. ومنهُ مَا تَضَمّنتهُ تَرجمةُ سيدِي محمّد بن بادِي للشَّيخِ بايْ، إذ عدَدُ الفنُونِ التِي يتقنهَا بدايةً بعُلومِ القُرءَانِ والحديثِ والتفسيرِ فَقَد بَلغَ فيهَا غايتَها وامتَلكَ نَاصيَّتَهَا. (7)

---

(1) بلجيلالي سيد علي: كتاب العبادات والأسرة من نوازل الشيخ باي محمد بن عمر الكنتي دراسة وتحقيق "الجزء الأول"، أطروحة دكتوراه، إش: بن عمار زهرة، قسم العلوم الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران، 2019، ص ص 30-31.

(2) محمّد يحي بن ابوه: نفس المصدر، ص128.

(3) نفس المرجع، ص31.

(4) محمّد يحي ابن ابوه اليعقوبي: نفس المصدر، ص ص 104/103.

(5) نفسه، ص104.

(6) بول مارتي: كنتة الشرقيون، المصدر السابق، ص 132.

(7) ينظر: الكنتي محمد باي بن عمر، السنن المبين، نفس المرجع، ج1، ص ص 26-27، وبلجيلالي سيد علي: المرجع السابق، ص32، ومختار بن جعفري: الأطروحة السابقة، ص15.

وفِي كِتابِهِ السَّنَنُ المبينُ عندمَا يُترجِمُ للسُّيوطيّ يقولُ: "...وتَوالِيفُهُ فِي كلِّ فنٍّ تفُوتُ الحَصرِ وَقَد وَقَفنَا مِنهَا على ما لانُطيقُ عدّهُ فضلاً عمّا لم نقِف عَلَيهِ ..." فها هو يتكلَّمُ عن إطّلاعِهِ على ما كتبهُ عالمٌ واحدٌ كالسُّيوطِي ويقولُ أنَّه لا يستطيعُ أن يعدَّ ما وقفَ عليهِ من تَوالِيفِهِ. (1)

- إنجَازَاتُهُ فِي التَّربِيةِ والتَّكوينِ: تبوأَ الشَّيخُ بَايْ بعدَ وفاةِ أخيهِ الأَكبر سيدي محمَّد (1313هـ/1896م) [(2)]- الذي أجازهُ فِي الطَّريقَةِ القَادِريَّةِ وَوِردِهَا- مركزَ الزَّعامَةِ الرُّوحيةُ (3)، وأَصبَحَ زَعِيماً لكُنته الأَزَوادِ، كما تغلغلَ نُفوذُه بعمقٍ فِي بضعِ مخيماتٍ منَ الطّوارقِ وتمتع بتقدير في كل المنطقة، كما تخرَّجَ على يدَيهِ عَشراتُ العُلماءِ، وأسلَمتْ علَى يديهِ قُرى ومجموعاتٍ مُتعدِّدَةٍ فِي النَّيجَر. (4)

- عَلاقَاتِهِ العِلميَّةِ مَعَ غَيرِهِ مِن العُلَماءِ وَأقوالِهِم فِيهِ: جمعتِ الشَّيخَ بايْ معَ غيرِهِ منَ عُلماءِ عصرِهِ علاقةٌ طيّبَةٌ، كالشَّيخَينِ محمَّد يَحيَى بنُ سُلَيمَةَ والتُّرادُ بنُ العبّاسِ ومحمَّد يَحيَى الولَاتِي وغَيرُهُم، فَضلاً عن الحُجَّاجِ الذينَ مرُّوا بِهِ واستقرُّوا فِي حَضرتِه مُكرَّمينَ مِن أَمثالِ: محمَّد يَحيَى ابن أبُوه اليَعقوبِي ومحمَّد أَحيد المختار الجَكنِي ومحمَّد عبد الرَّحمن بنِ أَكتشوبِي وغَيرهِم. (5)

قالَ عنهُ الشَّيخُ ابَّاحْمد عُمر دمّه الكُنتِي: " هوَ أميرُ المؤمنينَ العلَّامةُ الجَلِيل حجَّةُ الإسلامِ والمسلِمينَ، هدايةُ الحَائرينَ ومحجَّةُ السَّالكينَ إلَى معرفةِ اليقينِ، الشَّيخ محمَّد بايْ ... لقد جمعَ اللهُ بصاحبنا أشتاتَ العلومِ، فهوَ المبرّزُ والحجَّةُ فِي عِلميْ المعقُولِ والمنقولِ، الثَّبتُ الفهامَةُ، المحدّثُ الأُصولِيّ ..."(6)

وَقَد جَاءَ فِي ترجَمةِ تلمِيذهِ بنِ بادِي للشَّيخِ قولهُ عنهُ: "هوَ شيخُنَا: سيدي المختار شمسُ الضُّحى وقُطبُ الرَّحى فِي فَنَّي المعقولِ والمنقولِ، الجامِعُ بينَ الشَّريعةِ والحقِيقةِ... المتقنُ لعوالِمِ الكتاب والسُّنةِ ومذاهبِ الرَّاسخينَ منَ الأئِمّةِ، الجادُّ فِي العُلومِ وأَعادَ، وصنَّفَ فأَجادَ وأَفادَ، وفاتَ عُمُرَهُ فِي تحصيلِ العلمِ وتعليمِهِ..."

---

(1) بلجيلالي سيد علي: المرجع السابق، ص32.

(2) أخوه وشيخه وابن أبيه. انظر: محمّد يحي ابن ابوه المصدر السابق، ص108.

(3) مبارك جعفري: الازواد، المرجع السابق، ص189.

(4) بلجيلالي سيد علي: المرجع السابق، ص33.

(5) بلجيلالي سيد علي: نفس المرجع، ص ص 33-34.

(6) الكنتي محمد باي بن عمر، السنن المبين، نفس المرجع، ج1، ص ص 48.

وقدْ بلَغت إشادَة صاحب الرِّحلةِ به مبلغاً بعيداً، إذْ يقولُ: " وبلغَ مرتبةً في العلمِ والعَملِ والسَّخاءِ وحسنُ الخُلقِ لم يبلُغهَا أحدٌ في دهرِهِ ولاسيَمَا علمُ القرءانِ والحَدِيثِ وكانَ لا يملُّ النَّظرَ (أيَّ المطالعةَ) ليلاً ولا نهاراً ... مع الجِدِّ الدائمِ في العبَادَةِ ... وما رزقهُ الله من نفوذِ الأَمرِ فِي الخَلقِ مسلمهِم وكَافرِهم عَربَهم وَعَجَمِهُم"[1]

3–وفاته وآثاره

أ) **وَفاتُهُ:** تُوفِيَ رحمهُ الله عشاءَ يومِ الخميسِ الموافقِ ل تسعةٍ وعشرينَ من ربيعٍ الثانيّ سنةَ (1348هـ/1927م).

وقد خَلَّفَ رحمهُ اللهُ أولاداً هم: سيدي عمر المولود حواليّ 1893، سيدي محمَّد المولودِ حوالَي 1989م، ولَالَّة ولِدَت حَوالِي 1892م، فاطمة ولِدت حوالِي 1902م، باكة ولدت حوالِي 1907م، وأمُّهمْ جميعاً خديجةُ من أَولادِ الشَّيخِ. (2)

وقد رثاهُ الشَّيخُ أَحمد مُوسَى الأَنصارِيّ الخَزرجِي السّوقِيّ قَائِلاً:

عَزُّو الـدِّيَانَـةَ إِذْ كَـادَت مَبَـانِيهَـا تَنْـدَكُّ وُجْـداً عَلَى فُقـدَانِ بَانِيهَـا
وابكُواْ الأَمَـانَـةَ إِذْ مَـاتَـتْ رْعَـايَتُهَـا فَأَعْولَتْ فِي نَواحِيهَا نَوَاعِيهَا
وارثُوا الأَوَاقِيتَ هذِي الخَمسُ إِذْ ثَكَلتْ مَن لَايَزَالُ عَلَى طُهْرٍ يُرَاعِيهَـا

وواصَلَ الَى أَن قَالَ:

أَحـبَّـهُ اللهُ بَـدْءاً ثُمَّ حَـبَّـبَـهُ إِلَى البَرِيَّـةِ بَرُّهَـا وَعَـاصِـيهَـا
فَـأُزْلِـفَـتْ لِـنُـزُولِـهِ مَـنَـازِلَهَـا وَزُيِّـنَـت لِجِـوارِهِ جِـوارِيـهَـا
واشتَاقَ للحُورِ واشتَاقَتْ لَهُ فَرَأَى أَنْ لَا يَـلِـيـقُ بَـهِ إِلّا تَـلَاقِـيـهَـا
فالدُّورُ تَرتَاعُ من ذِكرَى مُفَارِقِهَا والحُورُ تَمرَحُ مِن لُقيَا مُلاَقِيهَا. (3)

ب) **مُؤَلَّفَاتُهُ:** ذكرَ الرَّحالةُ ابنُ أَبُوه إضافةً إِلَى ماوَرَدَ ضمنَ رِحلةِ (بول مَارِتِي) العدِيدَ من مُؤَلفاتِهِ وهيَ (4):

- شرحُ الأَحاديثِ المقرّية (السَّنَنُ المبينُ من كلامِ سيدِ المرسَلينَ)، وقد أَشارَ إليهِ محمَّد يحَيى ابنُ أَبُوه قَائلاً: " مِن ذَلكَ كِتابٌ ضخمٌ شرحَ فِيه أحاديثَ الأحكامِ للمَقرّي أفادَ فيهِ وأجادَ وجمعَ من العلمِ مالم يجمعهُ غَيرُهُ".

---

(1) محمّد يحي ابن ابوه: مصدر سابق، ص104.

(2) مختار بن جعفري: الأطروحة السابقة، ص20.

(3) مدونة مجلة تغارجيه: الرثاء عند التوارق، مقال تم نشره بواسطة "أغنب"في: 20th February 2013،

(4) بول مارتي: المصدر السابق، ص214. وبلجيلالي سيد علي: نفس المرجع، ص33. ومختار بن جعفري: الأطروحة السابقة، ص20. ومحمّد يحي ابن ابوه، مصدر سابق، ص 104.

- شَرحُ إحمرارِ بنِ بونةَ الجَكنِيّ علَى ألفِيَّةِ بنِ مالكٍ، لم يكن قد اكتملَ حسبَ تصريحِ ابنِ ابُوه زَمنَ مُرورِهِ بِهِ.
- فَتحُ البَصيرَةِ فِي العقيدةِ والعِباداتِ: رغمَ صِغرِهِ يُعتبرُ من أَشمَلِ المختصرَاتِ فِي العِبادَاتِ والعقيدةَ ويعتبرُ مرجعاً للطلابِ إلى الآن. كما اختصرَ جامعَ التِّرمِذيّ، والإصابة.
- شرحُ نظمِ مبطلاتِ خليلٍ: وهذَا الشَّرحُ أَيضاً فيهِ توسُّعٌ.
- لهُ شرحٌ علَى ألفيَّةِ ابنِ مالكٍ المشهورة، وشرحٌ علَى الأَربعينَ النَّوَوِيَّةِ، وشَرحُ نظمِ الأخضريّ في العباداتِ.
- كما لهُ نوازِلُهُ المشهورَةُ التِي نقلَها تلميذُه سيدي محمّد بن بادِي، وقَالَ محمَّد بنُ أبُوه أَنَّهُ وقفَ منهَا علَى كِتابَينِ أو ثلاثةٍ (أنظر الملحق رقم:05). كَما ذكرَ أنَّ لهُ حواشٍ علَى نَوازِلِ الكُصَريّ [1].

المَطْلَبُ الثَّانِي: الشَّيخُ أَحْمَدُ بَمْبَا

1- حَيَاتُهُ الشَّخصِية

أ) **إسمُهُ ونَسَبُهُ** : إسمُهُ أحمد ابن محمَّد ابن حبيبِ اللهِ ابن محمّد الكَبيرِ ابن حبيب الله الأول ابن محمَّد الخَير ابن سَعِيد عُثمَان نَزِيلُ السِّنغَالِ ، المشهورِ بخادمِ رسولِ الله .[2] كما عُرفَ أحمدُ بَمبَا باسمِ "سِيرِينْ بَمبَا" (Serine Bama) وسِيرِين تَعنِي بِالوُلُوفِية :المعلِّمُ أَو العَالِمُ ، أمَّا عَن أَصلِ تَسمِيتِهِ بأَحمد بمبَا فهوَ يعودُ لاسمِ أَحدِ شُيُوخِ وَالدِه الذِي كَانَ يسمّى أحمدُ بَمبَا إسم لمدينةِ هَذَا الشَّيخِ ، انطلاقاً من العُرفِ السّائدِ بتسميةِ الأبناءِ بأسماءِ الشُّيوخِ تَكرِيماً لهُم.[3]

أمَّا نَسَبُهُ فَتكرُوريّ آبَاؤُهُ من جِهَةِ "فُوت" واشتهِرَ أَنَّهم أتَو مِن أَرضِ البِيضَانِ [4] إلَى فُوتْ [5]، ويَنتمِي الشَّيخُ بَمبَا إِلَى قَبائِلِ الوُلُوفِ [6] وأبُوهُ محمَّد ابنُ حَبِيبِ الله كانَ فَقِيهاً، ذَا لَهجةٍ صادقةٍ وعلمٍ غزيرٍ ارتضاهُ السُّكانُ شيخاً وموجهاً لهم، وكان لهُ مدرسةٌ تكادُ تكونُ جامعةً إِسلَامِيَّةً، وكَانَ مديراً لهَا ومدرِّساً فِيها وتخرَّجَ علَى يديهِ طُلَّابٌ كثُر حتّى تُوفِيَ عام

(1) هكذا كتبت في الأصل كما تكتب بالقاف. وهو القصري بن محمد المختار بن عثمان بن القصري صاحب النوازل الشهيرة.

(2) محمد الأمين جوب الدغاني: إرواء النديم من عذب حب الخديم، د.ط، تح وتع: محمد المختار، محمد الحبيب، مختار تفسيرجون، داري بروم طوبى، 1427هـ، ص7.

(3) Vincent Monteil : Une Confrérie Musulmane : Les Mourides Du Sénégal, In : Archives De Sociologie Des Religions. N 14.1962, p78.

(4) البيضان: يقصد بها المناطق الواقعة شمال السنغال وهي موريتانيا الحالية نظرا لبياض بشرة شعوبها مقارنة بالسنغال السود، أنظر: مهدي صفوان، المذكرة السابقة، ص12 (الهامش)

(5) محمد الأمين جوب الدغاني: مرجع سابق، ص8/7.

(6) هوبير ديشان: الديانات في أفريقيا السوداء، تر: أحمد صادق حمدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011، ص147.

1881م. [1] وأمَّا أمُّه الملقَّبةُ بِ "جارةِ الله" واسمُها "مريم بصّ" بنتُ محمّدٍ بن محمّد حمَّاد ويَنتهِي نسبُها إلى الإمامِ عليّ ابنِ أبِي طَالِبٍ فالشَّيخُ شَرِيفٌ أمّا وأباً[2].

ب)مَولِدُهُ: ولدَ الشَّيخُ سنَةَ (1270هـ/1853م) في قريةٍ تسمّى "امْبَك بَوَل [3]" وفِي الحدِيثِ عَن وِلادَته يذكُر صَاحبُ إرواءِ النَّديم: " أمّا وِلَادَتُه: فقيلَ عام "شَرَعَ"[4] (1270هـ) وقِيلَ عَام "بِشَرَعْ" (1272هـ).

وفِي هَذَا يَقولُ العلَّامةُ حَامِدُ بنُ عُثمَانَ الفُوتِي التّلرِي [5] (1376/هـ 1956م):

قَـدْ وُلِـدَ الخَـدِيمُ مِن شَـــرَعَـا شَـــرِيعَةِ المختَارِ عـامَ شَـــرَعَا

2- حَيَاتُهُ العِلمِيةُ

أ) **تَعْلِيمُهُ وشُيُوخُهُ:** نَشَأَ أحمَد بَمبَا فِي بَيتِ عزٍّ وجاهٍ وعِلمٍ وما إن بلغَ الشَّيخُ سِنَّ التَّعلُّمِ سلَّمهُ والدُهُ الَى خالهِ محمّد بنِ محمّد بصّ أخ والِدَتِهِ ، فمكثَ يتعلَّمُ منهُ ردحاً منَ الزَّمنِ ، ثمَّ انتَقَلَ إلَى خالِ أمّهِ "تَفْسيرْ بِكْ ذَمب" ، ثمَّ رجَعَ إلى وَالدِهِ فَحفِظَ وجوّد وأتقنَ ، لِيستقِرَّ بعدَ ذلكَ يتعلَّمُ مَبادِئَ العِلمِ عندَ عمّهِ "صَمْبَ تَكلُوركَه" –ابن خالة أَبيهِ– حتَّى قرأَ عليهِ مَبادِئَ العِلمِ [6]، لِيَرجِعَ مَرَّةً أُخرَى للوالد يتعلم منه مجتَهِداً حتّى برعَ فِي كَثيرٍ من الفُنونِ كَعِلمِ التَّوحِيدِ، والقِراءاتِ السَّبعِ، والتّصوُّفِ السُّنيّ، والمنطِقِ، والبَلاغةِ، والنّحوِ[7]؛ خاصّة الشّعر فقد اشتهرَ بجودةِ شعرِه ، ثمَّ ولما علمَ

---

(1) مهدي صفوان وميلود نمرود: الشيخ أحمدو بمبا امباكي ودوره الإصلاحي والدعوي في السنغال (1270-1346هـ/1853-1927م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، دراسات أفريقية، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2018م، ص9.

(2) محمد الأمين جوب الدغاني: المرجع السابق، ص8.

(3) امباكي باول: أسسها جد الشيخ احمد محمد الكبير الملقب بمهرم في (1194هـ/1780م)، وكانت مدرسة للغة العربية والعلوم الشرعية. ينظر: خديم محمد سعيد امباكي: التعليم الإسلامي الواقع والمأمول في السنغال، مجلة دراسات أفريقية، العدد:24، ديسمبر 2000، ص22.

(4) " 'شرع' ش:1000، ر:200، ع:70، فيكون المجموع 1270.

(5) جيرنو حامد بن عثمان بن عبد القادر الفوتي التلري آن. ولد في السنغال، وعاش في السنغال وموريتانيا وتولى رئاسة محضرة كيجلن الشهيرة

(6) نفس المرجع، ص8.

(7) سيرين جيلي مباكي: المرجع السابق، ص12.

الوَالدُ منهُ البَراعةَ والنَّشاطِ ولاّهُ التَّدريسَ وكانَ محبوباً عندهُ لا يُفارِقهُ لِما رأى فيهِ من مرُوءَةٍ وفتوةٍ وتقوى وورع إلى أن تُوفِيَ رحمه الله –أي وَالِدُهُ– سنة 1300هـ[1].

يقولُ محمَّد البَشِير واصِفاً حِفظَهُ: "كانَ يحفَظُ النُّصُوصِ الكَثِيرةِ من مختلفِ الفُنونِ ك (ابنِ عطاءِ الله)، ودلائِلِ الخَيرَاتِ، ونفحِ الطِّيبِ، والرِّسالةِ، وتَواليفِ السَّنوسِي، وكذلكَ نصُّ المختَصَرِ، أمَّا القُرءَانُ والحَدِيثُ فهوَ وِعاءُهُمَا وَخَزينةُ أَسرَارِهِمَا ومنبعُ عُلُومِهِمَا إتقاناً وتفسيراً "[2]، فَنجِدهُ متمكِّناً من القُرءانِ وعُلومِهِ، والحديثِ وتفاسيرِهِ، والفِقهِ ومَذاهِبهُ، واللُّغةِ ورَوَافِدِهَا فَكانَ مَوسُوعَةَ عَصرِهِ.

وَمن خِلالِ ما ذكرناهُ نلاحظُ مخالفةَ الشَّيخِ لأَقرانِهِ فِي طلبهِ العِلمَ فلمْ ينتقِل لموريتَانيا فِي بِدَايتِه، بل اعتَمَدَ مدارِسَ ومنَاهِجَ بَلدِهِ، وهَذا لم يمنعهُ منَ الأَخذِ عنِ الشَّناقِطةِ أَمثال:

عبدِ الله التَّامُكْلَاوِي، والحَاج إبرَاهِيم البَغدادِيّ، كمَا أَخذَ عن الشَّيخِ سيدي بَابَا رَئيسُ المتقدِّمِ ذِكرهُ والذِي احتضَنَهُ وسَاهمَ فِي تكوينِ شَخصيَتهِ الصُّوفيةِ والعِلميّةِ[3]

وَمدحَهِ الشَّيخُ "سيدِي بَابَّ" بقَصائدَ طويلةٍ منهَا:

الشَّـــيخُ أَحمـدُ نِعمـةٌ أَولَاهَـا هـذِي الخَلائِقُ كلُّهَـا مَولَاهَـا

وقولُه: إنما الشَّيخُ نعمةٌ أَنْعَمَ اللهُ بها آيةً منَ الآياتِ.

ب) صِفَاتُهُ: يذكرُ صاحبُ إرواءِ النَّديمِ الكَثيرَ منَ الصِّفاتِ التِي ميّزت شخصيةَ أحمد بمبا مِنهاَ: أَنَّهُ كانَ كثيرَ الإنفَاقِ، كمَا بلغَ غايةَ السَّماحَةِ والسَّخاءِ والجُودُ، وفِي ذلكَ يقُولُ الشَّاعِرُ محمّد بنُ المَعَلِّي[4]:

إذَا ارَتاحَ للْمعرُوفِ واهتَزَّ للنَّدَى وأَعطَى عَطَاءَ السَّمحِ غيرَ المؤَنَّب

فَـدعنِي مِن مَعْنِ وكَعْـبٍ وحَـاتِمٍ وَمِـن هِـرَمٍ دَعـنِي وآلِ المهَـلَّـبِ

ويَذكرُ أَنَّهُ كَثيرُ النُّسُكِ والتعبُّد ويَزدادُ يوماً بعدَ يومٍ انقطَاعاً إلى الله وابتعاداً عنِ الخَلْقِ، وذلكَ مَا جَعلهُ لَا يفتَرُ عَنِ

---

[1] نفس المرجع، ص9-10.

[2] مهدي صفوان: المرجع السابق، ص14.

[3] محمد الأمين جوب الدغاني: المرجع السابق ص25 فما بعدها. ومهدي صفوان: المرجع السابق، ص16.

[4] ينظر: محمد الأمين جوب الدغاني: المرجع السابق ص 24 فما بعدها. ومهدي صفوان وميلود نمرود: المرجع السابق / ص ص 10-11.. ومحمد البشير بن الشيخ الخديم: منن الباقي القديم الخديم: منن في سيرة الشيخ الخديم، كتاب منقول ومكتوب بواسطة: محمد بن الشيخ محمد يحظيه بن العباس، د.ط، انتهى منه في شوال 1385هـ.

الذِّكرِ والتَّلَاوَةِ فِي كلِّ حالاتِه وَزَمَانِه ومَكَانِهِ [1]. وَمِن كَرامَتِهِ ووَرَعِهِ تَخَلِّيهِ عَن مَتَاعِ الدُّنيَا وما اشتركَ فيهِ مع أَهلِهَا خاصَّةً أَقرِباءَهُ، فَتَركَ العَبِيدَ والإِماءَ، وَجَمِيعَ الأَرَاضِي والسَّكَنَاتِ الخَاصّةِ بِجَدِّهِ لأَخِيهِ الأَكبر وخَالِه [2].

ج) أَقْوَالُ العُلَمَاءِ المعاصِرُونَ فِيهِ

وَرَعُ الشَّيخِ ولَطَافَتُهُ وَعِلْمُهُ وخُلقُهُ لَفَتَ انتِبَاهَ معاصِرِيهِ منَ العُلماءِ حتَّى نَظموا فِي مَدحِهِ قَصائِدَ طِوالاً حَوَتْ عَشَرَاتِ الأَبياتِ فَهذَا الشّيخُ الجَلِيلِ سيدي بَابَا عَلَى جَلالَةِ قَدرِهِ يقولُ فِيهِ [3]:

الشَّـــيخُ أَحمَـدُ نِعْمَـةٌ أَوْلَاهَـا هـذِي الخَلَائِقَ كُلَّهَـا مَولَاهَـا
فـالحَمـدُ للهِ الـذِي نَـعـمَـاؤُهُ لَا يَســتَطِيعُ عِبَادُهُ إِحصَـــاهَا

ثمَّ يمرُّ قَائِلاً:

شَـــهِدَ الطَّوائِفُ أَجمَعُونَ بِكَونِهِ بَـرّاً كَـرِيمـاً قَـانِـتـاً أَوّاهَـا

ويقولُ فِي قَصِيدَةٌ أُخرَى [4]:

إِنَّمَا الشّـــيخُ نِعمَةٌ أَنعَمَ اللهُ بِهَا ءَايـــةٌ مِـــنَ الآياتِ
عَلِمَتْـهُ العِبَـادُ شَـــرْقـاً وَغرباً سَيِّداً عِندَ حَضرِهَا والبُدَاةِ

وهذا وليُّ الله الشَّيخُ سعْد أَبِيه يُدلِّلُ بِبَيتٍ قَدِيمٍ مستشهِداً بِهِ علَى قدْرِ الشَّيخِ أَحمد بَمبَا فيقولُ [5]:

حَلَفَ الزَّمَـانُ لَيـاتِينَ بِمثلِـهِ حَنَثَت يَمِينُكَ يَا زَمَانُ فَكَفَرْ

وهذَا العَالِمُ العلَّامَةُ الجَليلُ الشَّيخُ عبد الله بنُ صَلَاحٍ التَّندُغيّ البُوحبيني حينَ زارَ الشَّيخَ يقولُ [6]:

لَئِن فُقتَ كـلَّ الأَوليـاءِ متـأخِّراً فَخَيرُ البَرَايَا فِي القُرُونِ الأَواخِرِ

ورَثاهُ صَاحِبهُ وكاتِبُ سيرتِه الشَّيخُ محمَّد الأَمين جوب الدغاني قائلاً [7]:

مَضَى الشَّيخُ لِلمَولَى الذِي كَانَ يَعبُدُ قَدْ كَانَ يَدْرِي أَنَّهُ لَيسَ أَبَدُ

---

[1] محمد البشير بن الشيخ الخديم: المرجع السابق، ص218 فما بعدها.

[2] سيرين جيلي مباكَي: أبرز رجال الدعوة والعلم في السنغال وأثرهم الإصلاحي، بحث لنيل الإجازة في أصول الدين والتواصل الحضاري، جامعة القرويين، المغرب، 2009، ص14.

[3] محمد الأمين جوب الدغاني : المرجع السابق ص ص 129-131.

[4] نفس المرجع، ن ص132.

[5] نفسه، ص134.

[6] نفسه، ص135.

[7] سيرين جيلي مباكي، مرجع سابق، ص40.

فَشـــمّرَ يَرْعَى مَنْ رِضَـــى اللهِ مـا أَوَامِرُه مِثلَ المناهِي ويمهِّدُ

إلَى أَن يقولَ:

إِلَّا أَنَّـهُ إِن غَـابَ عَنَّـا بِجِســـمِـهِ فَمَـا غَـابَ عَنَّـا خَيرُه المتجـدِّدُ

ويمدَحُهُ محمَّد يحيَى ابنُ أبُوه اليَعقُوبِي فَيَقُولُ [1]:

الشَّـــيخُ أَحمدُ مَن عَنهُ الوَرَى حُجِبُوا وَلَا غَرَابَـةَ إِن مِن كُنهِـهِ عَجِبُواْ

شَمْسُ البِلَادِ فَمَـا لِلنَّـاسِ عَنـهُ كَهِيَ وَيَبْـدُوا كَهِيَ طُوراً وَيَحتَجِـبَ

إلَى قَولِهِ:

مَحَطُّ رِحَالِ العُجْمِ قَدْ كُنْتَ وَالعَرَبِ وَشَمْسُ الضُّـــحَى فِي مَشْـــرِقِ الأَرْضِ

هذَا وكانَ لمحمّد يحيَى إحتِكَاكٌ بِهِ وَأَخذَ عنهُ وكانَ الشَّيخُ يُقَدِّمُهُ عَلَى أَكَابِرِ أَهلِ مَجلِسِهِ وَيسمَعُ مِنهُ وَيقولُ:" يا يحيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ". [2]

ومِن هُنَا نَجِدُ أَنَّ الشَّيخَ تَفَرَّدَ عن بَنِي عَصرِهِ منَ العُلَماءِ بِصُوفِيتِه الفَريدَةِ إِذْ لم يخرُج من بَلَدِهِ لا لِطلبِ العِلمِ ولا لِلحَجِّ كَمَا كَانَت عَادَةُ عُلَماءِ عَصرِهِ، فَتَكْوِينُهُ كانَ إِفرِيقياً خَالِصاً مَا انعَكَسَ عَلَى شَخصِيَّتِهِ وَفِكرِهِ وَطَرِيقَتِهِ.

3- وَفَاتُه وَمُؤَلَّفَاتِهِ:

إنتَقَلَ الشَّيخُ أَحمد بَمبَا إِلَى جِوارِ ربِّه سنَةَ (1346هـ/1927م)، فِي مَكَانِ إِقَامَتِهِ الجَبْرِيّةِ "جَرْبَلْ"، التِي بنَى فِيهَا مَسجِداً كبيراً، تربّى عَلَى يدَيهِ فيهِ جَمعٌ غَفِيرٌ منَ المريدينَ، ونُقِلَت جُثَّتُهُ إِلَى مَدِينةِ طُوبَى، لِيدفَنَ رَحِمَهُ الله بَعدَ حياةٍ مليئَةٍ بِالجِهَادِ والدَّعوةِ فِي سبيلِ الله ليترُكَ خَلفَهُ أَتباعاً يَتَجَاوَزُ عَدَدَهُم الأَربَعُمَائَةِ أَلفِ (4000000) شَخصٍ [3]. ولاَتزالُ أُسرَتُهُ تَتَوارَثُ الطَّرِيقَةَ التِي أَسَّسَهَا إِلَى الآن [4].

كَانَ للشَّيخِ إِنتاجٌ غَزِيرٌ فِي أَغلَبِ فُروعِ العِلمِ خَاصَّةً الفِقه والتَّصوُّف، كَانَ الغَرَضُ مِنهَا التَّعلِيمُ أَرادَ صَاحِبُهَا تَسهيلَ الحِفظِ للمبتَدِئِينَ [5].

---

[1] محمّد يحي ابن أبوه: مصدر سابق، ص14.

[2] نفسه، ص10.

[3] أحمد بمبا امباكي: ثلاث منظومات في التصوّف والسلوك، ط1، تع وتح دائرة فتح الغفار، المغرب، 2016، ص23.

[4] هوبير ديشان: المرجع السابق، ص147.

[5] مهدي صفوان: المرجع السابق، ص17.

والدَّارِسُ لِحَياةِ الشَّيخِ يُخَيَّلُ إلَيهِ أنَّه متفرّغٌ للتَّأْلِيفِ فقط لَا غَير، رغمَ اشتِغالِهِ بتربيةِ مُرِيدِيهِ ومَعَ هَذا كَثُرَتْ مُؤَلَّفَاتُه فَنَجِدُ مَثَلاً[1]:

- فَيضُ الغَنِيّ المغنِيّ فِي نظمِ مَا عَنِ السُّلوكِ يُغنِي: أُرجُوزَةٌ فِي 210 بَيتٍ عَقَدَ بِها مُقدِّمة رِسالةَ أَبي زَيدٍ القَيرَوانِي العَقَدِيَّةِ.
- مَواهِبُ القُدُّوسِ فِي نَظمِ نثرِ شيخِنَا السَّنُوسِي: أُرجُوزَةٌ مِن 618 بيتٍ نَظَمَ فِيهَا كِتَاب " أُمِّ البَرَاهِينِ" فِي العَقِيدَةِ للعَلَّامَة أبي عبد الله محمَّدٍ السَّنُوسيّ.
- مُنوِّرُ الصُّدُورِ لَدَى المَنَازِلِ وَعندَ الدُّور: منظومةٌ فِي التَّصوُّفِ.
- الجَوهَرُ النَّفِيسِ فِي عَقدِ نَشرِ الأَخضرِي الرَّئيس: مَنظومةٌ نَظَمَ فِيهَا مُخْتَصَرَ الإمَام الأَخضَرِيّْ المالكيّ.
- مَسالِكُ الجِنَانِ فِي جمعِ مَا فَرَّقَهُ الدَّيمَانِيّ: مَنظُومَةٌ فِي التَّصوُّفِ عَقَدَ بِهَا كِتَابَ خَاتِمَةِ التَّصوُّفِ للشَّيخِ اليَدَالِيّْ.

بِالإِضَافَةِ إِلَى مُؤَلَّفَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي مَدحِ النَّبِي والأَورَادِ الصُّوفِيةِ [2].

[1] أحمد بمبا امباكي: مصدر سابق، ص27.

[2] للمزيد راجع: نفس المصدر، ص27 فما بعدها.

المطْلَبُ الثَّالِثُ: مُحَمَّد يَحْيَى بن مُحَمَّد المخْتَار الوَلَاتِي

1. نَسَبُهُ وَمَوْلِدُهُ: هُو محمّد ابن يحيَى ابن محمّد المختار [1] ابن الطَّالِب عبد الله النفَّاعِ ابنِ أحمد حاج الدَّاودِي نَسباً الوَلَاتِي وَطناً ويُعرَفُ لَدى النّاسِ بالفَقِيه وأَولَادُه يُسَمُّونَهُ (بَابَا) بِتفخِيمِ البَائَينِ [2].

ولِد الشَّيخُ –رحمهُ الله– سنةَ (1259هـ/1843م) ، فِي مدينةِ ولَاتَه العرِيقَة عَاشَ يتِيماً ترعاهُ أُمُّهُ فِي بيتِ أَخوالِه، وقد كانَتْ حريصةً علَى تَنشئَتِهِ عَلَى أَرضيةٍ عِلميَّةٍ ، لذلِكَ هَمَّت لِإرسالِهِ لطلبِ العِلمِ خارجَ وَلاتَه ، وبتوسّطِ بعضِ الصَّالحينَ ما لَبِثَتْ أن أبقتهُ داخلَ وَلَاته لِمَا عُرِفَتْ بِهِ من وَفرَةِ العِلمِ وجَهَابِذِ العُلَماءِ ، فأرسلتهُ للمحضَرةِ للتَّزودِ من علمهَا ، لينشأَ فِي وسطٍ علميٍّ تحتَ كنفِ أُسرةٍ محبّةٍ وشَغُوفَةٍ بالعِلمِ ، فأَخلَصَ الطَّلَبَ ونالَ المرَادَ[3].

2. حَيَاتُهُ العِلْمِيَّةِ:

أ– طَلَبُهُ لِلعِلمِ

كَعَادَةِ طُلَّابِ العِلمِ بَدأَ الشَّيخُ تَحصِيلَهُ العلمي بحفظِ القُرءَانِ الكَرِيمِ علَى مولَى للمَحاجِيبِ اسمُه الدَّسرِي[4] ، ثُمَّ درس أولياتِ النَّحوِ والفِقْهِ فِي سنٍّ مبكّرةٍ ، وبعدهَا انخَرطَ فِي صفوفِ المحضَرةِ فِي مسقطِ رَأسِهِ فَأخذَ ينهَلُ مِن مَعينِهَا مجِدّاً ، حَرِيصاً [5]، حَتَّى أُثِرَ عَنهُ قَولُهُ : "إنَّ ضُوءُ النَّهارِ لَا يَضِيعُ إلَّا فِي المطالعةِ" ، وتنقَّل بينَ علماءِ وَلَاته وتعلَّمَ منهم حتّى وقعَ فِي أنفسهم موقعاً حسناً جعلَ بعضهُم يقولُ: تِلميذِي محمّد يحيَى أعلِّمُهُ الأُلفاظَ فَيعلِّمنِي المعانِي وأَستَفِيدُ مِنهُ أَكثرَ مِمّا أُفيدُهُ. فَأخذَ العِلمَ علَى يدِ شَيخِهِ سيدَ احمد بن أحمد (بَكْفَة) العَالِمُ المحجوبِيّ الشّهيرُ الذِي شرَح الوَلَاتِيُّ نَظْماً لهُ لَايزَالُ مَخطُوطاً [6].

---

[1] محمّد يحي ابن ابوه: مصدر سابق، ص105.

[2] محمد يحي الولاتي: قواعد فقه المذهب المالكي (الدليل الماهر الناصح شرح نظم المجاز الواضح على قواعد المذهب الراجح)، مكتبة الولاتي لإحياء التراث الإسلامي، نواكشوط، موريتانيا، 2006م، ص3.

[3] الطاهر براخلية: معالم منهج البحث الأصولي عند الفقيه محمد يحي الولاتي المالكي، مجلة الإحياء، المجلد :18، العدد: 21، كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة، جوان2018، ص198.

[4] محمد يحي الولاتي: قواعد فقه المذهب المالكي، المصدر السابق، ص 4.

[5] الطاهر براخلية: المرجع السابق، ص198.

[6] محمد يحي الولاتي: نفسه، ن ص. والخليل النحوي: مرجع سابق، ص529.

وَقد نبغَ مُبكّراً إذ نَظمَ مَعانيَ الحُروفِ من مغنِي اللّبيبِ وعمرهُ لم يتجاوز (17) سنةً، وَشرحَ ألفيةَ السُّيوطي فِي علمِ البيان فِي سنّ (18)وَشرحَ مَرَاقيَ السُّعود [1] وَهوَ ابنُ (25) سنةً. وفِي هذَا يقولُ عنهُ حفيدُه العالمُ الشاعرُ محمّد عبد الله بن المختار بن محمّد: "كانَ يفتِي ويقضِي ويدرس ويقرأُ الحديثَ وحزباً من دَلائِلِ الخَيرَاتِ ويَختِمُ كتابَهُ: سُلَّمُ الفَوزِ والنَّجاةِ لمحمَّد يحيَى فِي الحياةِ وبَعدَ المَماتِ، ويقرأُ خَمْساً مِن القُرْءانِ، ويُفتِي ويُؤلفُ كلَّ يومٍ [2].

ولما سَطَعَ نَجمُ الشَّيخِ الوَلَاتِي وتَمكَّنَ؛ إختارهُ أَصحَابُ الحلِّ والعقدِ لِتولِّي منصبِ القَضَاءِ، فَقَبِلَ واشترطَ عليهِم تنفيذَ جَميعَ الأَحكَامِ الَّتِي يَصُدِرُهَا ولو بالقتلِ، فقبِلوا ذلكَ، وكانُوا لهُ أَوفياءَ فَرَضِي وَرَضُوا [3].

ومن أَهمِّ محَطَّاتِ حَياتِه كانتْ رِحلَتهُ نحوَ الحَجِّ [4]، إذ كَانت عَامِرةً بالأحداثِ والمنَاظراتِ والمحَاوراتِ الشَّيقةِ الجليلةِ التِي دارتْ بَينَهُ وبينَ عُلماءِ الأقطارِ التِي مرَّ بهَا فِي ذهابِه وإيابه [5]. فلم تكن رِحلتُه هذه سفَراً لأَداءِ فَرِيضَةَ الحَجِّ والزيارةِ فَحَسب، وإنَّما رحلةً علميةً، كَانت نقطةً بارِزةً فِي حَياتهِ وآثارِه وتكوينِ فكرِه، ولا أدَلَّ علَى ذلكَ من كتابِه "الرِّحلة" الذِي خلَّد هَذِه الجولةَ وتضمَّن أبرزَ مصنَّفاتِه وآراءِه حتَّى ليُعتبر موسوعةً شاملةً لعلومِ الشَّيخِ وآثارِه [6].

ب- مَكَانَتُهُ العِلمِيَّةِ وأَقوَالُ مُعَاصِريهِ فِيهِ:

تمتَّعَ الفقِيهُ الولَاتِي بالفَهمِ العميقِ والعلمِ الغَفِيرِ، فَكانَ عالِماً بالحدِيثِ مجازاً فِي المذَاهِب الأَربعة [7]، ومتبحِّراً في أُصولِ الفقهِ ومشاركاً في كثيرٍ من الفُنونِ، حتَّى قَالَ عنهُ أَحدُ تلامِيذِهِ: "لم يبقَى فنٌّ منَ الفنُون إلَّا وصنَّفَ فِيهِ تَصانِيفَ عَدِيدَةٍ، غيرُ المنطقِ، فإنهُ تكلَّمَ عليهِ معَ تعريفهِ لعلومِ الشرّ"[8].

---

(1) تأليف العالم الجليل: سيدي عبد الله بن الحاج ابراهيم في علم الاصول.

(2) (2) محمد يحي الولاتي: نفسه، ص4.

(3) الطاهر براخلية: المرجع السابق، ص198.

(4) دامت ست سنوات من (7 رجب 1311 هـ/ 14 يناير 1894م الى 6شوال 1317هـ/ 8 يناير 1900) ورجع منها بإجازتين إحداهما في الفقه الحنفي والأخرى في الفقه الشافعي. راجع: إدارة الثقافة والفنون لموريتانيا: من أبرز علماء شنقيط، مرجع سابق، ص23.

(5) محمد يحي الولاتي: شرح نظم ورقات إمام الحرمين في أصول الفقه (للشيخ سيدي محمّد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي الشنقيطي)، إع ونشر محمّد محفوظ بن احمد، ط1، 2001، ص8.

(6) نفس المصدر، ن.ص.

(7) نفس المصدر، ن.ص.

(8) الطاهر براخلية: المرجع السابق، ص199.

كما جلسَ في حلقةِ التَّدريسِ بالمدينةِ المنوّرة يدرّسُ موطَّأَ مالكٍ بنَ أنَس وعدَّةَ مؤلفاتٍ أُخرَى، وقدِ إلتقَى بعلماءِ الإسكَندَريّةِ وناقَشهُم، وتحصَّل على إجازاتٍ عديدةٍ منهَا إجازةُ العالِم حسن شحَّاته لهُ فِي جميعِ مروياتهِ، كَمَا أَجازَهُ بسندِ المشَابكةِ شيخُه عثمان بنُ أحمد إجازَتانِ موجودتانِ بنصّهما عندَ الزَّرَكَلِي [1] (المتوفى: 1396هـ/1976م) فِي الأَعلامِ [2].

ومنَ العُلماءِ الذينَ أَخذُوا عنهُ جملةٌ من علماءِ تِشِيتْ من أبرزهِم محمّد بن أحمد الصغير التّشِيتِي، ومحمّد بنُ أَنبالَ ومحمَّد المختار ابنُ أَنبالَ. وثلةٌ من علماءِ ولَاتة أبرزهُم الشَّيخُ المروانيّ ابن أَحماد العالمُ المحدّث الشَّهيرُ.

ومِن أَثرِ نبوغِه وصِيتُهُ الذِي أَطبقَ الآفاقَ أنْ طلبَ منه العلاّمةُ بايْ الكُنتِي منه إجازةً فِي الكُتُب الستّة [3] وأن يجيزهُ فيمَا كتبَ، مرفِقاً إجازتهُ بأربعِ مسائلَ معقَّدةٍ إستشكلهَا، فأجَازهُ فيمَا أرادَ وأَجابهُ عمّا سأَل، رحمهما الله تعالَى (أنظر الملحق رقم:04). وهذا التفوُّقُ والنبوغُ للفقيهِ جعلهُ محطَّ إعجابٍ وتبجيلٍ انعكَسَ عليهِ بوابِلٍ من الثّناءِ والإطراءِ في حياتِه وبعدَ مماتِه ومن ذلكَ قولُ أحدِ تلاميذِه لما سافَر الوَلَاتِي إِلَى الحجّ [4]:

لَئِنْ غَابَ عَنْ وَلَاتَ يَحْيَا فَإِنَّهَا تَغَيَّبَ عنهَا نُورُهَا وشَبَابُهَا
وغَيَّبَ عنْهَا نَحْوُهَا وَبَيَانُهَا وَغيّبَ عنهَا فِقهُهَا وصَوابُهَا

وعلَى نهجِ تلميذِهِ رحَّبَ بهِ الفقيهُ محمَّد بَابَا بن الأَمينِ بن حَبيبِ الله التّنبُكتِي حينَمَا رَجَعَ منَ الحجّ بِقَصِيدَةٍ يقولُ فِيهَا:

نَيلُ الرّياحِ أَوِ النَّجاحِ السَّرمَدي والسَّيرُ فِي النَّهْجِ القَوِيمِ السَّرمَدِي
فَازتْ بِهِ تُنبَكْتُو دُونَ مَغَارِبٍ ومَشَارِقٍ من كُلِّ قطرٍ أبعدِ
فَتَباشَرتْ أَيَّامُها وتَشَاخَت أَعْلَامُهَا من رَاسِيات رُكَدِ
وبِحبِّهَا من فَضلِهِ أَرجَاؤُهَا مَحصُولُ سِرّ الوَحى نورُ المهتدِي. [5]

كَمَا أَثنَى صَاحِبُ شَجَرةِ النُّورِ الزَّكيةِ بِقَولِهِ: "خَاتِمةُ المحَقّقِينَ، وعمدةُ العلماءِ العاملينَ، وحجِيجُ عصرِه حفظاً وعلماً وأدباً، جَامِعٌ لِصفَاتِ الكَمالِ موهوباً ومكتسباً، بَقيةُ السَّلفِ، وقدوةُ الخَلَفِ"[6]

---

[1] خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي: الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، 2002 م، ص142.

[2] محمد يحي الولاتي: قواعد الفقه المالكي، مرجع سابق، ص6.

[3] نفسه، ص ص 105-107.

[4] نفس المرجع، ن.ص.

[5] مولاي محمد: القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي، المرجع السابق، ص269-270.

[6] محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، دون معلومات النشر، ص435.

وَجَاءَ فِي طَلَبِ الإِجازَةِ منهُ للشَّيخِ بايْ الكُنتِي: " عَلَّامَةُ الزَّمانِ ونِبرَاسُ الأَوَانِ إمامُ المحَدّثينَ، وَعينُ أَعيَانِ المحقِّقِينَ: الإِمامُ الحُجّةُ، والعلَّامةُ القُدوةُ المنفردُ بتجديدِ الدِّينِ لهذهِ الأُمّةِ علَى رأسِ هذهِ المائة "[1]

3. وَفَاتُهُ وَآثَارُهُ

تُوفِيَ الفَقِيهُ الوَلَاتِي سنةَ (1330هـ/1912م) [2]. وَقَدْ كَانَ نَبأُ وَفاتِهِ فَاجِعةً مُزَلزِلةً، وقد نضحتْ قرائحُ كثيرٍ من الشعراءِ برثائِهِ، وسَالتْ أَقلَامُ العُلماءِ بتَأبينِهِ كالشَّيخِ محمَّد السَّنُوسِي الذِي يقُولُ فِي مَرْثِيتِهِ [3]:

مَضَــى خَلفُ الأُبرَارِ والسَّــيدُ الحَبْرُ فَصَــدّر العُلَى مِن قَبلِهِ بَعدَهُ صِــفْرَ
وَلَا تَحسِــبَنَّ الدَّهرَ أَهلَكَ شَــخْصَــهُ وَلكِنَّــهُ فِي مَوتِــهِ أَهْلَــكَ الــدَّهرَ
هُوَ البَحرُ عِنــدَ الــدَّرسِ تَنْثَى عَلَيــهِ وَفِي المحرَابِ يَعرِفُــهُ الــذِّكرُ
هُوَ العَــالِمُ النِّحْرِيرُ شَمْسُ زَمَــانِــهِ خَلِــيفَتُــهُ أَبنَــاءُ الأَنجُمِ الزُّهرِ.

وَكَانَ مِنَ المكثِرِينَ فِي التَّأليفِ حَتَّى رَبَتْ مُؤَلَّفَاتِهِ عَنِ المائَةِ، وفِي هَذَا قَالَ عنهُ ابنُهُ محمَّد الحَسَن [4]:

وَزَارَ قَــبرَ المصْــــطَــفَــى وَالــبَــيــتَ حَــجَّ واعْــتَــمَــرْ
أَلْــــفَ فِي حَــيَــــاتِــــهِ مَــائَــةَ سِــــفْــرٍ وَعَشَــــرْ

ذكرَ العلاَّمةُ ابنُ أبُوهُ أنَّهُ رأَى عَدِيداً مِن تآليفِهِ وأَحصَى مِنهُم سِتَّة، أَحدُهَا نظمٌ وشرحُه فِي النَّاسخِ والمنسُوخِ، وجُزءانِ من شرحِ صَحيحِ البُخارِي، ونَظمٌ وشرحُهُ فِي التَّصرِيفِ، وَشَرحُ المنهَجِ المنتَخَبِ. وَنُضِيفُ إِلَى ذَلِكَ جُملةً من مُؤَلَّفَاتِهِ المطبُوعَةِ:

- إِيصالُ السَّالِكِ إِلَى أُصولِ الإِمامِ مالكٍ "مطبُوع"
- بُلوغُ السَّولِ وحُصولِ المأْمُولِ عَلَى مُرتَقَى السُّعودِ "مطبُوع"
- الدَّليلُ الماهرُ النَّاصحُ شَرحُ نَظمِ المجازِ الوَاضِحِ "مطبُوعٌ"
- الرِّحلةُ الحِجازيَّةُ " مطبُوع"
- فَتحُ الوَدُودِ علَى مَراقِي السُّعودِ "مطبُوع"

---

[1] محمد يحي بن ابوه اليعقوبي: مصدر سابق، ص105.

[2] المختار بن حامد: حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها، تق وتح: سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الامارات العربية، ط1، 2011، ص691.

[3] محمد يحي الولاتي: قواعد الفقه المالكي، مرجع سابق، ص6.

[4] إدارة الثقافة والفنون لموريتانيا: من أبرز علماء شنقيط، ص22.

أمَّا مؤلفاتُهُ المخطوطةُ التِي لم تُطبع فَكثيرةٌ جداً، أَغلبُهَا أَجوبَةٌ عن أَسئلةٍ وُجِّهتْ إِلَيهِ ورُدودٌ منهُ علَى بعضِ المخَالِفينَ لَهُ. [1]

المبحثُ الثَّالِثُ: إِسْهَامُ العُلَمَاءِ فِي الحَيَاةِ العِلمِيَةِ فِي السُّودَانِ الغَرْبِيّ:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: الفَتَاوَى والإشكَالاَتُ الفِقهِيةُ:

إِذَا سلَّمنَا بأَنَّ الشّريعةَ مبنيةٌ علَى رِعَايةِ المصالِحِ ودفْعِ المفاسدِ، والوَاقِعُ يشهدُ بِتَغيُّرِ المصَالحِ وتبَدُّلِ الأَحوالِ، فَيكونُ فِعلٌ فِي ظرفٍ مَصلحَةٌ، وَيَكُونُ فِي ظَرفٍ آخَرَ مفسدةٌ؛ فإنهُ لَا مانِعَ منَ القَولِ بتغيُّرِ الفُتيَا بِتغيُّرِ المصلحَةِ وهذَا مَا اشْتَهَرَ بِهِ المالكِيَّةُ اتّباعاً لمالكِ ابنِ انسٍ رضيَ اللهُ عنه. وَعلَى أثرِهِم قَفَا عُلماءُ المغربَ وضِمنَهُم عُلمَاءُ السُّودانِ الإِسلاميّ باعتبَارِهِم امتداداً لِهذَا المذهَبِ فِي أَغلَبِ أَقْطَارِهِم ، فَنجِدُ عَرضاً مَجمُوعاً منَ الفَتَاوَى والأَحكَامِ – وَهُوَ ما يُطلَقُ علَيهِ فِقهُ النَّوازِلِ[2]– التِي سَايرت التغيُّرَ الحاصِلَ فِي بنيةِ الزَّمانِ والمكانِ الذِي هُم فِيهِ ، فَلاَ تَكادُ تمُرُّ عَلَى سِيرةِ علَمٍ منَ الأَعلامِ فيهِم إِلَّا ولهُ مجمُوعةٌ منَ الفتاوِي أوِ النَّوازِلِ فَنجِدُ عَلَى سَبيلِ المثالِ لاَ الحَصرِ: نَوازِلُ ابنِ الأَعمشِ[3]– نَوازِلُ الشَّيخِ بايْ الكُنتِي– نَوازِلُ القُصَرِيّ[4] وغَيرِهِم.

أمَّا تَدارُسُ الفَتاوِي وشَرحُ النَّوازِلِ فقد كانَ دَيدَنُ كُلِّ عَالِمٍ منهُم كتابةً ودرساً ، فيذكُر ابنُ ابُوه أنَّهُ رأَى للشَّيخِ بايْ الكُنتِي حواشٍ علَى نوازِلِ الكُصَرِيّ ، كمَا يذكرُ مُدَارَسَتَهُ لهُم العَديدَ منَ الفَتَاوِي والشُّروحِ[5]، فَيقُولُ مثلاً فِي مسألةِ هِبةِ الزَّكاةِ : " وَقرَأَ عَلينَا مِن فَتحِ الوَهّابِ للشَّيخِ المختارِ جدُّ أَبِيهِ : أسقطَ عمر خُمُسَ القِيمَةِ فِي العَوَرِ بعْد أَن كَانَ أَسقَطَ النِّصْفَ ... " ، وَيتّضحُ من أَسئلةِ الشَّيخِ بايْ للعَلّامةِ محمّد يحيَ الوَلَاتِي شُمُولَ اطِّلاعِهِ علَى كُتُبِ النَّوازِلِ والفِقهِ بل والحُكمُ عليهَا وإِصدارُ حكمِه الخاصّ . ولا يخالِفُ ابنُ ابُوه طرَيقَ أستاذِه فيَسرُدُ كثيراً منَ الكُتبِ والمسائلِ الفقهيّة التِي أخذهَا منَ الكُتبِ ويعلّقُ عليهَا ويذكُرُ رأيَهُ فِيهَا.

وقد خَصَّصَ صاحبُ الرِّحلةِ الحِجازيّة ابنُ ابُوه جزءاً من رِحلتِهِ لذكرِ نتفٍ وإِفاداتٍ أينَما حلَّ وارتَحلَ منهَا:

---

(1) مسرود أغلبها في ترجمة حفيد المؤلف للفقيه في كتابه السابق: قواعد الفقه المالكي للمؤلف، ص ص 8-10.

(2) النوازل: المسائل التي سئل عنها المشايخ المجتهدون في المذهب ولم يجدوا فيها نصًّا، فأفتوا فيها تخريجًا ."أنظر: محمد يسري إبراهيم: فقه النوازل للأقليات المسلمة "تأصيلا وتطبيقا"، ط1، دار اليسر، القاهرة، مصر، 2013 م، ج1، ص ص 31 /21.

(3) العلامة الإمام أبو عبد الله محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي (ت1107هـ).

(4) القصري بن محمد المختار بن عثمان القصري (1235هـ)

(5) محمد يحي ابن ابوه: مصدر سابق، ص 105.

1- الفتاوى والنوازل

أ. **قَتلَ الرَّجلِ الذِي شَهِدَ ضِدَّهُ أَكثرُ من أَربَعِينَ نَفَراً**: تدورُ القَضيّة حولَ إفتاءِ القَاضِي محمَّد يحيَى الوَلَاتِي بقتلِ رَجُلٍ عالِمٍ عاملٍ كانَ معَ بعضِ أولادِ الشيخِ الحاج عمَر الفُوتِي فادَّعَى علَيهِ السُّلطانُ فساداً وشهدَ عليهِ شهودٌ نحوَ الأربعينَ فاحتجَّ القاضِي الوَلَاتِي بأنّهم لا يجرحون لِكثرتِهم وأَمرَ بِقتلِهِ، وَربَطَ العَلَّامةُ محمّد يحيَى ابنُ ابُوه بينَ موتِه وأخذِ النّصَارَى (أيّ الإستعمار) لتلكَ الأرْض. [1]

ب. **حُكمُ إقامَةِ الجُمُعةِ فِي القُرَى** [2]: مَفَادُهَا الإختِلَافُ حولَ إقامةِ صَلاةِ الجُمُعةِ فِي القُرى الحَدِيثةِ مثلَ وَلَاتَه فأفتَى الشَّيخُ بايْ بِجوازِ ذلكَ محتجّاً بِ: " أَنَّ التَّخلُّفَ عنِ الجُمعةِ فِي مثلِ جَامِعِ "تُمبَكْت" لاَ يُمكنُ، ومنَ نظَرَ أَحوالَ السَّلفِ الماضِينَ علمَ أَنّ إقامةَ الجُمُعةِ فِي مثلِ جامعِ "تُمبَكْت" وَوَلَاتَه أَمرٌ وَاجِبٌ ..." وَوَافقهُ العلاَّمةُ محمَّد يحَيَى ابنُ ابُوه فِي ذلكَ.

2- الإشكَالاَتُ الفقهية:

أ. **أَسئِلةُ سِيدِي مُحمّد ابنُ باد لِخَالِهِ الشَّيخُ بايْ الكُنتِي**: منهَا مسألَةٌ حولَ الأَظافِرِ الطَّوِيلَةِ عندَ النِّساءِ والتِي تَمتَلِأُ أَوسَاخاً حتّى تَيْبَسَ وَتمنَعَ دُخُولَ ماءِ الوُضُوءِ فأفْتَى الشَّيخُ بِلُزُومِ قصِّ ما لَا يدخُلهُ ماءٌ مِنهَا، وكَانَ لَهُ ردٌّ علَى عدَّة مسائلَ كانَ جَوابُهُ شَافِياً عَنْهَا. [3]

ب. **مَسائِلُ محمَّد الأَمين ابنُ عَليّ بن السَّعيدِ القَاضِي**: وهُوَ سُؤَالُهُ لابنِ أبُوه مُكاتبةً عنِ الإيصَاءِ بالحَلُوبِ هل يشملُ ابنَهَا، وعن بَيعِ ابنِ الحَلُوبِ دونَهَا، وبيعِ البَقرةِ المريضةِ علَى أنَّها شُفيتْ وغَيْرُهَا، فكانَ جَوابُه فِي الأُولَى والثَّانيةِ "أنّ الإيصآء يشمَلُ الإبنَ الذِي لا يُباعُ ولَا يُوهَبُ وَحدَهُ وأنَّ بَيعَهُ دُونَهَا حَرَامٌ إنْ كَانَ لَا يَقبَلُ رِضَاعَ غَيرِهَا"، وفِي الثَّالِثَةِ بِأَنَّ شأْنَهُ فِيهَا شأنُ المدَلِّسِ.

ت. **أَسئلةُ الشَّيخِ بايْ لمحمَّدْ يحيَى الوَلَاتِي**: كَمَا يُلقِي كَاتِبُ الرِّحلَةِ الضَّوءَ علَى أسئلةٍ طرَحهَا الشَّيخُ بايْ علَى محمّد يحيَى الوَلَاتِي يَستَفتِيهِ فيهَا كقضيّةِ "النّاشِزِ[4] لا مِيراثَ لَهَا وَلاَ صَدَاقَ" فَأفتَى الوَلَاتِيُّ بِبُطلَانِ هذَا الكَلَامِ وأَنَّهُ لاَ سَنَدَ لَه ، وأمّا القضيّة الثّانيَة فَكانت حَول بيعِ الملحِ قبلَ قَبْضِهِ -أيْ قبلَ إيفَاءِ ثَمنِهِ- رَغمَ أَنهُ مُجمَعٌ

(1) نفسه، ص 108.

(2) نفسه : ص ص 122/121.

(3) نفسه، ص ص 128-131.

(4) المرأة العاصية لزوجها.

علَى رِبَوبِيَّتِهِ ، وَكَانَ الوَلَاتِي قد أفتَى بعدَمِ ربوبيّتِهِ وأنَّهُ مُلحُقٌ يُضافُ للطَّعامِ ولَيسَ طَعاماً فَالمجمَعُ علَى رِبوبِيّتِه هوَ بيعُ الطَّعامِ قبلَ قَبضِهِ، وكَانَ رَدُّهُ مفصّلاً فِي المسألةِ رحِمهُ اللهُ[1].

المَطْلَبُ الثَّانِي: المُرَاسَلَاتُ بَينَ أَقطَابِ الفِكرِ:

مِن بينِ الظّوَاهرِ الحَيويةِ الدّالةِ علَى ثراءِ الحياةِ العِلميّةِ بالسُّودَانِ الغَربِيّ: المرَاسلَاتُ العِلْمِيَّةِ والفِقْهِيةِ بين العُلَماءِ وقدْ وَردَ عندَ ابنِ ابُوه مجَموعةٌ غيرَ قَلِيلَةٍ منْ هَاتهِ المرَاسَلاتِ التِي تنَاولتْ عدّةَ مَواضِيعٍ وقضَايَا عِلميَّةٍ أوْ إجتِمَاعِيّةٍ أَوْ سِياسِيّةٍ عادةً ما تكونُ مُذَيَّلَةً بِتارِيخِ نسخِهَا ونَاسِخِهَا وتختَمُ بختمِ مُرسِلهَا، وَتتَفاوَتُ طُولاً وقِصَراً، وتختلفُ أسلوباً حسبَ غرضِها وطَبيعَتِهَا، فَنَجِدُ مَثَلاً لا حَصْراً:

1- مُرَاسَلَاتُ الشّيخِ بايْ للقَاضِي محمَّد يَحِي الوَلَاتِي

مكوَّنةٌ من شَطرِينِ جزءٌ يطلبُ فِيهِ الإجازَة فِي الكتُبِ السِّتةِ وقدْ صدّرَ بِسلسِة ألقَابٍ ومدحٍ للشَّيخِ الوَلَاتِي، وجزءٌ خاصٌ بالأَسئلةِ الفِقهيةِ الوَارِدَةِ آنِفاً ، وكَانَ الرّدُّ منَ الشَّيخِ معَ ذكرِ النَّاسخِ الشّيخُ ابنُ محمّدٍ السّالِمُ الوَلَاتِي نيابةً بِسَبَبِ مرضٍ منعهُ منَ الكِتابةِ ، وتَلَاهُ بخطِّ محمَّد يَحِيَ الوَلَاتِي تَوضِيحٌ وتأكيدٌ علَى إملَائِهِ مَا كُتِبَ كَختمٍ بصحّةِ نسبةِ الكَلامِ إلَيهِ [2].ومنهُ أَيضاً مُراسَلةٌ لسِيدِي حَمزَة بن الحَاج أحْمد الفُلانِي يطلُبُ فِيهَا الإجازَةَ فِي الكُتُبِ السِّتةِ ، فردَّ عليهِ بالإجازةِ أرسلهَا من تَوَاتْ (لمْ يرد نصُّهَا عندَ ابن أبُوه).

2- مُراسَلَاتُ سِيدِي مُحمّد ابن بَاد إِلَى الشَّيخِ بايْ

يَستفتِيهِ فيهَا ويطلُبُ حَلًّا لإشكالَاتٍ فِقهِيةٍ، ميَّزَهَا طَابَعُ الإستِعجَالِ وغِيابُ الأَمدَاحِ، رَدَّ عَلَيهَا الشّيخُ بايْ بِخطِّ يَدِهِ رضيَ اللهُ عَنهُ. وَتَلَاهُ جَوابٌ طويلٌ منَ الشَّيخِ بايْ للشَّيخِ محمّد بنُ عُمَر عَرَفَ بايْ عن مَسائِلَ فِقهِيةٍ كَثِيرَةٍ [3].

3-مُرَاسَلاتُ خَطِيبِ "كَانُو" سُلَيمَانُ بنُ إسماعِيلَ الخَطِيب للعلَّامَةِ المُجاهدُ محمَّد بِللُّو [4]

تمَثَّلتْ فِي كتابٍ بخطِّهِ يتوسّطُ فِيهِ الشَّيخُ سُلَيمَان للعلّامة ابن ابُوه لدَى الأَمير محمّد بيللُّو [5] للحُصولِ علَى تصريحٍ منَ الإنجليزِ. ومَعَهَا خِطابٌ آخر منَ الخطيبِ إلَى السّيد محمّد ابن أحمد الشَّهيْر بأَلفَا هاشِم السَّاكنْ بمكّةَ يوصِيهِ بالعلَّامة

---

(1) محمد يحي ابن ابوه ، نفسه، ص ص 105-107.

(2) أنظر: محمد يحي ابن ابوه: مصدر سابق، ص ص 104-108.

(3) نفسه، ص ص 128-132.

(4) محمد يحي بن ابوه: مصدر سابق، ص ص 139/138.

(5) الشّيخ محمّد بيللّو: ابن الشيخ عثمان بن فودي وخليفته في حركته الجهادية، صاحب كتاب إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، توفي :1818م. انظر: يحي بوعزيز: تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية، مرجع سابق، ص224.

ابن ابُوه خيراً وأن يضِيفَهُ ويقضِي مصالِحهُ. وفِي نفسِ الموضُوعِ راسلَ الشَّيخُ الخَطِيبُ الشَّيخَ زَكَرِيَاء خَدِيُم الرَّوضَةِ الشَّريفةِ. ويغلبُ علَى المراسَلاَتِ المدحُ والإطراءُ لجميعِ الأَطرافِ وتقديمِ ابن ابُوه أحْسنَ تقديمٍ، كَمَا تَضمّنَتَا إشارَاتٍ إلَى غزارةُ المراسَلاتِ بينَ العُلماءِ فِي ذلكَ العصرِ بغضّ النظرِ عن موضُوعِ الوَساطةِ، فقدْ وَرَدَ شُكرٌ منَ الخَطيبِ للرّجُلينِ الحِجَازيّينِ عَلَى بُلُوغِ كُتُبِ وَإجَازَاتٍ وأَسرَارٍ تارَةً، وبَرقِياتٍ تارةً أُخرَى.

4-مُرَاسَلَاتُ مُحمّد يحيَى ابنُ ابُوه -ذَاتُهُ-

وَرَدَ فِي الرّحلةِ كتابَانِ كَتبَهُمَا مُحمّد يَحيَى ابنُ ابُوه الأَول للشّيخِ بايْ يطلبُ الإجَازةَ فِي الوِرْدِ القَادِريّ وقد كرّرَ كِتَابَتَهُ عدَّةَ مرَّاتٍ علَى مَا يَظهَرُ من كَلَامِهِ، وأمَّا الثَّانِي فَكَانَ مَكانَةُ محمَّد الأَمين بنُ السَّعيدِ القَاضِي لَهُ فِي مسائِلِ عَديدَةٍ مِنهَا مَا أَورَدْنَاهُ آنِفاً. وفِي أَماكِنَ عَدِيدَةٍ منَ الرّحلةِ يشيُر إِلَى مُراسلاتٍ ومَكَاتَبَاتٍ لاَ يُدْرَكُ كَونُهَا كَذلِكَ إِلَّا مِن خِلَالِ التمعُّنِ فِي النصّ.

وقد وَقَفْنَا فِي المجمَلِ علَى ما يَربُو عنْ ثَلَاثَةٍ وسِتينَ مَسْألةً فِقهِيَّةٍ مقتضبةً فِي نَصّ رِحلةِ ابن ابُوه، رغمَ حِرصِهِ علَى عَدمِ الإطالَةِ وذِكرُ المُهم فقط، وهذا أمارةٌ علَى حَيويّةِ الحَركةِ العلميةِ فِي المنطِقَةِ، واتّصَالِ أَقْطَارِهَا وأَعلَامِهَا، وكأنَّنا بِمؤَسّسةِ بحثٍ قَائِمةٍ بينَهُم رغْمَ تَباعُدِهِمْ، فَيستفسِرُونَ عمَّا أَشكَلَ عليهِم فَهمُهُ ممّا وَصَلهُمْ، وينتَقِدُونَ آراءَ بَعْضِهِم انتقاداً بنَّاءً فيُضِيفُونَ مَا نَقَصَ ويزِيلُونَ الزَّوَائدَ ، هذَا معَ اتّصالِهِمْ بِأمثَالِهِمْ فِي بَاقِي الأَقطَارِ، وشمولُ عِلمِهِم فَتَاوَى المشرِق والمغْرِبِ، فَلَمْ يَكُونُوا صِفْراً عَلَى الشّمالِ بلْ كَانَ لهُم دَورٌ مُهِمٌّ فِي إثراءِ الحَضَارَةِ الإِسلاَميَّةِ قَاطِبَةً وَتقدِيمِ نَفَائسَ لَايَزَالُ يَكْشِفُ بَعضَهَا الزَّمنُ مِن حِينٍ لِآخَرَ.

الخاتمة

الخَاتِمَة:

وَفِي خِتَامِ هَذَا البَحْثِ الذِي حَاولتُ مِن خِلَالِهِ إلقَاءَ الضَّوءِ علَى الحيَاةِ العِلمِيّةِ فِي السُّودَانِ الغَربِي فِي نَهَايَةَ القَرن التَّاسِعَ عَشَرَ وبِدَايةِ العِشرِين، مُستَنطِقاً بِمُوضُوعِيةٍ كَلمَاتِ الرحَّالةِ الشّنقيطِي محمَّد يَحيَى بنُ محمَّد الأَمين بنُ ابُوه اليَعقُوبِي مِن خلاَلِ رَحلَتِه الشَّهِيرة إلَى الحِجازِ، عَسَى أَن يَكُونَ إضافَة قَيمَةً وإلفَاتةً طيّبةً لجزئيّةٍ هامّةٍ مِن تَارِيخِ هَاتِه المنطِقة العرِيقَة وَعُلَمائِها الأَفَاضِل عَليَهِم رِضوَانُ اللهِ جَميعاً، كَمَا آمَلُ أَن يَكُونَ إلماعَةً ولَو خَافتَةً عَلَى حَياَةِ عَلَمٍ غُمِرَ إسمُه بَينَ طَيَاتِ تَارِيخِ البِلَادِ الذِي عَودَنا التّجَدُّدَ وإظهَارِ الحقِيقَةِ وإن طَالَ أَمَدُ جَهلِنَا بِهَا.

وَحصَّلنَا فِي نَهَايةِ هَذا البَحثِ مَجمُوعةً مِنَ النَّتَائِجِ نَذْكُرُ مِنهَا:

- السُّودَانُ الغَربِيُّ أَو إفرِيقيَا الغَربِية الإِسلَامِية نِطاقٌ إسلَاميٌّ فِي غربِ إفرِيقيَا جَنُوبَ الصَّحرَاءِ الكُبرَى أُختُلِفَ فِي تحدِيد أُصُولِهِ التَّارِيخِيةِ الدَّقِيقَةِ لِانعِزَالِهِ عِنِ العَالَمِ وبُعدِه عَن مَرَاكِزِ الحَضارَةِ فَترةً طَوِيلَةً مِنَ الزَّمَنِ، اللهُم إلَّا بِلاَدَ المغرِبِ التِي جَمعتهُ بِهَا عَلَاقاتٍ ضَارِبةً فِي القِدَم.

- مُنذُ دُخُولِ الإِسلَامِ مَنطِقَة السُّودَانِ الغَربِي نِهايةَ القَرنِ الخَامِسِ الهِجرِي دَخَلَت فِي مَرحَلةِ استِقطَابٍ حَضَارِي تَشرَّبَت خِلَالَهَا أُصُولَ الحَضَارةِ الإِسلَامِيةِ وَتعَلّمَت استِخدَامَ مُنتَجَاتِها حتّى غَدتْ قُطْراً إسلَاميًا لَا ينفَكُّ يُثبِتُ أَصالَتهُ وتَفرّدهُ عَن غَيرِهِ.

- أَدّى تَلاقُحُ ثَقافَاتِ إفرِيقيَا المختَلفَة مَعَ الثَّقافَةِ الإِسلَامِيةِ المغرِبيةِ والمشرِقيةِ إلَى ظُهُورِ نَموذَجٍ فَرِيدٍ، كَانَ إيذَاناً بنُشُوءِ مَمَالِكَ إسلَاميةٍ وَصلَ صَيتُها الإقتِصادِي والعِلمِي مَشَارِفَ القَارَّاتِ كُلِّهَا، وكَانَ مِن مَحاسِنهَا وَضعُ حَجَرِ الزَّاوِيةِ الذِي بُنِيتْ عَلَيهِ حَضَارةٌ عِلمِيةٌ وفِكرِيّةٌ مُتَميّزة.

- بَرَزَت فِي المنطِقةِ حَواضِر كَثِيرَة وصَل صَيتُ بعضِها حدَّ الأُسطُورةِ، مثلَ: تُمبَكتُو، وَجِنّي، وقَاوْ، ووَلاتَة، مَا جَذبَ إلَيهَا طُلّابَ العِلمِ والرحَّالَةَ، أَبرَزُهُم فِي القَرنِ التَّاسِعَ عَشرَ وبِدَايةِ العِشرِين كَانُوا مِن الغَربِيينَ أَمثَالُ: هِنرِي بَارثْ، وَرُوبِي كَايِيه، وَفِيلِيكْس دِيبْوَا، فِيمَا بَرزَ مِنَ العَربِ المغَارِبَة: مُحمّد الأَمِين بنُ محمَّد المختَار الجَكْنِي، ومحمّد يَحيَى بنُ محمّد الأَمِين بنُ ابُوه اليَعقُوبِي وغَيرُهُم.

- يُعتَبَرُ محمّد يَحيَى بنُ ابُوه اليَعقُوبِي عَلَماً من أَعلَامِ الشَّناقِطةِ وقُطبٌ ذَاعَ صِيتُهُ وأَطبقَ الآفَاقَ، وهُو ابنُ قَبيلَةِ اليَعاقِبةِ الشَّهِيرة فِي الإقلِيم الشَّنقِيطِي، حيثُ نَشَأَ فِي بَيتِ عِلمٍ وَجَاهٍ، لِيتَمكَّنَ منَ العُلومِ ويَتفَوقَ فِيهَا رُغمَ حَدَاثةِ سِنّهِ وقِصرِ حَياتِه فَلم يَعِشْ سِوَى 37 سنة (1893م/1930م)، وَرغمَ هَذَا تَركَ أثراً لَا يزُولُ فِي تَارِيخِ المنطِقةِ وأَعلَامِهَا.

- كَانَ نُبوغُ محمَّد يَحيَى اليعقُوبِي نتيجةً لِتَكوِينِهِ عَلَى يدِ كِبارِ عُلمَاءِ المنطِقةِ فِي عَصرِهِ أَمثَالُ أَبيهِ محمّد الأَمين ابنُ ابُوه والعَلَّامةُ يَحظِيه بنُ عبدِ الودُود(ت1939م)، والشَّيخُ سِيدِي بَابَّ(ت1924م)، كَما كَانَ لِاحتِكَاكِهِ

بِمجمُوعةٍ مِن أَقرَانِهِ أَمثَال: مُحمَّد عَالِي بنُ عبدِ الوَدُودِ – وَالدُ محمّد سَالِم وَلْد عَبد الوَدُود رَحِمَهُ الله وَجدُّ الشَّيخ الدَّدُو حِفِظَهُ الله– كَانَ لهُ بَالِغُ الأَثرِ فِي إختِصارِ طَرِيقِهِ واكسَابِهِ مكانَةً رَاقِيةً فِي أوسَاطِ العُلمَاءِ.

- كَانت رِحلَةُ محمّد يَحيَى ابنُ ابُوه رِحلةً حَجِيَّةَ المقصِدِ، عِلمِيةَ الفَحْوَى، فَقَد جَالَ ابنُ ابُوه بينَ حَوَاضِرِ المنطِقةِ وَأَعلَامِهَا مُعَرّفاً بِهم وذَاكِراً مَا استَفَادَهُ مِنهُم، وَمعَرّجاً عَلَى أَبرَزِ مُؤَلفَاتِهم وَالكُتُبِ المتَدارَسةِ، ومُوضِّحاً أُسلُوبَ الدِّراسَةِ وَوسَائِلها فِيهَا، وَقد تَفرَّدَ فِي كِتابَةِ رِحلَتِهِ التِي إعتَبرَهَا إمتِدَاداً لحيَاتِه بَادِئاً إيَّاهَا مِن يَومِ مَولِدِه، فَأَخَذت شَكلَ السِّيرَةِ الذَّاتِيةِ أَكثَرَ مِنهَا رِحلَةً عَادِيةً.

- تَمَيَّزَت الحَياةُ العِلمِيةُ فِي السُّودَانِ الغَربِي فِي القَرنِ ال 19م وبِدَايةِ ال 20م بِسيادَةِ الثَّقَافَةِ الإِسلَاميَّةِ واللُّغةِ العَرَبيّة مَا جعلَهَا تَكتَسِبُ رَصِيداً ثَقَافياً مُتَنوّعاً، يَظهَرُ جلِياً فِي انتِشارِ دُورِ العِلم وَمرَاكِزِه، كمَا يتَجلَّى فِي الكَمِّ الهَائِلِ منَ العُلومِ والكتُبِ والمكتَباتِ، المشرِقيّ منهَا والمغرِبِي والأَندَلُسِي، وَلَم يَخُل إغْتِرَافُهَا مِن تِلكَ الرّوافِد دُونَ ابتِكارِهَا لنَهجِهَا الخاصّ فِي اكتِسابِ العِلمِ ونَشرِه.

- مِن أَبرَزِ أَعمِدَةِ الحَياةِ الفِكرِيةِ فِي تِلكَ الفِترَةِ نجِدُ: الشَّيخَ بَايْ الكُنتِي(1865م/1927م) سَليلَ بيتِ العِلمِ الكُنتِي، والشَّيخَ أَحمدُ بَمْبَا(1853م/1927م) قُطبُ السِّنغَالِ وعَلَمُهَا البَارِز، ومحمَّد يَحيَى الوَلَاتِي(1843م/1912م) القَاضِي الفَقِيهُ الرحَّالةُ صَاحِبُ العِلمِ الشَّامِلِ والعَقلِ الرَّاجِحِ، وَغَيرُهُم كَثيرٌ فَالمنطِقَةُ مَعينٌ مِنَ العِلمِ وَالعُلَمَاءِ لَا يَنضَبُ.

- أَسهَمَ العُلمَاءُ فِي استِمرَارِ الحَرَكَةِ العِلمِيَّةِ فِي السُّودَانِ الغَربِي مِن خِلَالِ نَشَاطِهِم العِلمِيَ والدّعوِيَ وإصدَارِهِم إنتَاجاً فِكرِياً وَعَمَلِياً كَالفَتَاوَى والأَحكَامِ العَامَّةِ وأَحكَامِ النَّوازِلِ خَاصَّةً ،فَخُصُوصِيةُ المنطِقةِ وَتَفَرُّدِهَا فَرضَ لِزاماً مُعامَلتَهَا مُعامَلةً خَاصَّةً لَا تخرُجُ عَن أُصُولِ الأُمَّةِ ولَا تَتَقَيدُ بِالشَّرقِ وَلَا بِالمغرِبِ الإِسلَامِيين، فَكانَ أَن ظَهرَت نَوازِلٌ شَهِيرةٌ لِعِدَّةِ عُلَمَاءَ أَبرزُهَا نَوازِلُ الشَّيخِ بَايْ الكُنتِي.

- إرتَبطَ العُلَمَاءُ فِيمَا بَينَهُم بِعَلَاقَاتٍ وَثِيقَةٍ وَدَائمَةٍ أَخذَت شَكلَ الدَّائِرةِ البَحثِيةِ أَو الشَّبكَةِ العِلمِيةِ، فَقدْ أَفَادُوا واستَفَادُوا مِن بَعضِهِم مُجَالسَةً وَمُراسَلةً، وَتَأييداً وَنَقداً، وَتَدعِيماً، وأَجازَ بَعْضُهُم بَعضاً فِي فُنونٍ كَثِيرَةٍ، مَاسَاهَمَ فِي خَلقِ مُناخٍ مُلَائِمٍ لتَنافُحِ الأَفكَارِ وَتَوَالُدِهَا، فَاصطَبَغَت الحَياةُ العِلمِيةُ بِالتَّجدُّدِ الدّائِمِ الذِي حَالَ دُونَ تَماهِيهَا والحَضَارةِ الغَربِيةِ الأُوروبِية.

- تَحَدّتِ المنطِقَةُ الظَّرفَ التَّارِيخِيَّ المتأزّمَ والتَّحوُّلَ التَّارِيخِيَّ المؤلِمَ، ضَارِبةً نَظَرِياتِ الإِستِعمَارِ القَاضِيةِ بِتخَلُّفِ إفرِيقيَا وَبِدَائيتِهَا عَرضَ الحَائطِ، لتُثبِتَ بِما لَا يدَعُ مجَالاً للشكّ أَنَّهَا مقَرُّ حَضَارةٍ دَأَبَ الإِستِعمَارُ عَلَى محوِهَا ودَمجِهَا وَفرضِ الوِصَايةِ عَلَيهَا وَعَلَى فِكرِهَا بِكُلِّ الطُّرُقِ وَلَم يَستَطِع لِذَلِكَ سَبِيلاً.

كَان هَذَا عَرضاً مُوجَزاً لأَهمّ مَا تَوصّلنَا إِلَيهِ مِن نَتائِجِ خِلالَ بَحثِنَا هَذَا ، وَمِن بَابِ الإِشَارَةِ نَقُولُ أَنَّ المتَتبّعَ لِمَا يُكتَبُ حَولَ تَارِيخِ المنطِقةِ خَاصَّةً فِي الجَانبِ الحَضارِيّ والثَّقَافِي لَا يَخْرُجُ مُعظَمُهُ عَن نَموذَجَينِ مِنَ التَّفكِيرِ شَاذَّين، أَولهُم نَموذَجٌ تُسيّرهُ المصلَحَةُ والأَفكَارُ التَّسلُّطِيةِ الإِستِعلَائِية، فَتجِدُ كِتابَاتِهِ تَضِجُّ بِالعُنصُرِيّةِ، يُقزّمُونَ كُلَّ مَا لَهُ علَاقةٌ بِالأُسسِ

الحَضارِيةِ للمَنطِقةِ مِن إسلَامٍ وَعُرُوبَةٍ وَمَا نَحَى نَحوَهَا، وَبِالمقَابِلِ يَضَخِّمُونُ دَورَ أُورُوبَا فِي نَقلِ إفرِيقيَا مِن الظَّلَامِ، مُدّعِينَ أَنَّ رِسَالَتَهُم الأُولَى تَحضِيرَ إفرِيقيَا فَهلْ حَقّا كَانَ الوَاقِعُ مُطَابِقاً لمزَاعِمِهِم؟ أَم أَنَّهُم أَعادُوا إفرِيقيَا إِلَى عُهودٍ بِدَائِيةٍ فلَم تَعرِف مَعَهُم إِلَّا الجَهلَ وَالإِبَادَةَ ثُمَّ يَنعَتُونَهَا بِالتَّخَلُّفِ!؟ أَمَّا النَّمُوذَجُ الثَّانِي فَهُوَ سَلِيلُ الأَولِ، مُتشبَّعَ بِثقَافةِ الرَّجُلِ الأَبيَضِ المرتَبِطَةِ بِالوَطَنِ الأَمّ (المترُوبُولْ) ، تَتَوَضَّحُ فِيهِ عَلاَمَاتُ الإِنهِزَامِ الحضَارِي وَالتَّقَهقُرَ الفِكرِيَ، كُتَّابُ هَذَا النَّمَوذَجِ يُمثِّلُونَ جَمَاعَةً وَظِيفِيةً يَستَغِلُّهَا المستَعمِرُ عَلَى عِلمٍ مِنهُم أَو علَى غَفلَةٍ، فَتجِدُهُم يُفتِّشُونَ عَن كُلِّ مَا يُبعِدُهُم ويُبعِدُ إفرِيقيَا عَن طَابَعِ عَصرِهَا الوَسِيطِ كُلُّ مَا يُبعِدُهَا عَن مُحيطِهَا الذِي شَكَّلَ ثَقافَتَهَا وَحضَارتَهَا لِمَا يفُوقُ التِسعَةَ قُرُونٍ، فَيلوُونَ عُنقَ الحَقائِقِ ويزَينُونَ صُورةَ الجلَّادِ فِي أَذهَانِ بَنِي جِلدَتِهِم ،فَبسَببِ كِتابَاتِهِم شُوهِّت صُورَةُ الإِسلَامِ فِي المنطِقةِ وأُلصِقت بِهِ كُلُّ صُنوفِ السِّلبِيات، وفِي ظِلّ هَذَا تُطمَسُ الحَقائِق .

وَعَطفاً عَلَى ذَلِكَ لَابدَّ مِن مَنحِ مِسَاحةِ بَحثٍ أَكبَر، تُضَيِّقُ الهُوّةَ الحَاصِلةَ فِي كِتابَة تَارِيخِ المنطِقةِ وتُسلِّطُ الضُّوءَ عَلَى قَضَايَاهُ الشَّائِكَة وتَكشِفُ مَا طُمِسَ مِن حَقَائِقِهِ، وَمِن ثَمَّ إِعادَةُ بِنآءِ الصُّورَةِ التَّارِيخِيةِ الصَّحِيحَةِ والحقِيقِيةِ للمَنطِقةِ. وهَذَا لَا يَتَأتّى إِلَّا بِالعِنايَةِ بالموادِّ الأَولِيةِ لهذَا التَّارِيخِ عِنَايةَ حِفظٍ أَوّلاً ثُمّ عِنايَةَ تَحقِيقٍ ودِرَاسةٍ. كَمَا لا يتَأَتّى ذَلِكَ إِلَّا بالتَّضحِيةِ وَبذلِ النَّفسِ والنَّفِيسِ فِي سَبيلِ الغَايَةِ العُليَا وَهِي إِعَادَةُ البِنيةِ الحَضَارِيّة للمَنطِقَةِ وَمِن خِلَالِها بِناءُ تَارِيخِ قِارَّةِ إفرِيقيَا الضَّائِع بَينَ أَروِقَةِ الحَضَارَةِ الإِنسَانِية.

وَلَا يَسعُنِي أَخِيراً إِلَّا أَن أُقَدِّمَ إِعتِذَارِي عَن كُلِّ مَا بَدَا مِن خَلَلٍ أَو نُقصٍ فِي هَذَا البَحثِ المتَواضِعِ أملاً أَن يَكونَ فَاتِحَةً لِمزِيدٍ مِنَ البُحوثِ فِي هَذَا المجَالِ، وأَن يَلقَى القُبُولَ، رَاجِياً مِنَ اللهِ تَغييرَ حالَ المنطِقةِ وتحوِيلَها إِلَى الأَحسَنِ، وأَن يَحفَظهَا للإِسلاَمِ ويَحفَظَ الإِسلَامَ لهَا بِقدْرَتِهِ وَمنِّهِ وَكَرمِهِ، وَالحمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ والصَّلَاةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى أَشْرَفِ العَالِمِينَ.

المَلاحِقُ

الملاحق:

ملحق رقم 01: خريطة تمثل جغرافية السودان الغربي (ق14م).[1]

[1] عبد القادر زبادية: مرجع سابق، ص27.

مُلحَق رَقم 02: صُورَةٌ لمسجِدِ سَنكَرِي بِتُمْبُكْتُو نِهَايةَ القَرنِ التَّاسِعَ عَشَرَ[1]

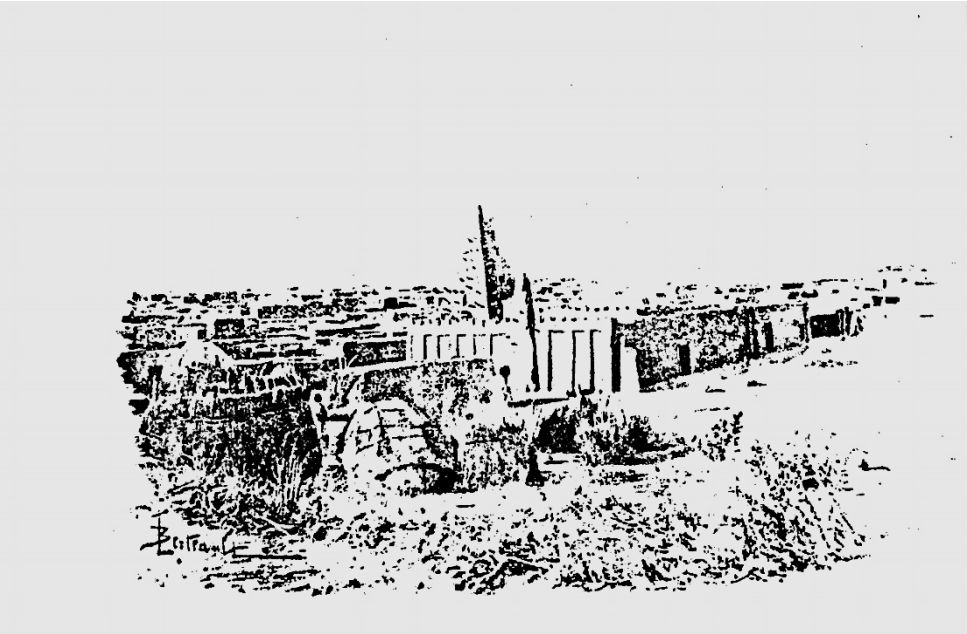

مُلحَق رَقم03: مَدرَسةٌ فِي الشَّارِعِ (تُمبَكْتُو القَرنُ التَّاسِعَ عَشَر) [2]

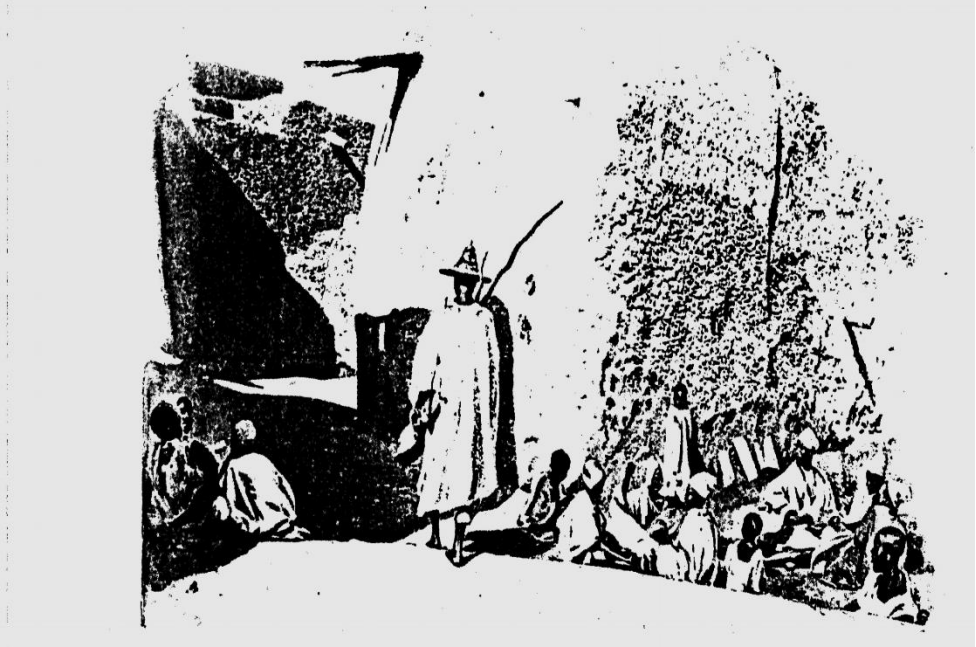

[1] فيليكس ديبوا: تمبكت العجيبة، المصدر السابق، ص 344.

[2] نفسه، ص345.

مرفق رقم 04: صورتي العالمين أحمد بمب[1](على اليمين) ومحمد ولد ابي مدين[2] (على الشمال).

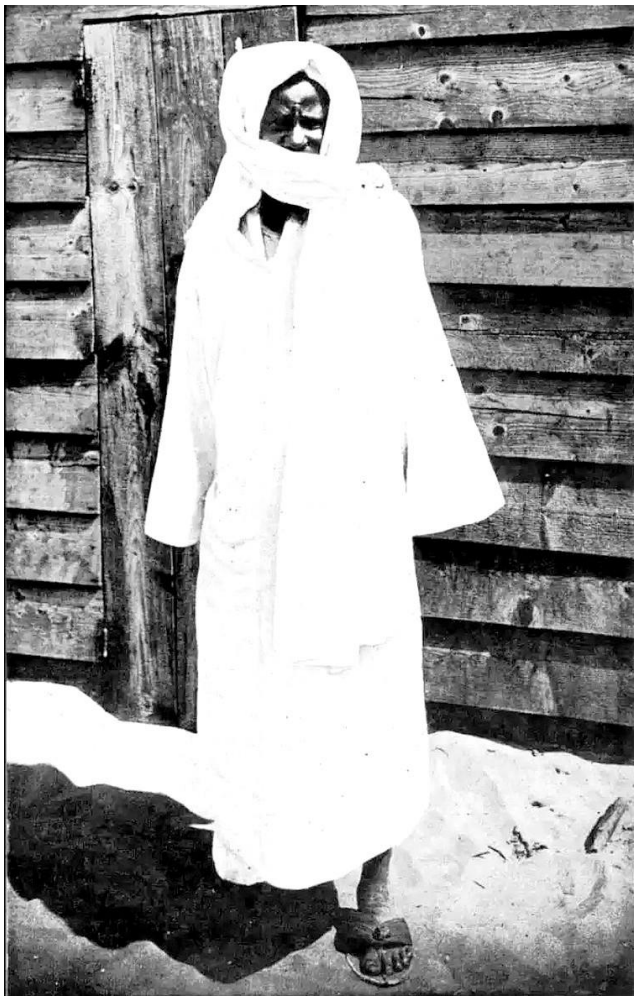

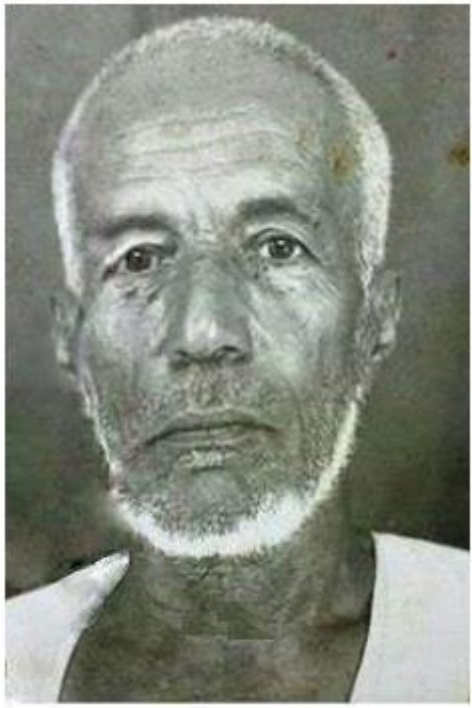

محمد ولد أبو مدين

[1] سام بوسو عبد الرحمان: خواطر: الشيخ الخديم (ض) بين العبقرية البشرية والعناية الإلهية، تدوينة الكترونية، تمت الزيارة في: 2021/05/16م، على الساعة: 20:32، في: samebousso.blogspot.com/2013/07/blog-post_25.html/

[2] موقع الرأي المستنير: العلامة المحدث محمد ولد أبومدين "شذرات مضيئة"، تمت الزيارة في: 2021/05/16 على الساعة: 22.04، في: arayalmostenir.com/node/1315/

مُلحَق رَقم04: نَصُّ إِجَازَةِ الفَقِيهِ مُحَمَّد يَحيَى الوَلَاتِي لِلشَّيخِ بَاي الكُنتِي فِي الكُتُبِ السِّتةِ[21]

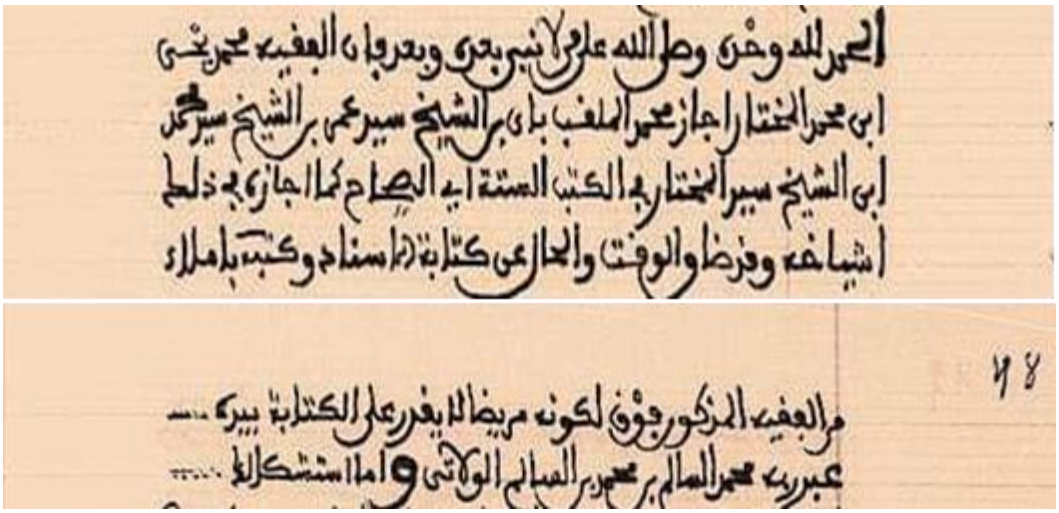

الحمد لله وحْده وصلى الله على من لانبي بعده وبعد فان الفقيه محمد يحي ابن محمد المختار أجاز محمد الملقب باي بن الشيخ سيد عمر بن الشيخ سيد محمد ابن الشيخ المختار في الكتب الستة أي الصحاح كما اجازه ذلك اشياخه وقد ضاق الوقت والحال عن كتابة الاسناد وكتبه باملاء من الفقيه المذكور فوق لكونه مريضا لايقدر على الكتابة بيده عبر ربّه محمد السالم بن محمد بن السالم الولاتي.

1

[2] محمّد يحي بن ابوه اليعقوبي: مخطوط الرحلة، مكتبة الدّكتُورِ سِيدِي أَحمَد الأَمِير، الورقتين 47 و48.

ملحق رقم05: الصفحة الأولى من نوازل الشيخ باي بن عمر الكنتي.[1]

[1] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص403.

ملحق رقم06: الدلالة الرمزية لوضعية العمامة عند إجازة الطلاب بجامعة سنكري.[1]

عمامة على شكل حرف الألف "أ"

تعني الاجازة في: النحو

عمامة على شكل حرف اللام "ل"

تعني الاجازة في: الجغرافيا

عمامة على شكل حرف اللام "ل" مكررة

تعني الاجازة في: الرياضيات

عمامة على شكل حرف الهاء "ه"

تعني إجازة أخرى

الحروف مجتمعة تمثل لفظ الجلالة " الله"

وتعني إجازة في تفسير معاني كتاب الله

[1] وثائقي تحت المجهر: تمبكت جوهرة الصحراء ...، المرجع السابق، بداية من د 12.

قَائِمَةُ المَصَادِرِ
وَالمَرَاجِعِ

قائمة المصادر والمراجع:

أ) المصـــــادر:

- **ابن بطوطة** محمد بن عبد الله بن محمّد اللواتي الطنجي (ت779هـ/1304م): **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار صادر، بيروت، 2001.
- **ابن خلدون** عبد الرحمان بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت808هـ/1406م): **المقدمة**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2009.
- **ابن خلدون** عبد الرحمان بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت808هـ/1406م): **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر**، تح، خليل شحادة، ج6، ط2، دار الفكر بيروت، 1988.
- **بول مارتي**: **من عرب مالي البرابيش بنو حسان**، تعريب محمد محمود ودّادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا، د ت.
  - بول مارتي: كنتة الشرقيون، تع: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، سوريا.
  - الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي(ت1396هـ/1976م): الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، 2002.
- **السَّعْدي** عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران(ت1066هـ/1653م): **تاريخ السُّودَان**، تحقيق هوداس، باريس، 1981.
- **فيليكس ديبوا**: **تُمْبَكْتُو العجيبة**، ترجمة عبد الله عبد الرزاق ابراهيم، مراجعة شوقي عطاالله الجمل، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.
- **القلقشندي** أبو العباس شهاب الدين احمد بن علي بن أحمد (ت821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج5، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1983.
  - الكنتي محمد باي بن عمر (ت1348هـ/1927م): السنن المبين من كلام سيد المرسلين (شرح الأحاديث المقرية)، تح: يحي ولد سيد احمد، ج1، دار المعرفة، 2011.
  - الكنتي محمد باي بن عمر (ت1348هـ/1927م): السنن المبين في شرح أحاديث أصول الدين، تح: مالك كرشرشو حميد الكنتي، ط1، ج1، مركز الثعالبي للدراسات ونشر التراث، الرويبة، 2001م.
- **ليون الافريقي** أبو علي الحسن ابن محمد الوزان (957هـ/1550م): **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حاجي ومحمد الأخضر، جزآن، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.
  - محمد بن محمد بن عمر مخلوف(1360هـ/1941م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، دون معلومات النشر.
- **محمّد بن الطلبة**: **ديوان محمد بن الطُّلبه**، شرح وتحقيق: محمّد عبد الله بن الشبيه بن ابوه، تق: محمد نباه بن محمد ناصر، مطبعة النجاح، المغرب، 2000م.
- **محمود كعت (ت1001هـ/1593م)**: **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تح: هوداس دولافوس، 1964م.
- **المسعودي** أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج2، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1988م.

- **المغيلي** عبد الكريم (ت909هـ/1504م): **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تقديم وتحقيق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1974.

  - الولاتي محمد يحي (1330هـ/1912م): قواعد فقه المذهب المالكي (الدليل الماهر الناصح شرح نظم المجاز الواضح على قواعد المذهب الراجح)، مكتبة الولاتي لإحياء التراث الإسلامي، نواكشوط، موريتانيا، 2006م.
  - الولاتي محمد يحي (1330هـ/1912م): شرح نظم ورقات إمام الحرمين في أصول الفقه (للشيخ سيدي محمّد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي الشنقيطي)، إع ونشر: محمّد محفوظ بن احمد، ط1، 2001.

- **اليعقوبي** محمّد يحي بن محمّد الأمين بن ابوه (ت1349هـ/1930م): **الرحلة إلَى الحجاز**، ط1، دار الرضوان، نواكشوط، موريتانيا، 2013.

ب) المراجـــــع

- **أبو القاسم** سعد الله (ت2013م): **تاريخ الجزائر الثقافِي**، ج2، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1998م.

  - أبو صفوان ذياب بن سعد: الوجازة في الإثبات والإفادة، تقريظ: زهير الشاويش، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 1428 هـ.

- **أبو علي بحيدّ** بن الشيخ يربان القلقلمي الادريسي، **أعلام الشناقطة فِي الحجاز والمشرق وجهودهم العلمية وقضاياهم العامة (من القرن الخامس حَتّى القرن الخامس عشر الهجريين)**، دار النشر الدولي، ط1، 2000م.
- **إدارة الثقافة والفنون لموريتانيا: من أبرز علماء شنقيط (التعريف ب 212 عالما)**، ج:1، 2، 3، 2019م.

  - امباكي أحمد بمبا: ثلاث منظومات في التصوّف والسلوك، ط1، تع وتح دائرة فتح الغفار، المغرب، 2016.

- **انساعد** سميرة: **الرحلة إلَى المشرق فِي الأدب الجزائري دراسة فِي النشأة والتطور والبنية**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
- **بابكور** عمر بن سالم: **النهضة العلمية والثقافية في مدينة تمبكت الإسلامية في القرن (10هـ/16م)**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

  - بابكور عمر سالم: الاسلام والتحدي التنصيري في شرق افريقيا، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية، 1418هـ.

- **البستاني** بطرس: **دائرة المعارف**، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، طهران، ج8، د.ت.

  - بلعالم محمّد باي: الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، دار هومة، 2005م.

- **بوعزيز** يحي: **تاريخ إفريقيا الغَربِيّة الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلَى مطلع القرن العشرين**، دار هومه، بوزريعة، الجزائر ،2001.
- **جعفري** مبارك: **الأزواد خلال القرن (13هـ/19م) دراسة تاريخية اجتماعية واقتصادية، ط1**، دار الكتاب العربي، خرايسية، الجزائر ،2021.

- **جعفري** مبارك: **العلاقات الثقافية بين توات والسُّودَان الغَربِيّ خلال القرن 12**، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2009.
- **الجمل** شوقي عطاالله وعبد **الله** عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ **إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار الزهراء ط2، م ع س، الرياض، 2002م.
- **الحمد** محمد بن سعود: **موسوعة الرحلات العربية والمعربة والمخطوطة والمطبوعة معجم بيبليوغرافِي**، ط1، دار الكتب والوثائق العلمية، القاهرة،2007.
- **الدالي** الهادي مبروك: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا وراء الصحراء من نهاية ق15 إلَى بداية ق18**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م.
- **الدالي** الهادي مبروك: **مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13–15**)، تق: محمد رزوق، ط1، دار الملتقى، 2001.
- الدغاني محمد الأمين جوب: إرواء النديم من عذب حب الخديم، د.ط، تح وتع: محمد المختار، محمد الحبيب، مختار تفسيرجون، داري بروم طوبى، 1427هـ.
- **الدغاني** محمد الأمين جوب: **إرواء النديم من عذب حب الخديم**، د.ط، تح وتع: محمد المختار، محمد الحبيب، مختار تفسيرجون، داري بروم طوبى، 1427هـ.
- دندش عصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا (1038م-1121م)، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 1988م.
- ذنون طه عبد الواحد: **الرحلات المتبادلة بين المغرب الإسلامي والمشرق**، دار المدار الإسلامي، ط1.
- **زبادية** عبد القادر: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين (1493م–1591م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- **الشامي صلاح** الدين: **الإسلام والفكر الجغرافِي العربي**، الإسكندرية، 1979م.
- **الشامي** صلاح الدين: **الرّحلة عين الجغرافِيا المبصرة فِي الكشف الجغرافِي والدراسة الميدانية**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.
- **الشاهد** الحسن: **أدب الرحلة بالمغرب فِي العصر المريني**، ج1، منشورات عكاظ، 1990.
- **شعباني** نور الدين: **محاضرات في تاريخ ممالك السُّودَان الغَربِيّ**، دار الجزائر، الجزائر، 2015.
- **شلبي** أحمد: **موسوعة التاريخ (الإسلام والدول الاسلامية جنوب صحراء أفريقية منذ دخولها الإسلام حتّى الان)**، الجزء 6، ط6، مكتبة النهضة المصرية، 1998، القاهرة.
- **الشنقيطي** أحمد بن الأمين: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط2، 1958.
- **الشوابكة** نوال عبد الرحمان: **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حَتّى نهاية القرن التاسع الهجري**، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008.
- **الشيخ الطيب** بن عمر بن الحسين: السلفِية **وأعلامها فِي موريتانيا "شنقيط"**، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.
- الصديق حاج أحمد آل المغيلي: من أعلام التّراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ت، د.ط.
- **الصلابي** علي محمد: **الجوهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، 2003.

- **طرخان** ابراهيم علي: **إمبرَاطُورِيَّة عانة الاسلامية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف، 1970م.
- **عدنان مراد**: **المجتمعات الأفريقية**، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995.

- عزّ الدين عمر موسى: دراسات اسلامية غرب إفريقية، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان ،2003م.

- **فاضل محمد** و**سعيد إبراهيم** كريريه: **المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
- **الفيتوري** عطية مخزوم: **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء**، ط1، جامعة قازيوس، بنغازي، 1998.

- قداح نعيم: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر د.ت.

- **قنديل** فؤاد: **أدب الرحلة فِي التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2002.

- الكنتي محمد بن الحاج عابدين: منار الارشاد في معرفة طرق الرواية والإسناد، اعتنى به: توفيق بن عمار الكيفاني، دار الفرقان، الجزائر العاصمة، ط1، 2018م.
- محمد البشير بن الشيخ الخديم: منن الباقي القديم الخديم: منن في سيرة الشيخ الخديم، كتاب منقول ومكتوب بواسطة: محمد بن الشيخ محمد يحظيه بن العباس، د.ط، انتهى منه في شوال 1385هـ.

- **محمد عوض** محمد، **الشعوب والسلالات الإفريقية**، الدار المصرية، القاهرة، 1966.
- **محمد لخضر** حسين: **الرحلات**، جمع وتحقيق: على الرضا التونسي، المطبعة التعاونية، بيروت، 1976م.
- **محمّد محيي الدين**: **أفريقيا وحوض النيل**، ط2، مصر، مطبعة عطايا بباب الخلق، 1934.

- محمد يسري إبراهيم: فقه النوازل للأقليات المسلمة "تأصيلا وتطبيقا"، ط1، ج1، دار اليسر، القاهرة، مصر، 2013 م.
- المختار بن حامد: حوادث السنين أربعة قرون من تاريخ موريتانيا وجوارها، تق وتح: سيدي أحمد بن أحمد سالم، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الامارات العربية، ط1، 2011.

- **المختار** ولد حامد: **حياة موريتانيا الجغرافِية**، دار الغرب الاسلامي تق: أحمد التوفِيق، 1994م.

- نبيلة حسن محمد: في تاريخ أفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، مصر 2008.

- **نصار** حسن: **أدب الرحلة**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1991.
- **نيقولا** زيادة: **الجغرافِيا والرحلات عند العرب**، الشركة العالمية للكتاب، لبنان،1987.

- هوبير ديشان: الديانات في أفريقيا السوداء، تر: أحمد صادق حمدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.

ج) الاطروحات المذكرات الجامعية

- امباكَي سيرين جيلي: أبرز رجال الدعوة والعلم في السنغال وأثرهم الإصلاحي، بحث لنيل الإجازة في أصول الدين والتواصل الحضاري، جامعة القرويين، المغرب، 2009، ص14.
- بلجيلالي سيد علي: كتاب العبادات والأسرة من نوازل الشيخ باي محمد بن عمر الكنتي دراسة وتحقيق "الجزء الأول"، أطروحة دكتوراه، إش: بن عمار زهرة، قسم العلوم الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، جامعة وهران، 2018/م2019.

- بن جعفري مختار: شرح الأحاديث المقرية للشيخ محمد باي بن عمر الكنتي (أبواب الزكاة والصوم والحج دراسة وتحقيق)، أطروحة دكتوراه في العلوم الاسلامية، تخصص فقه وأصول، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والاسلامية، قسم الشريعة، إش: أ.د محمد دباغ، 2016/2015م.
- **تونسي** سمية، نور الهدى **أقرابو**: **الحواضر العلمية في السُّودَان الغَربِيّ ما بين القرنين (07–10هـ/13–16م) (غاو) نموذجا**، مذكرة ماستر، إش: د. مبارك جعفري، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أدرار،2020/2019م.
- **مباركي** نجاة ووهيبة **داداه**: **الحواضر الإسلامية ودورها في السُّودَان الغَربِيّ "حاضرة جنّي نموذجا خلال الفترة (6–10هـ/12–16م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إشراف: د. سالم بوتدارة، تخصص تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، قسم العلوم الانسانية، جامعة أدرار ،2021/2020م.
- **مقاديم** عبد الحميد: **المدارس العلمية ودورها الثقافي في السُّودَان الغَربِيّ** (مالي وسنغاي) ق10-7هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، إش: بن نعيمة عبد المجيد، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية قسم الحضارة الاسلامية، جامعة بن بلة، 2017/م2018.
- مهدي صفوان وميلود نمرود: الشيخ أحمدو بمبا امباكي ودوره الإصلاحي والدعوي في السنغال (1270-1346هـ/1853-1927م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، دراسات أفريقية، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، 2018/2017م.
- **مولاي** محمد: **القضاء والقضاة ببلاد السُّودَان الغَربِيّ من أواخر القرن التاسع هجري حتّى الثاني عشر هجري**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، إش: أحمد الجمدي، قسم الحضارة الاسلامية، كلية العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة وهران أحمد بن بلة، 2018/م2019.

د) المقـــــالات

- أبو بكر إسماعيل محمد ميغا: تاريخ الثقافة الاسلامية والتعليم في السودان الغربي من القرن 4هـ حتى مطلع القرن 13هـ، مجلة الدارة الربيع الأول، العدد الثاني، 1993.
- امباكي خديم محمد سعيد: التعليم الإسلامي الواقع والمأمول في السنغال، مجلة دراسات أفريقية، العدد:24، ديسمبر 2000.
- براخلية الطاهر: معالم منهج البحث الأصولي عند الفقيه محمد يحي الولاتي المالكي، مجلة الإحياء، المجلد :18، العدد: 21، كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة، جوان2018.
- **بوروبة** حمزة: **العلامة المحدث محمد بن أبي مدين الشنقيطي حياته وآثاره، مجلة الإحياء**، كلية العلوم الاسلامية –جامعة باتنة، المجلد: 19، العدد: 22، سبتمبر 2019م.
- **الحيالي** عبد الأمير عباس: **أبعاد الصراع الموريتاني–السنغالي في نهر السنغال**، مجلة الفتح، كلية التربية /جامعة جديالي، العدد الرابع والثلاثون، 2008.
- دهان مريم: المقاربة الاثنوغرافية، تعريفها، مميزاتها وتقنياتها، وعلاقتها بدراسة الجمهور، مجلة تاريخ العلوم، جامعة الجزائر03، العدد الثامن، جوان 2017.
- **الذِيابات** آمنة محمود: **أحمد بابا التمبكتي ومنهجه في كتابه (نيل الابتهاج بتطريز الديباج)**، مجلة المشكاة، جامعة حائل، المجلد الثالث، العدد2، حزيران 2016م.

- **السعيدي** رشيدة: **الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا إمبرَاطُورِيَّة سنغاي الإسلامية أنموذجا (النشأة والتطور)**، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد02، العدد01، المدية، جوان 2018.
- **عبد الودود** ولد عبد الله (ددود): **الفقيه والمجتمع في الحواضر الصحراوية محمد يحي "الفقيه" ومجتمع (ولاتة) –نموذجا**، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة أدرار، الجزائر، العدد:8، ديسمبر2015.
- **المتليني** عبد العالي: **علماء سجلماسة–تافيلات بين الإقامة والترحال في العصر الحديث والمعاصر: أعلام كتاب نشر المثاني وقصر تابوعصامت أنموذجا**، مجلة التراث، العدد 03، المجلد العاشر، أكتوبر2020.

هـ) المراجع الأجنبيـــة:

- **Callot**, **y**.**''sail''**, **Encyclopadia of Islam**, new edition, Leiden: E.J. Brill,1995.
- **Delafoss** (**Maurice**), **Haut Sénégal Niger**. Les noirs de l'Afrique. Edition Payot, Paris, 1941.
- Vincent Monteil : Une Confrérie Musulmane : Les Mourides Du Sénégal, In : Archives De Sociologie Des Religions. N 14.1962.

و) الموسوعـــات

- **مسعود الخوند**: **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، ج2، آسيا، ألبانيا.
- **الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي** (المجلد الثاني عشر إقليم غرب أفريقيا): جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، المملكة العربية السعودية، 1999م.
- **الموسوعة العربية**: المجلد السادس، ط1، سوريا، 2002.

ز) **المعاجـــــــم**

- **ابن منظور** محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط6، ج6، بيروت، دار صادر: 2008م.
- **قلعجي** محمد رواس – حامد صادق قنيبي: **معجم لغة الفقهاء المؤلف**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988 م.

ح) حوامل إلكترونية:

- قاموس المعاني الالكتروني: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar /
- مكتبة قاليكا الالكترونية: https://gallica.bnf.fr/
- موقع أرشيف منتدى الألوكة: https://al-maktaba.org/
- الموقع الرسمي للمجلس الأعلى للفتوى والظالم: http://www.fatwamadhalim.mr/
- موقع الشيخ ماء العينين في: http://www.cheikh-maelainin.com
- موقع موسوعة المعرفة: https://www.marefa.org/
- موقع موسوعة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية: https://www.almoajam.org/

- برنامج أسمار وأفكار: المحظرة الشنقيطية...واحة العلم في ربوع الصحراء، قناة أسمار وأفكار على اليوتيوب، د. براهيم الدويري، رفعت بتاريخ: 2019/7/8.
- تحت المجهر (حصة وثائقية): تمبكتو ... جوهرة الصحراء «، تقديم عياش دراجي، تصوير منصور الأبي، إعداد منتصر مرعي، تحت المجهر، قناة الجزيرة الوثائقية على اليوتيوب، رفعت الحلقة بتاريخ 2008/03/10.
- وثائقي: شنقيط ... ذاكرة موريتانيا، إعداد محمد أجاج، إخراج: وحيد المثنى، قناة الجزيرة الوثائقية على اليوتيوب، رفع بتاريخ 2015/9/13.

فهرس الموضوعات

مُقَدِّمَة..... **1**

مَدْخَلٌ: التَّعرِيفُ بِالسُّودَانِ الغَرْبِيّ **6**

المبْحَثُ الأَولُ: الموقِعُ والتَّسمِيةُ..... 7

المبحَثُ الثَّانِي: السُّودَان الغَربِيّ طَبِيعياً وَبَشرِياً 8

المبْحَثُ الثَّالِثُ: لمحَةٌ تَارِيخِيةٌ عَنِ السُّودَانِ الغَرِبِيّ وأهمٌّ حَواضِرِه 15

الفَصْلُ الأوّلُ: التّعرِيفُ بِالرحَّالَةِ وَرِحلَتِهِ..... **24**

المبْحَثُ الأَوّلُ: مَفْهُومُ الرِّحْلَةِ عُمُوماً وأَهَمِيّتِهَا 25

المبحَثُ الثَّانِي: التّعرِيفُ بالرحَّالةِ "محمَّد يحيَى بنُ ابُوه" وَعصرُه..... 31

المبْحَثُ الثَّالِثُ: التَّعرِيفُ بِرِحلَةِ محمَّد يحَيى بنُ ابُوهُ اليَعقُوبِي..... 42

الفَصْلُ الثَّانِي: الحَيَاةُ العِلمِيَةُ فِي السُّودَانِ الغَربِي نِهَايَةَ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وبِدَايَةِ العِشْرِين **48**

المبحَثُ الأَوَّلُ: رَوَافِدُ الحَيَاةِ العِلْمِيَّةِ فِي السُّودَانِ الغَرْبِيّ نِهَايَةَ القَرنِ (19م) وبِدَايَةَ ال(20م)..... **49**

المبحثُ الثّانِي: أعمدةُ الحياةِ العِلميّةِ فِي السُّودانِ الغَربِيّ 56

المبحثُ الثَّالِثُ: إِسْهَامُ العُلَمَاءِ فِي الحَيَاةِ العِلمِيَةِ فِي السُّودَانِ الغَرْبِيّ:..... 71

الملاحق:..... **80**

قائمة المصادر والمراجع:..... 87

مُلَخَّصْ

مُلَخَّص:

إنّ المتطلّعَ لصَفحَاتِ تَاريخِ السُّودَان الغَربِي يجِدُ بَصماتٍ لرحّالَة كبَار تمكّنوا من نقلِ صورِ حيةٍ تصفُ الحيَاةَ دَاخِلَ مدُنِهِ وحَواضِرِهِ ولعَلَّ مِن أَهمّهم مُحمَّد يَحيَى ابنُ ابُوه اليَعقُوبِي الرحالَةُ الشَّهير الذِي مَرَّ فِي رحلَتِهِ الحجَازيةِ علَى أَبرَزِ تلك الحواضِرِ خِلَالَ نِهايَةِ القَرنِ التاسِعَ عَشرَ الميلَادِي وَبِدَايَةِ العِشرِين حَيثُ وَصَفَ الحَياةَ العِلمِيةَ فِي كِتَابِهِ المرقُون "الرّحلةُ الحِجَازِيةُ.

وَتُلقِي هَذِهِ الدّرَاسَةُ التارِخيَّةُ الضَّوءَ عَلَى جَوانِبِ الحيَاةِ العلمِيةِ فِي السُّودَانِ الغَربِي إبانَ نِهايَةِ القَرنِ التاسِعَ عَشَرَ وَبِدايَة العِشرِين مِن خِلَالِ رِحلَةِ العَلَّامةِ محمّد يَحيَى ابنُ ابُوه اليَعقُوبِي . حَيثُ تسَاهِمُ هاتِهِ الدّرَاسَةُ فِي التَّعريفِ بالرَّحالةِ ابنُ ابُوه ورحلتِه، كَمَا تُساهِمُ فِي بنَاءِ تصَوُّرٍ عَنِ الحَياةِ العِلميةِ فِي السُّودَانِ الغَربِي خِلالَ تِلكَ الفَترَةِ والتعَرفِ علَى وسَائلهَا وأعمِدَتِهَا وَرَصدِ العَلَاقَاتِ التِي جَمعَت بَينَ عُلَمَاءِهَا.

Summary :

The viewer to the pages of history concerning the western sudan will find prints belong to some great travelers who had the ability to transfer a living picture that describes life inside cities besides the urban areas ،we can say that the moest important personality was "mohammed yehya ibn abouh alyaakoubi the famous traveler who passed over his trip to hijaz the main the moest notable of these cities During the end of the nineteenth century AD , and the start of the twentieth where he describes the scientific life in his book "hijaz trip" this historical study shed the light on the aspects of the scientific life in western sudan At the end of the nineteenth century and the beginning of the twentieth through the trip of the science man "mohammed yehya ben abouh alyaakoubi" where this study contirbutes directly in introducing "ibn " abouh the traveler and his trip as well as it contributes in creating an imagination about the sientific life in the western sudan during that period introducing it's resources and it's pillars besides monitoring the relations that gathered it's sientific mean .